



علبة من البرونز عليها رنك من رسم عصوي البولو



مشكاة من الزجاج الملوحي عليها رنك مركب به رسم كاس

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والتسعين

١ مايو سنة ١٩٤١

٤ ربيع الثاني سنة ١٣٦٠

الفضاء بين النجوم

تقدم علماء الفلك في العصر الحديث، تقدماً عظيماً في قياس أبعاد النجوم، ولكنهم لم يحصروا عنايتهم بقياسها في طريقة «زاوية الاختلاف» بل اعتمدوا على وسائل حديثة طييفة وإحصائية، ثبتت صحة نتائجها بانفاقها والآراء الفلكية المسلم بها. فأسفر هذا البحث الشاق عن صورة جديدة للكون النجمي فإذا هو مجموعة من الوف الملايين من النجوم والمجرات منشورة في فضاء رحب شديداً ما يسترعي انتباهك فيه فراغه العظيم. فإذا فرضت وجود أربعة من صفار السمك في المحيط الأطلسي رسمت لنفسك صورة تبين رحابة الفضاء السكّان بين النجوم وفراغ هذه الرحاب ولقد رسخ في روع الباحثين، من عهد غير قريب، أن الفضاء السكّان بين النجوم ليس فراغاً تاماً. فقد شاهد الراصدون، أن أشعة الضوء التي تمر في رحاب الفضاء تتشتت، وهذا التشتت لا يمكن أن يتم إذا كان الفضاء فراغاً تاماً، ولا بد أن يحتوي الفضاء هنا وهناك على ذرة شاردة أو كهرب تائه. والواقع أن الصور الفوتوغرافية التي صورت لمناطق مختلفة من الفضاء، وخصوصاً مناطق المجرة، تثبت وجود نواح تملؤها مادة غازية كثيفة تحجب ضوء النجوم التي وراءها فتمنع وصوله إلينا بامتصاصه. وبعض هذه اللطخ الغازية ذو معالم وحدود واضحة، وبعضها لا حدود له ولا كنه كشافته تقل رويداً رويداً إلى أن يندمج في ما نحسبه عادة الجلد الصافي الأديم وهذا يشير إشارة لا لبس فيها إلى احتمال انتشار مادة لطيفة في رحاب الفضاء بين النجوم بسط أدفنتن أولاً هذا الرأي في خطبته البيكرية Bakerian من نحو خمس عشرة سنة وأثبت بالادلة الراجحة أن الفضاء بين النجوم ليس فراغاً بل هو «مملوء» مادة. وليس المراد بلفظ

« ممتلىء » هنا احتشاد المادة حتى لا يسمع الفضاء شيئاً علاوة على ما فيه ، وإنما يقصد معناها النسبي أي أننا لا نجد ناحية معينة في رحاب الفضاء خالية خلواً تاماً من المادة ولو في أल्प حالاتها وقد انقضت الآن فترة ، أثبت الراصدون في أثناءها ، بمشاهدة صحة هذا الرأي ، بل أن حديث التقدم في هذه الناحية من الطبيعيات الفلكية من أفقن الاحاديث العلمية للـب . والغريب أن هذا الاكتشاف نشأ — كطائفة كبيرة من المكتشفات — من مشاهدة شذوذ أو انحراف عن القاعدة العامة في أثناء بحث مسألة علمية أخرى

في علم الطبيعة مبدأ يعرف بمبدأ دبلر (Doppler) مؤداه أن اقتراب جسم سائر اليك في أثناء احداثه للصوت من شأنه أن يقصر امواج الصوت ويزيد سرعة تواليها فيرتفع الصوت وإن ابتعاده من شأنه أن يطيلها ، ويخفض سرعة تواليها فيضعف الصوت . وعليه فإذا كنت واقفاً وكان قطار صافر متجهاً اليك قصرت امواج الصغير وارتفع صوتها . وإذا كان مبتعداً عنك طالت امواج الصغير وخفت صوتها . وكان السر وليم هجنز (Huggins) الفلكي البريطاني ، يبحث في هذا الموضوع من نحو نصف قرن ، فخطر له أن يطبق هذا المبدأ على امواج الضوء ويستعمله في قياس سرعة النجوم . فإذا كان نجم من النجوم مقرباً منا كان طول كل موجة من امواج الضوء الذي يشعه أقصر من طول امواج الضوء المائل على الأرض . فإذا حللنا ضوء النجم المقرب بالمطياف حادت الخطوط المظلمة الخاصة بالنجم الى جهة اللون البنفسجي في الطيف . وأما إذا كان النجم مبتعداً عنا فإن الحيود يكون الى جهة اللون الاحمر . فمن معرفة جهة الحيود تعرف جهة سير النجم ، اقتراباً منا أو ابتعاداً عنا . ومن معرفة مدى الحيود تعرف سرعته . وقد طبقت هذه الطريقة في طائفة كبيرة من اشهر المراصد فقيست بها سرعة الوف من النجوم . واستعملت في قياس سرعة السدم التي خارج المجرة ثبتت أن بعضها يبتعد عنا بسرعة عظيمة . وهذا مما حمل العلماء الى القول بأن الكون آخذ في الاتساع كأنه فقاعة صابون ينفخ فيها نافع وقد استعملت خطوط فرنهوفر حديثاً لمعرفة نسبة العناصر التي في الشمس بعضها الى بعض ، وذلك بدرس عرض الخطوط التي تظهر في الطيف ونسبة عرض الواحد منها الى الآخر . ثم استعملت هذه الخطوط لمعرفة شيء عن حركة الاجرام السماوية . فقد ثبت أنه إذا كان الجرم السماوي متجهاً نحونا فإن حركة الخطوط في طيفه تتجه من الاحمر الى البنفسجي . لأن عدد الامواج التي تصلنا منه في الحالة الأولى آخذة في التزايد والقص وفي الحالة الثانية آخذة في التناقص والطول فاتجه حركة هذه الخطوط وسرعتها تمكن العلماء من معرفة اتجاه الاجرام السماوية بالنسبة الى الأرض وسرعتها وبالجري على المبدأ ذاته يستطيع الكشف عن النجوم المزدوجة واثبات دوران الأرض حول محورها

ومن أول الذين وجهوا عنايتهم الى هذا الموضوع الدكتور هارتمان أحد علماء مرصد بوتسدام الألماني فلم يلبث أن صرح أنه في أثناء درسه لخطي الكليسيوم في طيوف بعض النجوم وجد ظاهرة غريبة لا تتفق ومقتضيات مبدأ دبلر المذكور . ذلك بأنه لاحظ أن خطي الكليسيوم لا يجيدان الى جهة اللون البنفسجي ولا الى جهة اللون الاحمر كما تحيد بقية خطوط الطيف وهذا من المفارقات ! فاذا كان نجم من النجوم يسير سيرا سريعا نحونا فلا بد أن تحيد الخطوط في طيفه نحو اللون البنفسجي . واذا كان مبتعدا عنا فلا بد من أن تحيد الى جهة اللون الاحمر . ومن الغريب أن هارتمان وجد أن جميع خطوط الطيف تحيد الى احدى الجهتين ما عدا خطي الكليسيوم وأحيانا خط الصوديوم . وما صرح هارتمان بتصريحه المتقدم حتى عنى الراصدون بتحقيق مشاهدته فأيدوها . ومن ثم أخذوا يقترحون النظريات لتعليلها

ولا يخفى ان الأرض في أثناء سيرها في الفضاء تنقل معها غلافها الغازي وكذلك النجم ينقل معه في أثناء سيره غلافاً من الغازات التي تحيط بكنته الغازية الشديدة الجو

فاذا انبثقت من داخل النجم أشعة ومرت في جوه الغازي الخارجي — البارد اذا قيست حرارته بحرارة قلب النجم — واذا كان في هذا الجو الخارجي ذرات عنصر الكليسيوم ، ظهر خط الكليسيوم في طيف ضوء النجم مع خطوط العناصر الأخرى ، وهو خط مظلم من خطوط فرونفور لأنه حدث بالامتصاص . ولكن الغريب أن خطوط الطيف الأخرى تحيد الى جهة الاحمر أو جهة البنفسجي بحسب ابتعاد النجم أو اقترابه ، واما خط الكليسيوم فلا يجيدان ولذلك عرّفا اولاًهما وما مثلهما « بالخطوط المستقرة » Stationary . أفلا يجوز ان تكون ذرات الكليسيوم منتشرة في الفضاء بين النجوم وبهذا يعلل استقرار خطي الكليسيوم في طيوف النجوم ؟ وما منشأ هذا الكليسيوم الذي في الفضاء النجمي ؟ هل هو مادة منبعثة من النجوم الجيابة في أثناء سيرها في الفضاء ؟ أو هو بقايا سديم كوني نشأت منه النجوم بالتجمع الجاذبي ؟ ولما تناول الدكتور ستروف Struve أحد علماء مرصد يركس Yerkes الأمريكي هذا البحث أثبت أنه كلما زاد بعد النجم عن النظام الشمسي زاد ظهور الخطوط « المستقرة » في طيفه وهذا يعلل بأن الضوء مرّ في مسافات شاسعة من السحاب الكوني المائي للفضاء بين النجوم ، فزاد امتصاص هذا السحاب لضوء الكليسيوم فزاد ظهور خطيه في الطيف

ولم يلبث العلماء حتى وجدوا ان هذه الخطوط تحيد الى احد طرفي الطيف ولكن حيودها يسير جدّاً اذا قيس بحيود الخطوط الأخرى . لذلك عدلوا عن تسميتها بالخطوط المستقرة وقالوا إنها « خطوط ما بين النجوم » أو « خطوط الفضاء النجمي » interstellar : وجاء الاكتشاف المتوج لهذه المباحث لما ثبت ان هذا الحيود الضئيل في خطي الكليسيوم وما يماثلها يمكن تعليله

تقليلاً دقيقاً بفرض ان المجرة تدور حول مركزها وهو ما أثبتته المباحث الفلكية الأخرى
وبرى ادنغتون ان بقايا « السديم الكوني » المائلة لرحاب الفضاء النجمي ليست كاسيوماً
فقط أو كاسيوماً وصوديوماً . وانما احوال الرصد فقط هي التي مكنتنا من مشاهدة خطوط
هذين العنصرين قبل غيرها . وعنده ان هذا السديم الكوني يحتوي على جميع عناصر الأرض
اما كثافة بقايا « السديم الكوني » فيسيرة جداً لا تزيد عن كثافة نفخة مدخن وقد
تعددت حتى ملأت فضاء سبعة ألف ميل مكعب ! على ان رحاب الفضاء تفوق التصور في سعتها .
وعليه فهذا الغاز المتناهي في اللطافة الذي يملأها تبلغ كتلته نصف كتلة النجوم

وقد اطلعنا في عدد سبتمبر سنة ١٩٤٠ من مجلة السينفك اميركان على مقال للدكتور هنري
نوريس رسل رئيس قسم الفلك ومدير المرصد بجامعة برنستون ، اشار فيه الى كشف جديد
يستوقف الانظار في هذا الموضوع مؤداه ان الأدلة المستخرجة من البحوث الفلكية الطبيعية
الحديثة تحمل على القول بأن في الفضاء بين النجوم جزيئات مركبات كيميائية اي ان الدقائق
في هذا الفضاء ليست مقتصرة على الكهروبات والشوارد (الايونات) وحسب ، بل تشمل جزيئات
عناصر (اي دقائق مركبة من ذرتين أو أكثر من عنصر واحد) وجزيئات مركبات . غير ان
التفسير العلمي الجامع بين الدقة والبساطة للكشف الجديد ليس من السهولة بمكان

من المعروف ان ذرة عنصر كالتيثانيوم مثلاً يمكن ان تكون في حالات شتى تختلف باختلاف
الطاقة الداخلية في الذرة . والذرة في كل حالة من هذه الحالات تستطيع ان تمتص مجموعة
معينة من خطوط الطيف . ولذرات بعض العناصر — كالصوديوم — حالة واحدة تكون
فيها الطاقة الداخلية على ادناها ، والفرق بينها وبين الطاقة الداخلية في الحالات الأخرى كبير .
ولذلك يتعدّد تحريك هذه الذرات التي في « الحالة الدنيا » Ground-state تحريكاً يرتفع بمقدار
طاقها الداخلية الى الحالة التي فوقها . ولذلك عندما تنظر في خطوط الصوديوم الطيفية إنما نشاهد
خطوط ذرات الصوديوم التي في « حالة الدنيا » . اما ذرات التيتانيوم فتختلف عما تقدم . لهذه
الذرات « حالة دنيا » عندما تكون طاقتها الداخلية على أدناها . ولكن يلي « الحالة الدنيا »
مباشرة حالات متعددة وفي كل منها تبلغ الطاقة الداخلية للذرة مبلغاً قريباً جداً من طاقتها في
« حالتها الدنيا » . ولذلك عندما ينظر الى صورة التيتانيوم الطيفية تشاهد خطوط مردّها الى
ذرات التيتانيوم من حالات ذرية مختلفة -

ولكن الخطوط الطيفية للتيتانيوم الذي في الفضاء بين النجوم هي خطوط ذراته في « حالتها
الدنيا » فقط . فكأن الذرات التي طاقتها أعلى قليلاً من طاقتها في « حالتها الدنيا » تطرد طاقتها
الزائدة بفعل ما تهبط الى « الحالة الدنيا » . وكثيراً ما تستطيع الذرة ان تهبط هذا الهبوط

(من مستوى طاقة معين الى مستوى طاقة دونة) في جزء من مليون جزء من الثانية . ولكن النحول الى «الحالة الدنيا» من الحالة السابقة والقرية منها ، لا يتم الا اذا تركت الذرة مدة طويلة لا يثيرها مثير . والمدة الطويلة في عرف علم الطبيعة ثانية من الزمان ، وعلى الأكثر وفي حالات نادرة ، بضع دقائق . ولما كان الغاز الذي يملأ الفضاء بين النجوم لطيفاً غاية في اللطف فقد نضي أسابيع او أشهر على المعدل بين اصطدام واصطدام . ولذلك تتاح للذرة فرصة للاستقرار وقد أثبت الباحث أن الخطوط الطيفية التي تمتصها ذرات الايدروجين والهليوم والكربون والنتروجين والاكسجين والنيون والمجنيزيوم والسليكون ، وهي في «حالتها الدنيا» تقع في منطقة ما وراء اللون البنفسجي ولذلك يستحيل علينا مشاهدتها في أجهزةنا من خلال طبقة الاوزون التي تحيط بجو الأرض

وليس بالاحتمال أن يتاح للرصاد مشاهدة «خطوط الفضاء النجمي» الخاصة بعناصر أخرى غير العناصر التي شوهدت خطوطها حتى الآن . والباعث على ذلك أن اشعاع الشمس يميل الى التأثير في الذرات فيقذف منها بعض كهرباتها فيؤينها ionize أي يحولها أيونات أو شوارد ولقلة عدد الذرات في فضاء عظيم الاتساع كالفضاء بين النجوم ، لا يحتمل أن يتاح لشارد أن يلتقط الكهرب الناتج اللازم له ليعود ذرة كاملة . ولذلك نشاهد في المطياف أن خطوط الكلسيوم المتعاقل (الكامل البناء) أضعف وأخفى كثيراً من خطوط الكلسيوم المؤين . وقد حسب الباحث دنهام Dunham أن النسبة بين ذرات الكلسيوم المؤينة وذرات الكلسيوم الكاملة البناء كنسبة ٣٥٠٠ الى ١ أي ان هناك ٣٥٠٠ أيون كلسيوم مقابل ذرة كلسيوم واحدة . وفي حالة الحديد الذي يصعب تأيينه تبلغ النسبة بضع مئات أيون الى واحد

وخطوط الايونات مخفية وراء طبقة الاوزون فلا نشاهد في المطياف لذلك كان من الغريب أن يشاهد المنيشون بدراسة الخطوط الطيفية للغاز اللطيف الذي يملأ رحاب الفضاء النجمي، خطوطاً واضحة قوية تعذر اسنادها الى عنصر من العناصر . وقد قيست مواقعها في الطيف قياساً دقيقاً فاذا هي لا تتفق مع خطوط عنصر ما من العناصر المعروفة

واذن فيجب أن يكون في الفضاء بين النجوم شيء آخر غير ذرات العناصر لتمتص من اشعاع النجوم ما يحدث هذه الخطوط في الطيف . فانصرف الدهن طبعاً الى الجزئيات ولكن هذا القول اصطدم فوراً بمقبة كبيرة . ذلك بأن الخطوط الطيفية للجزئيات خطوط معقدة أي ان الخط الواحد منها قوامه خطوط كثيرة متلازمة يصعب كثيراً تفريقها حتى بأقوى الأجهزة المستعملة كانت هذه المقبة عقبة حقيقية . ولكن العلم لا تنهيه العقبات ، فتغلب عليها الدكتور اندرو ماكلار McKellar مدير مرصد الدومينيون في فيكتوريا بكندا وتوصل الى تبين خطوط

واحدة لجزيئات، عدد الذرات في كل منها ذرتان . أما اذا زادت الذرات في الجزيء على ذرتين فالمشقة في استبانة الخطوط الطيفية الخاصة تزداد
فوجد مثلاً ان خطاً معيناً من « خطوط الفضاء النجمي » يتفق والخط الأساسي الخاص بالمواد الايدروكربونية . وان خطاً آخر يتفق والخط الأساسي الخاص « بالسليانوجين » . وان ثالثاً يتفق والخط المسند « لايدريد الصوديوم »

والاتفاق تام حتى ليصح ان يتخذ دليلاً . وقد عني الدكتور آدمز مدير مرصد جبل ولسن بدراسة « خطوط ما بين النجوم » الظاهرة في طيف الضوء الواصل الى الارض من النجم « زيتا الحواء » Zeta Ophiuchi فاستبان ثلاثة خطوط تتفق في موقعها وقوتها مع خطوط معروفه للجزيء (CH كيد) فكتب يقول « ان الدليل على وجود جزيئات (CH كيد) في الفضاء بين النجوم دليل قاطع » . والبحث ماضٍ في دراسة خطوط اخرى

وقد يبدو للباحث الكيميائي انه من الغريب استبانة جزيء CH بدلاً من جزيء CH₄ (الميثان) وهو جزيء كامل التركيب ، أو جزيء C₂ H₂ (غاز السليانوجين) وهو جزيء تام التركيب كذلك . ولكن العالم الطيفي لا يجد ذلك غريباً لأنه يعلم ان خطوط الجزيئات الكاملة التركيب واقعة في المناطق التي تحت الاحمر او فوق البنفسجي ولذلك فهي ليست في متناوله ولكن هذا لا يمنع ان يكون في الفضاء بين النجوم جزيئات كاملة التركيب وفي الوسع تبين خطوطها والاستدلال على وجودها هناك بهذه الخطوط . ولكنها على الغالب جزيئات عناصر مثل H₂ (يد ٢) او N₂ (ن ٢)

ومن نحو سنة من الزمان ذهب دنهام الى ان ذرة من الصوديوم المتعادل توجد في كل عشرين متراً مكعباً من هذا الفضاء وان أيون كلسيوم يوجد في كل سبعة أمتار مكعبة وهذا على المعدل طبعاً غير ان نسبة وجود ذرات الكلسيوم المتعادلة أقل كثيراً من نسبة وجود ايونات الكلسيوم فلا توجد ذرة كلسيوم متعادلة الاً في كل ٢٥٠٠٠ ألف متر مكعب من هذا الفضاء ، أو ١٦٠ ذرة في ميل مكعب . بينما ذرات الصوديوم المتعادل تبلغ ٢٠٠٠٠٠ ذرة في ميل مكعب ولذلك نجد خطوط الفضاء النجمي الخاصة بالصوديوم أوضح هذه الخطوط ، وخطوط الكلسيوم المتعادل أضعفها

ونظراً الى أن ضوء النجوم يؤين ذرات غاز الكلسيوم فوجود ١٦٠ ذرة كلسيوم متعادلة في ميل مكعب من الفضاء يقتضي وجود ملايين من الكهبرات التي تزعّت من ذرات مختلفة بفعل ضوء النجوم والمرجّح ان هناك كهراً في كل ستمتر مكعب من الفضاء اي ٤٠ مليون بليون في ميل مكعب واكثرها على الغالب منتزعة من ذرات الايدروجين

مساهمة العلماء

البريطانيين في تقدم العلوم

للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
عميد كلية العلوم

يرجع تاريخ الحركة العلمية في الجزر البريطانية الى عصر النهضة في البلاد الأوربية ونحن تصور عصر النهضة على انه الحد الفاصل بين القرون الوسطى وبين التاريخ الحديث، بين العصور المظلمة وبين نور المدنية الحديثة. كما ان لفظ النهضة في لغتنا يدل على الحركة بعد السكون والنشاط بعد الخمول. وفي اللغات الأوربية تستخدم كلمة renaissance التي معناها الحرفي الولادة من جديد والتي هي نوع من البعث او النشور كما استخدمت أيضاً العبارة revival of learning أي احياء العلوم التي تنطوي على معنى العودة الى القديم في معارف السلف ودراساتهم ونشرها مرة أخرى بعد طول الغفلة عنها. جميع هذه المعاني مجتمعة تصلح الى درجة ما في التقريب لتصوير معنى النهضة في تاريخ أوروبا. ولست أريد ان أخوض في تفاصيل ما حدث في ذلك العصر الهام في عصور التاريخ وما اشتمل عليه من حركات اجتماعية وفكرية وسياسية ودينية فمن المعلوم ان هذه الحركات قد شملت الاصلاح الديني والتحرر من سلطة الكنيسة كما شملت احياء الآداب الكلاسيكية والرجوع بالفنون الجميلة الى عهد الاغريق. والرومان وكما شملت أيضاً طائفة من الاحداث السياسية والاجتماعية نبتت فيها فكرة القومية او الوطنية وأدت الى نشوء الدولة ذات السيادة بالمعنى الذي نفهمه اليوم فتلاشى نظام الاقطاعيات وتقلص ظل السلطة الزمنية او الديوية للكنيسة وتحولت أوروبا الى مجموعة من الدول المستقلة على الصورة المعروفة في العصر الحديث. كل هذه أمور شائعة ومعروفة لا يحتاج مني الى تبين الا ان هناك أمراً أريد ان أشير اليه لارتباطه بموضوع حديثي الليلة ألا وهو ان النهضة وان أمكن للمؤرخين ان يحددوا لها زمناً خاصاً يشمل النصف الثاني من القرن الخامس عشر والثالث الاول من القرن السادس عشر على وجه التقريب، الا أنها ككل تطور في التاريخ لم تنشأ من لا شيء بل قامت على اسباب ومقدمات سبقتها وأدت اليها. فالعصور الوسطى على ظلامها قد احتوت على العناصر التي أدى امتزاجها وتفاعلها الى النهضة. ومن أهم هذه العناصر وأبعدها أثراً قيام

الجامعات وسواء أكان منشأ الجامعات راجعاً الى التقاليد الاغريقية الرومانية في العالم القديم أم الى التأثير المباشر للثقافة العربية فمن الثابت ان هذه الجامعات قد تأثرت تأثراً عظيماً بعلوم العرب ومؤلفاتهم وما ترجموه من الكتب الاغريقية وما نقلوه عن الاغريق من علومهم. ففي النصف الاول من القرن التاسع أرسل قيصر الروم في القسطنطينية الى الخليفة المأمون في بغداد مجموعة كبيرة من المخطوطات الاغريقية فتولى العرب ترجمة هذه الكتب ثم نقلت هذه التراجم العربية الى اللغة اللاتينية واستخدمت في التدريس في الجامعات الأوربية في القرنين العاشر والحادي عشر وما بعدها. وأقدم الجامعات الأوربية جامعة Salerno بإيطاليا التي يرجع تاريخها الى القرن التاسع وقد بدأت كمدرسة للطب اعترف بها فريديريك الثاني عام ١٢٣١ على انها المدرسة الوحيدة لدراسة الطب في مملكة نابولي وبلي جامعة Salerno في القدم جامعة بولونيا التي نشأت كمدرسة للحقوق حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية ثم جامعة باريس التي أنشئت بين عامي ١١٥٠ و ١١٧٠ وجعل لها اربع كليات كلية للدين وكلية للحقوق وكلية للطب وكلية للآداب كما جعل لها نظام حُذِي حذوه في انشاء الجامعات الأخرى في القرون الوسطى ومنها جامعتا اكسفورد وكمبردج بانكلترا

واللفظ اللاتيني (Universitas) الذي يدل على الجامعة كان في الأصل يستخدم للدلالة على كل جمعية أو هيئة فاذا أُريد به الجامعة أضيفت اليه عبارة Magistorum et Schoiarium للدلالة على معنى العلم والتدريس. ثم تطورت الحال حتى صارت الكلمة تدل بذاتها في اواخر القرن الرابع عشر على الجامعة بالمعنى الذي نفهمه اليوم وكانت الجامعات تعرف على انها مدارس عامة (Studium Generale) وكانت مبانيها على نمط يقصد من ورائه حماية الطلبة والاساتذة باجتماعهم معاً في صعيد واحد مع المحافظة على الأغراب منهم الذين كانوا يأتون من بلاد بعيدة لتلقي العلم على النجوم المألوف عندنا في الازهر الشريف. وقد استقر أمر الجامعات واستتب نظامها في القرون الوسطى ومنحها الملوك والباباوات حمايتهم ورعايتهم وأصدروا المراسيم بانشاء وتنظيمها. والجامعتان اللتان يهنا امرها اكثر من غيرها هذه الليلة هما جامعتا اكسفورد وكمبردج وأقدمهما اكسفورد. ويرجع تاريخ انشاء جامعة اكسفورد الى النصف الثاني من القرن الثاني عشر بعد عام ١١٦٨ بمدة وجيزة وبظهر ان انشاء جامعة اكسفورد انما جاء نتيجة مباشرة لطرد الطلاب والعلماء الانكليز الذين كانوا يدرسون في جامعة باريس حوالي عام ١١٦٧ ولقطع العلاقات بين انكلترا وباريس في عام ١١٦٧ أو ١١٦٨ مما ادى الى انشاء مدرسة عامة أو جامعة في مدينة اكسفورد. أما جامعة كمبردج فقد نشأت بعد جامعة اكسفورد بقليل ولكن في نفس القرن أي في القرن الثاني عشر. ومع ان كلا من جامعتي

اكسفورد وكمبرج نظمتا عند انشأتهما على اساس نظام جامعة باريس الا أن تطورها في القرون الثلاثة الأولى من انشأتهما امتاز بمزايا خاصة أبعدهما تدريجياً في مظهرها الخارجي ونظامها الداخلي عن الجامعة التي انشئت على نمطها. فانشاء الوحدات التعليمية التي يسميها الانكليز (Colleges) والتي يجب ان لا نخلط بينها وبين ما يسمونه (Faculties) قد أكسب كلا من اكسفورد وكمبرج شخصية خاصة تمتاز بها على سائر جامعات القرون الوسطى في اوروبا. وما يسمونه (Colleges) هي وحدات من البناء ينتمي اليها الأساتذة والطلبة يتناولون فيها طعامهم ويسكنها الكثير منهم. وأقدم هذه الدور ربما كان عام ١٢٤٩ University College Oxford التي انشأها William of Durham و Balliol College التي انشأها John Balliol والد ملك اسكتلندا المسمى بنفس الاسم عام ١٢٦٣ وأقدم دور كمبرج Peterhouse التي انشأها Hugh Balsham اسقف Ely عام ١٢٨٤ ومن سوء الحظ أن كلمة من كلمة College وكلمة Faculty قد عبر عنها في اصطلاحها الحديث بكلمة واحدة وهي كلمة كلية مع عظم الفارق بين المعنيين. فالكلية بمعنى Faculty هي هيئة معنوية من الاساتذة والطلبة يتخصصون في دراسة فرع معين من فروع المعرفة كالطب أو كالمعلوم أو كالحقوق الخ وهؤلاء لا يكونون بالضرورة مجتمعين في صعيد واحد. أما الكلية بمعنى College فيحسن ان يعدل عنها الى لفظ مثل دار أو قلعة أو رواق لأنها تدل على بناء محدود الارضاء ينتمي اليه مجموعة من الطلبة والاساتذة ليسوا بالضرورة يدرسون فرعاً واحداً من فروع العلم وتجمعهم روابط اجتماعية وثقافية ليس بينها بالضرورة رباط التخصص في علم واحد. هذه الدور أو هذه الاروقة في كل من اكسفورد وكمبرج هي أساس الحياة الجامعية بالمعنى الصحيح فكل طالب بل وكل أستاذ فخور بالدار التي ينتمي اليها حريص على تقاليدها مطالب بالمحافظة على نظمها وهو في الغالب يحافظ على هذه النظم بروح الولاء مما سيحيي الكلام عنه فيما بعد

وفي القارة الأوروبية انشئت جامعات متعددة في القرون الوسطى عدا ساليرنو وباريس منها مونبلييه عام ١٢٨٩ وتولوز عام ١٢٣٣ وبلد الوليد عام ١٣٤٦ واشبيلية عام ١٢٥٤ وفيينا عام ١٣٦٤ وهيدلبرج عام ١٣٨٥ وبودابست عام ١٤٧٥ وفرايبرج عام ١٤٥٥

ومن ذلك يتضح ان انشاء الجامعتين الرئيسيتين في انكلترا حدث في القرون الوسطى وأنه كان حلقة في سلسلة من الحوادث المشابهة في سائر انحاء اوروبا. فالجامعات اذن ليست وليدة النهضة بل سابقة لها ومؤدية اليها والجامعتان الانكليزيتان على وجه الخصوص ليستا قائمتين على الثورة الفكرية بل على شيء آخر هو أقرب ما يكون الى الرزائة التي يتميز بها رجال الدين والى الثبات والتؤدة اللذين تتصف بهما الكنيسة. وفي الواقع اذا رجعنا الى تاريخ انشاء الجامعات

في القرون الوسطى وجدنا ان القائمين عليها كانوا في الغالب من رجال الدين وكان بعضهم من الرهبان الذين وهبوا أنفسهم للكنيسة وكانت الروح المتغلبة عليهم هي روح التقوى وروح الطاعة وروح النظام وكانت الدراسات الجامعية في ذلك العهد ترتبط اشد ارتباطا بالتعاليم الدينية وكانت المسائل العلمية اذا استعملت رجع فيها الى نحو من النصوص التي اتفق على احترامها كالكتاب المقدس او كمؤلف من مؤلفات بطليموس فكلما ازداد فهم الطلبة والاساتذة لهذه الكتب الرئيسية ازداد فهمهم للدين والعلوم والفنون . ومن أجل هذا كان منطق التعليم في القرون الوسطى منطقاً قياسيًّا استنتاجيًّا يرجع فيه الى مقدمات مسلم بها ثم تؤدي هذه المقدمات الى نتائجها المنطقية والشيء الذي أريد أن أؤكد والذي سأشير إليه فيما بعد في أمر هذه الجامعات هو أن نشأتها كانت محاطة بجوٍّ من التقاليد ينطوي على روح المحافظة واحترام القديم كما أن نظمها كانت تنطوي على نفس هذه الروح فيجعل الاساتذة طبقات أو درجات منها الكبير ومنها الصغير وتوجب على ذي الدرجة الصغيرة احترام ذي الدرجة الكبيرة فالحاصل على درجة الدكتوراه يميز على غيره يرتدي أردية خاصة حمراء اللون تشبه أردية الاساقفة ويحضر مجالس خاصة لا يحضرها غيره . هذه الارستقراطية العلمية المقرونة بالمحافظة الشديدة هي التي أريد أن أوجه النظر إليها في هذه المرحلة لما لها من ارتباط بما سيأتي ذكره فيما بعد عند الكلام عن العلم والعلماء في انكلترا

ننتقل بعد ذلك من القرون الوسطى الى عصر النهضة فنجد شيئاً آخر غير المحافظة وغير الرجوع الى الكتب وغير الخضوع لسلطة الكنيسة . فقد اتضح لكثير من المفكرين أن الكتب القديمة مهما يكن قد يسنا لها واحترامنا اياها لا يمكن أن تحتوي كل ما يمكن الوصول اليه من فروع المعرفة وأن في العالم حقائق لا تحصى لم تدوّن في الكتب ولم تعما خواطر الاقدمين كما اتضح أن العقل البشري يستطيع أن يصل عن طريق الحواس الى معرفة ما يحيط بنا من ظواهر الطبيعة . والعقل البشري يستطيع أن يفعل ذلك بطريقة مباشرة ودون التجاء الى الكتب أو الى رجال الكنيسة او الى رجال الجامعات . وقد كان بعض الفلاسفة في القرون الوسطى في أوروبا قد اتجه الى هذا النوع من التفكير فمثلاً نجد Roger Bacon الفيلسوف الانكليزي الذي عاش في القرن الثالث عشر (١٢١٤ — ١٢٩٢) نجد أن هذا الفيلسوف المنتمي الى جامعة اكسفورد يتكلم عن حرية الفكر وعن امكان الالتجاء المباشر الى الطبيعة في طلب المعرفة . وقد اضطهدت الكنيسة Roger Bacon كما اضطهدت كل من حدثتهم انفسهم بالخروج على سلطتها من العلماء والمفكرين في القرون الوسطى . ويرجع الفضل في بحث الطريقة الجديدة في الوصول الى المعرفة وفي تمحيصها ووضعها على أساس ثابت من الناحية الفلسفية

الى الفيلسوف الانكليزي « السير فرنسيس بيكون » (Sir Francis Bacon) الذي عاش من (سنة ١٥٦١ الى سنة ١٦٢٦) ففي كتابات هذا الرجل الذي جمع بين صفات متعددة منها صفة الفيلسوف وصفة السياسي وصفة الاديب نجد في كتابات هذا الرجل ما يكاد يكون دستوراً كاملاً للطريقة الجديدة في البحث والتفكير . وقد بحث السير فرنسيس بيكون في كتبه ومؤلفاته في هذا المنطق الجديد منطق الوصول الى المعرفة عن طريق المشاهدة المباشرة وبين الطرائق الصحيحة لهذا المنطق ووضع قواعد عامة لهذا النوع من التفكير فخلد بذلك اسمه في تاريخ العلوم وفي تاريخ الفلسفة على السواء . وقد وصف السير فرنسيس بيكون مواهبه الخاصة وطبيعة عقله والاغراض التي يرمي اليها وصفاً دقيقاً سأقرأه على حضراتكم . قال

I found that I was fitted for nothing so well as for the study of truth; as having a mind nimble and versatile to catch the resemblances of things (which is the chief point) and at the same time steady enough to fix and distinguish their subtler differences; as being gifted by nature with desire to seek, patience to doubt, fondness to meditate, slowness to assert, readiness to consider, carefulness to dispose and set in order; and as being a man that neither affects what is new nor admits what is old, and that hates every kind of imposture. So I thought my nature had a kind of familiarity and relation with truth.

ولا شك في ان هذا الوصف الذي صيغ على صورة نوع من التحليل النفسي يصلح لوصف عقلية العالم المدقق ولتعريف المثل الأعلى لهذه العقلية بصورة لا تكاد تختلف في شيء عما هي عليه اليوم . وفي كتابه Novum Organum او الطريقة الجديدة يقول ما ترجمته « ان المنهج الذي اقترحه للكشف عن العلوم هو بحيث لا يترك الا القليل لحدة الذهن وقوته وهو يضع جميع العقول في مستوى واحد تقريباً فكما انه اذا اراد رسم خط مستقيم او دائرة كاملة الاستدارة كانت النتيجة متوقعة على ثبات اليد التي رسم وعلى مراتها اذا كانت اليد ترسم وحدها اما اذا استخدمت مسطرة او فرجار فان جميع الايدي تكاد تتساوى فكذلك في الطريقة التي اقترحها تكاد جميع العقول تتساوى »

ولا يتسع المقام للبحث في تعاليم بيكن الفلسفية وطريقته الاستقرائية فان ذلك مفصل في كتب المنطق الحديث ولكنه لا بد من الاشارة الى امرين أولهما ان من الخطأ فرض أن المنطق الاستقرائي قد خلقه بيكن او خلقته النهضة في أوروبا خلقاً فمن المحقق ان ارسطاطاليس

قد بحث في هذا النوع من المنطق ووضع له حدوداً وطرائق كما أنه من المحقق ان العرب قد نقلوه عن ارسطاطاليس وأضافوا اليه وان كتبهم قد وصلت تراجمها اللاتينية الى أوروبا فباحث يمكن اعتبار جماعاً وتبويماً لأراء من سبقوه وان كانت لا تخلو من كثير من الاضافات والابتكارات التي تدل على قوة شخصية المؤلف وعلو كعبه . والأمر الثاني هو أنه لا يجب ان يفرض ان العلماء والمفكرين لم يكونوا يستخدمون الأسلوب الاستقرائي قبل عصر بيكن . فالمعرفة البشرية منذ فجر التاريخ كانت دائماً تستمد من المشاهدة المباشرة للطبيعة عن طريق الاستقراء المنطقي الصحيح . فوصول ارخيدس الى قانونه المشهور عن دفع السوائل ووصول ابن الهيثم الى معرفة قوانين الانعكاس والانكسار للضوء ووصول كوبرنيكوس (١٤٧٣ — ١٥٤٣) قبل ان يولد بيكن الى وصف حركات المجموعة الشمسية كل أولئك أمثلة على تطبيق المنطق الاستقرائي في تاريخ العلوم . والفضل الحقيقي لبيكن انما هو في اقراره الطريقة الاستقرائية في التفكير وفي مناداته بها وفي وضعها على أسس فلسفية ثابتة ودعوته الناس الى استخدامها وتطبيقها في وقت كانت فيه أوروبا لا تزال متأثرة أشد التأثر بالطريقة القديمة في التفكير وبالرغم من تسلط الكنيسة على كثير من العقول والأرواح . ولا شك في ان للانكليز ان يفخروا بالسرفرئيس بيكن كمؤلف للمنطق الجديد ومساهم في تأسيس الحركة العلمية في أوروبا

وقد اذات مجهودات بيكن الفكرية الى نشوء فلسفة جديدة في أوروبا فنشأت مدرسة جديدة من العلماء والمفكرين اساسها هذه الفلسفة الكونية وكان من الطبيعي ان يتزاور هؤلاء العلماء وان يتراسلوا وان يجتمعوا للبحث والتذاكر في هذه الفلسفة الجديدة او هذه الفلسفة التجريبية كما سميت ولا تزال تسمى . ففي لندن كان بعض هؤلاء الفلاسفة يعقدون اجتماعات اسبوعية منذ سنة ١٦٤٥ يحضرها بعض الأفاضل الراغبين في استطلاع الفلسفة الطبيعية وغيرها من نواحي العلوم البشرية وعلى وجه الخصوص في استطلاع ما سمي الفلسفة الجديدة او الفلسفة التجريبية او على حد التعبير الاصلي

“divers worthy persons inquisitive into natural philosophy and other parts of human learnings, and particularly of what hath been called the New Philosophy or Experimental Philosophy.”

وفي اكسفورد كان يختلف بعض الفلاسفة الى مسكن الدكتور Wilkins في Wadham College للمذاكرة والبحث فنشأت جمعيتان احدهما الجمعية الملكية في لندن والاخرى الجمعية الفلسفية في اكسفورد ويرجع تأسيس الجمعية الملكية في لندن بصفة رسمية الى عام ١٦٦٠ في ٢٨ نوفمبر من تلك السنة نشرت اول صحيفة لتلك الجمعية . وورد فيها أنه قد

استقر الرأي بعد سماع محاضرة المستر رن (Wren) — وهو Sir Christopher Wren —
 فيما بعد — على انشاء هيئة لدراسة العلوم الرياضية والطبيعية التجريبية وأنه قد انتخب ٤١
 شخصاً لعضوية هذه الهيئة واختير الدكتور Wilkins رئيساً لها وجعل رسم الدخول عشرة شلنات
 ورسم الاشتراك في الجمعية شلناً واحداً في الاسبوع وبعد مرور بضعة ايام على هذا الاجتماع
 التأسيسي أبلغ Sir Robert Moray اعضاء الجمعية ان الملك شارل الثاني ملك إنجلترا وافق على نظام
 الاجتماعات وجعلت Gresham Colleg مكاناً لعقد اجتماعات الجمعية ثم صدر مرسوم ملكي بانشاء
 الجمعية وعين اللورد Brouncker اول رئيس لها بعد صدور المرسوم الملكي بانشائها. فالجمعية الملكية
 أقدم جمعية علمية بالجزر البريطانية كما انها من أقدم الجمعيات أو الاكاديميات العلمية في اوربا.
 وكلمة اكاديمية مشتقة من اسم حديقة الزيتون التي كان يختلف اليها افلاطون ولعل أقدم اكاديمية
 هي اكاديمية الاسكندرية التي أسسها بطليموس الاول في القرن الثالث قبل الميلاد وكان ملحقاً بها
 مكتبة الاسكندرية المشهورة وقد تلا انشاء الجمعية الملكية بلندن جمعيات اخرى علمية منها جمعية
 ملكية في Dublin بارلندا وجمعية ملكية في ادنبره باسكتلندا كما انشئت جمعيات لدراسة فروع
 خاصة من فروع العلم الحديث او الفلسفة الحديثة لعل أقدمها الجمعية اللينية (Linnean)
 عام ١٧٨٨ لدراسة علم النبات وهذه الجمعية تشق اسمها من (Linnaeus) العالم السويدي
 (١٧٠٧ — ١٧٧٨) الذي وضع التقسيم العلمي للنباتات ثم تلا ذلك انشاء جمعيات لفروع العلم
 المختلفة كالجمعية الفلكية الملكية والجمعية الكيميائية والجمعية الرياضية وغيرها وتعددت هذه الجمعيات
 في انحاء الجزر البريطانية وفي انحاء الامبراطورية البريطانية بأسرها
 واذا كان انشاء الجمعية الملكية بلندن قد جاء نتيجة للحركة الفكرية المقترنة بعصر النهضة
 فان تاريخ هذه الجمعية في الأطوار الأولى من انشائها يمكن اعتباره ممثلاً لتقدم العلوم التجريبية
 في بريطانيا فكل عالم مبرز من علماء بريطانيا في ذلك العصر كان عضواً في الجمعية الملكية او متصلاً
 بها. ففي صحيفة الجمعية نجد بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة ١٦٧١ ان اللورد اسقف (Sarum) وهو
 الاسم اللاتيني لـ Salisbury رشح لعضوية الجمعية المستر ايزاك نيوتن (Isaac Newton)
 استاذ الرياضيات بجامعة كمبرج وقد انتخب نيوتن عضواً في الجمعية في ١١ يناير سنة ١٦٧٢
 وانتخب رئيساً لها سنة ١٧٠٣ وبقي رئيساً لها الى ان مات عام ١٧٢٧ وقد عنيت الجمعية
 الملكية بطبع كتاب نيوتن المشهور باسم Principia وعنوانه بالكمال Philosophiae
 Naturalis Principia Mathematica وهو المؤلف الذي وضع فيه نيوتن اسس علوم
 الميكانيكا والفلك والطبيعة. ولما كانت الجمعية الملكية في عسر مالي في ذلك الوقت فقد اخذ
 Edmund Halley الفلكي الانكليزي صديق نيوتن وعضو الجمعية على نفسه ان يتحمل جميع

تفقات طبع هذا الكتاب من ماله الخاص . وكان من اعضاء الجمعية المعاصرين لنيوتن السر كرسطوفر رن الذي بنى كاتدرائية سانت بول المشهورة بلندن و Robert Hooke العالم الطبيعي الذي ناقش نيوتن مناقشة حادة في آرائه وكان له فضل كبير في مساعدة نيوتن على تحديد نظرياته العلمية والبرهنة عليها

وانما اذا نظرنا الى تاريخ ذلك العصر أي أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كجزء من تاريخ الحياة الفكرية في انكلترا وجدنا الانكليز في ذلك الوقت وقد تزعموا حقاً الحركة العلمية في أوروبا وليس معنى هذا أنه لم يكن في القارة الأوروبية علماء مبرزون بل بالعكس كان فيهم كثيرون من أمثال Leibnitz في ألمانيا وهو الذي اشترك مع نيوتن في شرف اختراع حساب التفاضل والتكامل و Descartes و Pascal اللذين اشتركا في تأسيس أكاديمية العلوم في فرنسا ومع ذلك فلم يكن هؤلاء جميعاً ممن أضاف الى العلوم التجريبية (بصرف النظر عن الفلسفة النظرية) بقدر ما أضاف نيوتن ولم تكن هناك مجموعة من العلماء في أي بلد من البلاد الأوروبية أكثر إنتاجاً من المجموعة الانكليزية بزعمه نيوتن

وقد نتج عن تقدم العلوم التجريبية في أوروبا تقدم عظيم في الاختراع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فالعلم ان كان نوراً يزيل الشك ويظهر الحقيقة فهو في الوقت نفسه كما يقول الانكليز قدرة تمكن صاحبها من التغلب على قوى الطبيعة . وقد رأينا فيما تقدم ان دراسة العلوم التجريبية في أوروبا انما نشأت عن شغف بالمعرفة وحب للاستطلاع وقامت على أيدي فلاسفة وعلماء همهم الأول الكشف عن حقيقة الكون والوصول الى تفهم اسراره ولم يكن هؤلاء العلماء مدفوعين بالرغبة في التسلط على العالم او التحكم في الطبيعة ومع ذلك فقد أدت كشوفهم وما وصلوا اليه من معرفة قوانين الكون — أدى ذلك كله الى تطبيق هذه العلوم في خدمة البشر . ففي القرن الثامن عشر اخترعت الآلة البخارية على أيدي James Watt (١٧٣٦ — ١٨١٩) وغيره من المهندسين والمخترعين واستخدمت في الصناعة وفي النقل فبدأ عصر جديد من عصور التطور البشري أساسه العلم والاختراع . وفي القرن الثامن عشر أيضاً قام في أوروبا ما يسمى بالثورة الصناعية التي ليست بثورة تدمير يتقاتل فيها الناس وتسفك فيها الدماء وتستخدم فيها الأسلحة المهلكة ، وانما هي ثورة آلات من نوع آخر ، هي الآلات البخارية وسائر العدد والأدوات المستحدثة التي دخلت في الصناعة فحلت محل الأدوات البسيطة الابتدائية التي كانت تستخدم في العصور السابقة . وبذلك ازداد الإنتاج فازدادت الثروة وأعيد تنظيم المجتمع على أسس جديدة . ومن المسلم به ان بريطانيا العظمى كانت زعيمة لأوروبا في الثورة الصناعية وان كثيراً من الممالك الأوروبية قد نقل عنها أساليبها ووسائلها في تقدم الصناعة وقد نقل البريطانيون علومهم واختراعاتهم

الى بقاع كثيرة في الأرض كاستراليا وزيلاندا الجديدة وشمال أميركا فاستوطنوا هذه البلاد وأنشأوا فيها الجمعيات العلمية والمصانع ونظموا حياتهم فيها على نمط الحياة في بريطانيا. وفي عصرنا الحديث نجد ان الجامعات التي نشأت في القرون الوسطى قد تقبلت العلم الحديث فأضافته الى برامجها ونجد ان هذه الجامعات قد تعددت حتى لا تكاد تخلو من جامعة بقعة من بقاع الجزر البريطانية او جزء من أجزاء امبراطوريتها المتسعة الارحاء. فهذه الجامعات التي نشأت كما رأينا تحت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى، تطورت مع الزمن حتى صارت عاملاً من أهم عوامل التقدم العلمي والصناعي. والأكاديميات العلمية التي نشأت لأغراض فلسفية بحثية، تعددت هي أيضاً وتنوعت وصار كل منها يرتبط بالحكومة والصناعة والمجتمع بأربطة قوية حية وصار البحث العلمي ينقسم الى قسمين رئيسيين بحث علمي أكاديمي من نوع البحوث السر أيزاك نيوتن وهذا يرمي الى انماء المعرفة البشرية من حيث هي معرفة خالصة وبحث صناعي او تطبيقي يرمي الى تقدم الصناعات وحل مشاكلها الفنية وتطبق فيه النتائج العلمية على الاختراع وتحسين الآلات وزيادة الانتاج وادرك رجال الصناعة ورجال العمل والمهندسون ان لا سبيل الى تقدم صناعاتهم واعمالهم الا عن طريق تقدم العلم ذاته فقام الأغنياء منهم أمثال السير Alfred Yarrow بمنح الجمعية الملكية أموالهم لتخصص للبحث العلمي المحض. وقد وهب السير ألفرد الجمعية ١٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي يخصص ريعها لانشاء خمس أستاذيات للبحث لا يطلب من يمنحها بأكثر من الاستمرار في بحثه العلمي. وقامت الحكومة البريطانية منذ عام ١٩٢٠ بمنح الجمعية الملكية مبلغ ٦٠٠٠ جنيه سنوياً تخصص للبحث العلمي كما أوصدت في ميزانية الدولة امانات كبيرة لكل من جامعتي اكسفورد وكمبريدج ولكثير من الجامعات الحديثة كجامعة لندن دون ان تتطلب الحكومة من هذه الجامعات اي تغيير في نظمها او وسائلها وليس هذا الا قليلاً من كثير مما وقف في بريطانيا وسائر أنحاء البلاد البريطانية على العلم والبحث العلمي فمن مكافآت تخصص للمنفوقين من الطلبة في الجامعات وامنات مالية للباحثين من العلماء ومن مداليات وجوائز سنوية تمنح تقديراً للنتاج العلمي وغير ذلك من وسائل التشجيع والتعصيد

سبقت الاشارة الى دور جامعتي اكسفورد وكمبريدج وأروقتهما (Colleges) وما كان لها من أثر في تطور الحياة العلمية والاجتماعية في هاتين الجامعتين. وان الذي يزور هذه الدور ويلبس الحياة فيها ليشعر بهذا الأثر واضحاً. فالتقاليد الموروثة عن القرون الوسطى وعقلية هذه القرون من احترام للقديم ومحافظه على التقاليد كل هذه تكاد تلمس في دور اكسفورد وكمبريدج وتعد هذه الدور ينشئ مجالاً للتنافس بينها، التنافس في العلم والتنافس في الرياضة البدنية، والتنافس في المحافظة على مستوى عال من السمعة وحسن الشئائل. ثم ان وجود جامعتين متناظرتين متنافستين مثل اكسفورد وكمبريدج كان له أبعاد الاثر في تقدم الحياة الفكرية والاجتماعية في انكلترا

بل وفي سائر أنحاء البلاد البريطانية. وسباق التجديف الذي ينظم سنوياً بين جامعتي أكسفورد وكمبريدج على نهر التمس إنما هو رمز الى التسابق بين الجامعتين في جهودهما المختلفة. وربما ظهر لأول وهلة انني اقبحم الخلق في محاضرات علمية وان لا علاقة بين تكوين الخلق في الجامعات البريطانية وبين تقدم العلم الا ان هذه النظرة السطحية نظرة ولا شك خاطئة. فالعمل في الميدان العلمي كالعامل في اي ميدان آخر يتطلب صفات نفسية وخلقية لانجاح العامل بغيرها. وانني اذكر انني كنت ازور مرصد جرينتش القريب من مدينة لندن بانكلترا وهو المرصد الرئيسي في تلك البلاد وكان مدير المرصد في ذلك الوقت Sir Franck Dyson بصحبي في هذه الزيارة فأراني المنظار الذي يرقبون به النجوم في مستوى الزوال وأخبرني ان هذا المنظار قديم يرجع صنعه الى نحو مائتي سنة. ثم ذكر لي ان بعض المراصد في اميركا قد جهز بمنظير حديثة الصنع يستطيع الراصد بها بالضبط على زر كهربي ان يحرك ارض الغرفة الذي يرصد منها او وضع الكرسى الذي يجلس عليه بحيث لا يجهد جسمه ولا عضلاته في عملية الرصد في حين ان الراصد في جرينتش مضطر الى اتخاذ اوضاع جثمانية مجهدة وغير مألوفة كأن يستلقي على ظهره مثلاً ليتمكن من عملية الرصد. وقد ذكر لي السر فرانك هذه الحقيقة بشيء كثير من الفخار والزهو على المراصد الاميركية اذ هو على حذوقه يستطيع في جرينتش بالته العتيقة ان يصل في الرصد الى نتائج لا تقل دقة واحكاماً عما تصل اليه المراصد الاميركية بالآلات الحديثة. وأظنكم تسامون معي ان هذا الخلق الذي ينطوي على روح التغلب على الصعاب خليق بأن يكون له اكبر الأثر في نتائج البحوث العلمية

لعل بعض حضراتكم كان ينتظر مني وأنا انكلم عن مساهمة العلماء البريطانيين في تقدم العلوم ان أسرد أسماء هؤلاء العلماء او على الأقل البارزين منهم وأن اصف بحوثهم العلمية وما كان لهذه البحوث من أثر في تقدم العلم. ولكن هذه المهمة لا يمكن النهوض بها في ساعة او بعض ساعة من الزمن حتى ولا على سبيل التلخيص. فالعلوم التجريبية متسعة الارحاء منها ما أزعج انني افهمه ومنها ما لا أزعج انني افهمه. وتاريخ هذه العلوم منذ القرون الوسطى يمتد اجيالاً عديدة وعلى اية حال فان أسماء البارزين من العلماء الانكليز في العصور المختلفة أمثال دارون وفرداي ولستر نكاد لا تكون مجهولة لأحد

وانما اردت في حديثي هذا ان اشير الى منشأ الحركة العلمية في انكلترا والاطوار الرئيسية في تاريخها وبعض الصفات التي رأيتها مميزة للبريطانيين في مجيهراتهم العلمية. فلملي أكون قد وفقت في ذلك والسلام

الرنوك المملوكية^(١)

لجمال محمد محرز

إذا نظرت الى التحف والآثار التي تركها لنا المماليك — سلاطين وامراء — استرعت انتباهك ظاهرة فريدة في نوعها لا مثيل لها في الآثار الاسلامية الاخرى بمصر، الا الايوبية . وهي رسوم في دائرة أو منطقة ، يحيط بها في بعض الاحيان شريط من النقوش الكتابية قوامه ادعية وتمنيات لصاحب الأثر . فنقرأ مثلاً : اليمن والاقبال، عز لمولانا السلطان، الى غير ذلك من تلك العبارات التي امتاز بها الطراز المملوكي

تلك هي الرنوك . واستعمالها يرجع الى العصور القديمة ، فنجدها عند المصريين والحثيين والاسرائيليين والأغريق وغيرهم . وفي الكتب الادبية القديمة والدينية اشارات الى الرنوك عند الاغريق وبني اسرائيل ، كما نسمع عن أسد يهوذا ونسور القياصرة^(٢) . ويرجح ان معناها في العصور القديمة يختلف عن مدلولها في العصور الوسطى ، ولعلها كانت في البداية رموزاً تتصل بالديانات والعقائد^(٣)

اما في العصور الوسطى فكانت تستعمل في الغرب شعاراً للأشخاص والأسر بينما كانت في الشرق شعاراً للوظائف ، ولكنها لم تبلغ عند المماليك ما بلغت في الغرب من حيث الاهتمام العظيم بها ووضع القواعد والقوانين لتنظيمها مما ساعد كثيراً على دراسة الرنوك الغربية^(٤)

اما في الشرق فليس لدينا لسوء الحظ مصادر كافية لمثل هذه الدراسة ؟ إذ ان ما روتهُ الكتب الأدبية والتاريخية عنها قليل ، ومعظمه غامض ينقصه الدقة والشرح

والحق ان جل الاعتماد في دراسة هذه الرنوك يرجع ما نقش منها على التحف الزجاجية والمعدنية وعلى العماثر خاصة ، وذلك للعناية التي كانت تبذل في دقة اظهار هذه الرنوك إذ انه كلما

(١) الرنوك مفرداً رنك وهي كلمة فارسية الاصل بمعنى لون استعملت في العصور الوسطى للدلالة على الاشعة (٢) راجع ص ١ — ١٢ من الفصل الاول من كتاب A Complete Guide to Heraldry by Fox Davies (٣) من الامثلة على ذلك ان شعار القبائل المصرية القديمة قبل توحيدها كان عبارة عن علم به رسم يرمز لمعبود القبيلة (٤) يرجع الفضل العظيم لتقدم الرنوك الغربية الى المماليك اذ اقتبس الغربيون عنهم . راجع المصدر السابق ص ١٣ وكذلك تراث الاسلام ج ٢ ترجمة الدكتور زكي

كانت المادة المراد نقش الرنك عليها من معدن نفيس أو مادة غالية الثمن زادت العناية برقته . ويمكن ملاحظة ذلك من الموازنة بين الرنوك المنقوشة على المواد السالفة الذكر وتلك التي زارها على الخشب والنسيج والخزف

ومهما يكن من الأمر فإن الممالك نقشوا رنوكهم على التحف من مختلف المواد : على الحجر والخشب والمعدن والخزف والزجاج والورق والنسيج والعاج والعظم ، وكانت الأشعة في البداية بدون مناطق ، كالأسد^(١) شعار بيرس ، ثم رسمت أحياناً بدون المناطق وأحياناً داخلها مثل شعار تنكيز . وأخيراً عمّ رسمها في مناطق تامة الاستدارة او مديبة كشعار قره سنقر^(٢)

ثم تعددت أشكال المناطق فصار منها المربع والمفصص والبيضاوي (انظر شكل «١») ويذهب البعض في تعليل ظهور الرنوك الأولى بدون منطقة الى ان هذه الأشعة كانت تظهر أصلاً على البيارق والاعلام ، ثم ظهرت داخل تلك المناطق المستديرة متأثرة بشكل الدروع الحربية ، ثم تعددت أشكال المناطق وقيل ان ظهور المناطق المديبة راجع الى اقتباس الممالك الدروع المديبة الشكل عن الصليبيين ولقد بلغ عدد الأشعة المملوكية المعروفة الى الآن خمسين شعاراً ، عرف مدلول بعضها . ومن أهمها الحكاس والمقاعة والقوس والبقيجة والخونجة (المنضدة) وعصا البوللو وزهرة اللوتس والصولجان

ولم يقتصر الأمر على تلك الاشكال الرمزية بل تعداها الى الطيور والحيوانات . ولكن عددها كان ضئيلاً بعكس مثيلاتها في الرنوك الغربية . وأهم المعروف منها النسر والأسد ، وهما من أحسن الأمثلة وأقدمها . أما غيرهما فشكوك في صحة اتخاذه رنوكاً . كالبط المنسوب الى قلاوون والسمك المنسوب الى ابنه محمد وكالحصان والوعل

ونجد الأسد غالباً كأنه زاحف يرفع ذنبه ورجله اليمنى . أما النسر فقد رسموه برأس واحد ملتفت الى اليمين او الشمال او برأسين متدبرين وكذلك إما بجناح واحد وإما بجناحين منشورين وتظهر الخالب عادة كأنها ممسكة بنهاية الجناحين

ولقد دخل على الرنوك شيء من التعقيد بعد ان وصلت الى استخدام المناطق كما رأينا . فلم يكتف برسم شكل واحد داخل المنطقة بل زاد عدد الأشكال في المنطقة حتى بلغت في القرن الخامس عشر الميلادي تسعة أشكال في بعض الأحيان . وكان يتوصل الى ذلك بأن تقسم أرضية المنطقة او الدائرة كما كانت تسمى ، الى ثلاثة أقسام يسمى كل قسم منها شطفة وأكبرها عادة الوسطى . وبها أكثر الاشكال

(١) هناك اختلاف حول حقيقة هذا الحيوان أهو أسد أم فهد أم مجرد حيوان مفترس

(٢) راجع ص ٢٦ - ٢٧ من كتاب Saracenic Heraldry للاستاذ ماير ، فقد أشار الى الحالات المختلفة مع ذكر أمثلة لها والاستاذ ماير كبير الاختصاصيين في الرنوك الشرقية واستاذ الآثار الاسلامية بفلسطين

وتنقسم الرنوك البسيطة والمركبة الى أقسام فأنواع الرنوك البسيطة هي :

- ١ — شعار بدون منطقة ٢ — منطقة خالية من الرسوم ٣ — منطقة خالية من الرسوم ولكن بها نقوشاً كتابية ٤ — منطقة داخلها رسم . أما أنواع الرنوك المركبة فهي :
 - ١ — نوع ذو شارة تتكرر مرتين أو ثلاثاً ٢ — نوع قوامه عدة شارات مختلفة ٣ — نوع به الشارات المعروفة ومعها رسوم حيوانات ٤ — نوع ذو شعارين مختلفين على اناء واحد ومن المحتمل ان احدهما للامير والآخر لأحد أبنائه
- وقد ظهر في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادي نوع آخر «خرطوش» قاصر على السلاطين وكان أول ظهوره على الأواني المشكاوات والسلطانيات وما شابه ذلك وهو خالٍ من الرسوم وليس به إلا كتابات فقط ونلاحظ أن ألقاب السلاطين لم تأخذ في الظهور على هذه الخرطيش إلا في وسط القرن الرابع عشر الميلادي
- ويقسم الخرطوش الى ثلاثة أقسام ، الشطقة الوسطى عليها نقوش والعليا والسفلى خاليتان ويحتمل وجود خرطيش غير مقسمة . أما أشكال الخرطوش فمنها ما هو دائري ، وعلى شكل الكمثرى ، والمفصص ، ومنها ما هو مربع الشطقة الوسطى وتنتهي العليا بقوس والسفلى مثلثة الشكل وبالرغم من التعقيد والاختلاف العظيم في أشكال الرنوك فانه يمكن ارجاع اربعة اخماسها الى واحدة من المجموعات الثلاث الآتية : (شكل « ٢ »)

- ١ — كأس كبيرة في الشطقة الوسطى وأخرى صغيرة في السفلى
 - ٢ — مقلاة في الوسطى وبقعة في كل من العليا والسفلى
 - ٣ — كأس منقوش على جسمها مقلاة ، وعن يمين الكأس وشمالها بوفان أو سر والافتوة كما كانا يسميان . وفي الشطقة العليا بقعة والسفلى كأس صغيرة
- ونلاحظ ان الظاهرة المشتركة في هذه المجموعات الثلاث هي تقسيم المنطقة الى ثلاث شطط اكبرها الوسطى . وكان الدافع الى هذا التنوع الرغبة في سهولة الاستدلال على أصحاب الرنوك اذ ازداد عددهم زيادة عظيمة ، فبلغ رجال الخاصة « الحاصكية » مثلاً في عهد برسباني ١٠٠٠ شخص ، مما أدى الى ضياع الفائدة المرجوة من استخدام الألوان وهي التمييز بين الرنوك ، نظراً الى ان الألوان ودرجاتها محدودة . وكان يتوصل الى التمييز بين الرنوك بتلون كل رنك بلون خاص أو بدرجة خاصة منه اذا ما شاركه رنك آخر في اللون نفسه وكانت تلون المنطقة أحياناً بدرجتين للون الواحد ، ولذا كثرت الألوان بدرجاتها المختلفة ولا غرابة في ذلك لأن رنك منها أصلاً اللون

(١) [المقتطف] لاحظنا ان رجال الآثار العربية في مصر يجمعون مشكاة على مشكاوات ورجال اللغة يقولون ان الجمع مشكيات

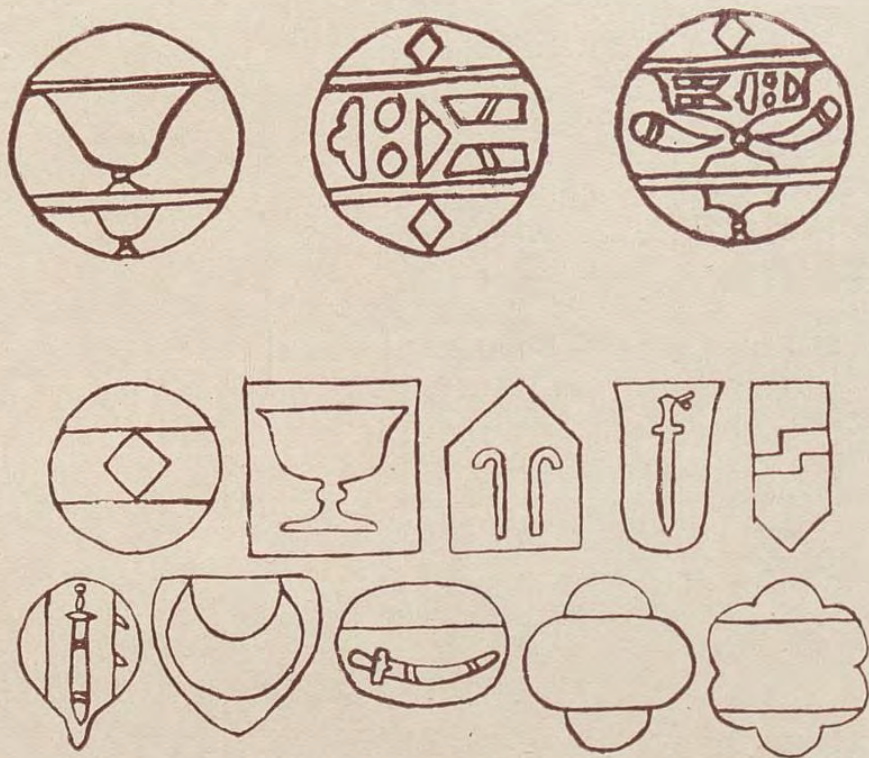
وأظهر ما تكون الألوان على الزجاج والفسيفساء وطلاء الجدران والأواني الخزفية . أما ألوان الفخار فلا يعتمد عليها ولا يوثق بها لتأثر الألوان بالحرارة مما يجعلها يختلط بعضها ببعض وبذلك لا نستطيع تحديد مناطق الألوان وبعبارة أخرى يفسد التصميم الأصلي للرنك^(١) . أما المعادن فيندر تلوين الرنوك المنقوشة عليها . وإن لونت فهي ذات لون أبيض أو أحمر ، ووجدت حالة واحدة استخدم فيها التطعيم بالذهب واللون الأسود وهي مقلاة أبي الفداء ، ومثل المعادن المائترة ولقد وجدت حالات عُمِد فيها إلى استخدام الفسيفساء الحجرية للحصول على اللون المطلوب ويمكن أن نحصى الألوان في الأبيض (فضي على المعادن) والأصفر (ذهبي على المعادن والزجاج) والأحمر والأخضر والأزرق والرمادي والأسود والسمني (وهذا غالباً على الفخار) وجميع هذه الألوان كانت بدرجاتها المختلفة

وهناك ألوان ذاتية بمعنى أن الرنك هو لون المادة ويتوصل إلى ذلك في الخزف باستعمال الزجاج الشفاف الذي يغطي به الطمي المصنوع منه الآنية ليعطيها بريقاً ويزيد في قيمتها ولينع امتصاص الطمي للألوان

والمعروف أن الأسر في الغرب خاصة تتخذ رنكاً ليميزها من غيرها من الأسر وبكفي أن يرى الإنسان رنكاً على أي شيء كمناع أو بقاء ليعلم أن صاحبه يمت إلى الأسرة صاحبة هذا الرنك . ولذلك نجد الرنوك مختلفة ولا تشترك أسرتان في شعار واحد بعكس ما نراه في الشرق ؟ إذ أن الشعار الواحد يشترك فيه أشخاص كثيرون^(٢) لا يمت بعضهم إلى بعض بصلة أو قرابة إلا صلة الزمالة أو قرابة النشأة . فما السر في هذا الاشتراك ؟

والإجابة عن هذا السؤال تدعونا إلى البحث عن مدلول هذه الرنوك . ونحن نستطيع الجزم مما ورد في النجوم الزاهرة ، وفي تاريخ أبي الفداء ، ومن مقارنة النقوش الكتابية المصاحبة للرنوك بما كتب عن أصحابها في الكتب الأدبية والتاريخية ، أن هذه الرنوك كانت فيما عدا حالات قليلة جداً تدل على الوظائف التي كان يشغلها الأمراء وقت أن نصبوا أمراء . وطبعي أن يكون هناك اشتراك في الرنوك لأن الوظائف حق مشاع بين الممالك الأمراء جميعاً قال أبو المحاسن في كتابه النجوم الزاهرة إن الملك الصالح نجم الدين عندما عين أيبك أميراً اعطاء خونجة شعاراً له . وقال أبو الفداء في تاريخه أن الأمراء أصحاب الوظائف كانت لهم أشعة خاصة فشعار الدوادار (السكرتير) المقلاة ، والطشت دار (المشرف على الخازن)

(١) أن الزجاج والأواني الخزفية تتعرض كذلك للحرارة ولكن ماسبق ذكره من حيث العناية التي توجه إلى هاتين المادتين يفسر لنا وضوح الألوان فيهما (٢) يجب ملاحظة أن الألوان تختلف في الرنوك المتحددة الموضوع وهذا لا يسهل إدراكه إلا على الاختصاصيين



« خرطوش » مستطيل باسم السلطان المملوكي الظاهر برقوق



شمعدان عليه « خرطوش » دائري باسم السلطان
الملوكي أبو النصر قابلي



مشكاة عليها رنك مركب من رسوم السيف وشارة
الدواة والكاس والقرنين



الطشت ، والسلاح دار (حامل السلاح) السيف ، والبندق دار السهم ، والامير آخور^(١) (امير المعلق أو المتولي الأشراف على الاصطبلات) حدوة فرس ، والجهدار (المتولي امور الملابس) بقجة ، والجاويش^(٢) قبة مذهبة

وبالقياس نستطيع ان نصيف الى ما ذكره ابو الفداء : الساقى (متولي الشقاية والاشراف على المواثد) وشعاره كاس ، والجو كندار عصا البولو ، والجاشنكير (ذائق الطعام) خونجة اي منضدة ، والعلم دار (المتولي امر اعلام السلطان) علم ، والطبل دار الطبله والعصا ، والبشمةقدار (حامل الاحذية) الحذاء ، والجهدار (حامل الدبوس) الدبوس ، والبريدي دائرة ذات ثلاث شطف. وقد فسر الاستاذ ماير العلامة التي على شكل قرن بأنها تدل على القرن الذي كان يحفظ فيه البارود^(٣) ، وقد سبق ان ذكرنا انها كانت تسمى سروال الفتوة ، ولكن لم يذكر لنا اسم الوظيفة التي تدل عليها العلامة

واني أرى انه ربما كانت هذه العلامة هي شعار تلك الفرقة التي كانت تشرب كأس الفتوة باسم السلطان وتلبس سراويل الفتوة وترمي البندق باسمه. وكانت هذه الفرقة تقوم بالعباد خارج المدينة من أهمها رمي الحمام. وكانت خاضعة للسلطان له ان يدخل فيها من يشاء ويخرج من يريد^(٤) على ذلك نقول ان الرنك يدل على الوظيفة وان ذلك الشكل داخل المنطقة علامة او رمز يوضح لنا نوعها وماهيتها ولكن كانت الوظائف المملوكية الخاصة بالامراء على نوعين : وظائف كبرى وصغرى ، يدلنا على ذلك قولهم امير سلاح وأمير آخور ودوادار كبير ، وسلاح دار وأمير آخور صغير ، ودوادار صغير ، فالى اي نوع تشير الرنوك ؟

من المعترف به ان بعض هذه الرنوك يدل على الوظائف الصغرى وهي التي لم يتوهم قط أمير عظيم ومثل هذه الجاشنكير والچمقدار والچو كندار والعلم دار ، اما تلك الوظائف التي بصاحبها لفظ امير او كبير كوظيفة امير سلاح ودوادار كبير فان ذكر تلك الألفاظ أو عدم ذكرها لا يغير من قيمة الوظيفة نفسها لأن هذه الوظائف معدودة من الوظائف السلطانية الكبرى والتي يتولاها الامراء العظام

(١) ذكر الاستاذ ماير في كتابه السالف الذكر ان معنى أمير آخور هو قائد Marshal وهذا يخالف الحقيقة . انظر شرح هذا اللفظ في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الذي يعنى بنشره الدكتور محمد مصطفى زيادة الجزء الاول . القسم الثاني . حاشية ٣ صفحة ٤٣٨ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ (٢) احد أربعة من جنود الحلقة وظيفتهم السير امام السلطان أو النائب في مواكبة النداء وتنبيه المارة وهم أيضاً من رتبة بسيطة يقومون بالمراسلات الخاصة بمخدومهم . انظر ص ٨٧ حاشية ٢ من الجزء الاول القسم الثالث سنة ٩٣٩ من كتاب السلوك السابق الذكر

(٣) انظر مقال الاستاذ ماير في B. 1. E. TXXI, 1939 وعنوانه Une énigme du blason Musulman (٤) انظر الجزء الاول — القسم الاول من كتاب السلوك السالف الذكر

وإذا ما علمنا أن الامراء لم يكن من عادتهم تناسي مراكرهم البسيطة يوم أن كانوا أجناداً بل كانوا يعتزون بها ويفخرون بتلك الأيام اتضح لنا السبب في عدم ذكر تلك الوظائف الكبرى على الرنوك وذلك لأن هذه الوظائف لا يناهاها الأمير إلا بالترقية في مراتب الامارة ولأنه لم يكن يغير شعاره بترقيته في مناصب الامارة كما سنبين ذلك فيما بعد

وبذا تكون تلك الرنوك دالة على الوظائف الكبرى والصغرى على السواء ولو لم تذكر الوظائف الكبرى على الرنوك أو تصاحبها للأسباب السابقة الذكر

ونلاحظ أنه كلما كان الرنك بسيطاً سهل الاستدلال على وظيفة صاحبه في البلاط السلطاني وكما تعقد قلت دلالاته وصعب الاهتداء الى مدلوله وقد يكون التعقيد راجعاً الى ان الشخص كان يشغل عدة وظائف في البلاط او الى مجرد الزخرفة

ولقد تطور معنى الرنوك بمضي الزمن ولم يعد يدل على الوظيفة في القرن الخامس عشر الميلادي اذ أصبح شعاراً للفرق الحربية المختلفة لأن كل أمير كان مكلفاً حيازة عدد من الممالك يختلف عددهم بحسب مرتبة الأمير ، وكان هؤلاء الممالك يتخذون شعار أميرهم اوسيدهم شعاراً لفرقتهم . وقد تنفق بعض الفرق في شعار واحد مع اختلاف اللون مثال ذلك الفرقة الظاهرية اتباع برقوق والأشرقية اتباع قايتباي

وهذه الحيوانات ما معنى اتخاذها رنكاً ؟ ذهب البعض الى ان هذه رموز ناطقة Armes Parlantes تعبر عما انصف به الأمير من صفات وتترجم عن اسمه ان كان للاسم معنى ، ولقد اعتمد في هذا الرأي على ما ذكره ابن اياس عند كلامه على رنك بيبرس اذ قال انه يدل على شجاعته . على أننا نلاحظ ان رنكه يدل على اسمه اذ ان المقطع الأخير من الاسم « برس » معناه فهد في اللغة التركية (١)

ولقد اتخذت أمثلة من هذه الرنوك لتأييد هذا الرأي ولكن بالبحث نجد أنها ضعيفة ولا يعتمد عليها (٢) . ولقد ذهب الاستاذ ماير في كتابه ان هذه الحيوانات لا تنطبق عليها هذه التسمية معتمداً في رأيه هذا على النتيجة التي وصل اليها من فحص الأمثلة التي اتخذت أساساً لهذه النظرية وعلى بعض المراجع العربية المعاصرة للممالك ولكنه للأسف لم يذكرها لنا غير أنه قال إنها لم تشر الى ان هذه الحيوانات تدل على صفات الأمراء

والشعار الذي يؤيد هذه النظرية هو شعار جمال الدين أجوش حاكم الكرك وهو الذي يدل رنكه (طائر أبيض) على اسمه وكذلك شعار بيبرس . ولكن سواء أكان ذلك مؤيداً لتلك

(١) انظر ص ٧ من مقال السكاكيت كرزوبل عن اعمال الظاهر بيبرس البندقداري في مصر والمنشور في مجلة المهد الفرنسي للآثار الشرقية ج ٢٦ القسم الثاني الصادر في سنة ١٩٢٦

(٢) راجع ص ٧ من Saracenic Heraldry للاستاذ ماير

النظرية أم مجرد مصادفة فلها ما زالت في حاجة الى التأييد وخاصة ان بعض هذه الحيوانات مشكوك في اتخاذها رنوكاً كما سبق القول

هل كانت الرنوك عامة ؟ بمعنى ان لكل شخص من خاصة السلطان مملوكاً كان أو أميراً حق حملها أم انها كانت قاصرة على فئة بالذات ؟ نستنتج مما قاله ابو المحاسن وأبو الفداء ان الرنوك كانت قاصرة على الأمراء ، والحق انها كانت كذلك اذ لم يرد اسم شخص غير السلاطين والأمراء على جميع القطع الأثرية التي وجدت والتي عليها رنوك ، واذا كان بعض رجال الدين قد حملوها فان ذلك راجع الى انهم كانوا من رجال السيف علاوة على وظيفتهم المدنية

ونستنبط ايضاً من كلامهما ان الرنوك كانت في أول الأمر منحة من السلطان ثم أصبح الأمر للأمراء يختار الواحد منهم الرنك الذي يروقه ، ولم يتبع هذا الاجراء الا بسبب كثرتهم ونستطيع ان نقول بمباراة أخرى ان الرنوك كانت في أواخر الأيوبيين و زمن دولة المماليك الاولى منحة وكانت في زمن دولة المماليك الثانية اختيارية . ولكن لا نعلم ان كانت تمنح للأمراء لشخصيتهم ووظائفهم أم لانهم من طبقة الأمراء . ويظهر أننا لا نستطيع النفرقة بين الحالتين نظراً لأن كل أمير كان له عمل ووظيفة يشغلها . قلنا ان الرنك هو رمز للوظيفة التي كان يشغلها الشخص يوم ان نصب أميراً ، فهل كان يغير رنكه تبعاً لتنقله في الوظائف وخاصة عند ترقيته في مراتب الامارة ؟ اختلف المشتغلون بالاثار بصدد هذا السؤال فمنهم من أيد الرأي القائل بتغيير الرنك مثل فان برشم الذي أبدى السبب في اتخاذ هذا الرأي ، ومثل جايه واردين باشا الذين لم يبدوا سبباً ما يؤيد رأيهما ، ومنهم من نفى هذا القول مثل الاستاذ مابر

ولقد اعتمد فان برشم في قوله هذا على شعارين مختلفين لأحد الأمراء وهو أقبغا ابن عبد الواحد والشعار الأول عبارة عن بقعة مرسومة على مشكاة والثاني كأس مرسومة على آنية كروية الشكل . وكان أقبغا هذا جداراً ثم استاداراً . ولكن قام الاستاذ مابر بفحص هذين الشعارين والتحققين واتضح له ان الشعار الاصلي (بقعة) موجود تحت الشعار الجديد مما يدل على أن الشعار ظل واحداً في كلا الزمنين وان هذا التغيير راجع الى انتقال ملكية الآنية الى شخص آخر استطاع تغيير الرنك ولم يستطع نحو الاسم . وكذلك اتضح من مقارنة الخططين أن الخط المكتوب على المشكاة اقل جودة من الذي على الآنية مما يدل على أنها متقدمة في الزمن على الآنية وهي التي عليها الكأس والتي اتضح بعد فحصها ان الشعار الاصلي (بقعة) موجود فيها تحت الكأس . من هذا نقول إن هذا الأمير لم يغير رنكه عند انتقاله الى وظيفة أخرى . وثم أمثلة أخرى تؤيد الرأي القائل بعدم التغيير ومنها عدم تغيير كثير من الأمراء لأشعرتهم على تحفهم المختلفة

قلنا ان الرنوك رمز للوظائف ونحن نعلم ان النساء لم يكن لهن حق في الوظائف ولم يشغلنهن ولكن بالرغم من ذلك وجدت رنوك تصاحبها اسماء سيدات . فما معنى هذا ؟ بفحص هذه الرنوك اتضح من بعضها انها لم تكن خاصة بهؤلاء السيدات بل انها خاصة بآبائهن أو أزواجهن الذين كانوا يشغلون تلك المناصب السلطانية التي تشير اليها الرنوك ^(١) من هذا نرى ان النساء كن يستعلن أشعرة آبائهن أو أزواجهن ويفقشنها على ما يشيد لهن من عماثر أو يصنع لهن من تحف

بقيت هناك مسألة أخيرة وهي مسألة الوراثة . فهل كانت هذه الرنوك وراثية ؟ أي يتعاقبها الأبناء والاحفاد عن الآباء والأجداد كما يحدث في الغرب . اختلف المشتغلون بالأثار بصدد هذه المسألة ايضاً . فمنهم من قال انها غير وراثية ومنهم من قال انها وراثية معتمداً على توارث ابناء وأحفاد قلاون لشعاره وشعار ابنه محمد وكذلك حمل بركة خان لشعار والده بيبرس

ولكن بالرغم من ذلك فإننا لانستطيع الجزم بأن الاشعرة كانت متوارثة اطلاقاً وذلك لقلة المعلومات عن ابناء امراء المماليك . غير اننا اذا ما عرفنا النظام الذي سار عليه الأمراء نحو ابنائهم من حيث انهم لم يسمحوا لهم بالانخراط في سلكهم ولم يقبلوا ضمهم الى زميرهم للاختلاف بين النشأتين ، فالامراء اصلهم ارقاء وابنائهم غير ارقاء وان المماليك لم يكن عندهم نظام وراثة العرش ، إن كان قد وجد في اسرة قلاون وفي تولية بركة خان بعد والده فانها حالة شاذة ولم تكن القاعدة المتبعة في الدولتين المملوكيتين —

اذا ما عرفنا كل هذا امكننا ان نقول ونحن مطمئنون الى صحة قولنا ان الأشعرة لم تكن متوارثة اللهم الا في الابناء الذين ينشأون نشأة حربية ويقفون آثار آبائهم أو يفلحون في الاحتفاظ بعروش آبائهم . اما باقي الابناء وهم الأغلبية العظمى فكانوا يوجهون وجهة غير حربية ويعدون للوظائف الدينية والدنيوية وبذلك يحرمون حمل أشعرة آبائهم وتوارثها

على ان الاشعرة عند المماليك لم يقدر لها ان تصل الى المكانة التي وصلت اليها في الغرب بالرغم من الفضل العظيم الذي يرجع الى المماليك في تقدم الرنوك في الغرب . أقول لم تصل لأنها كانت في الغرب وسيلة للتعرف على الشخصيات وقت الزوال وطريقة يهتدي بها الاتباع الى السادة وقت القتال لاختفاء معالم الوجه تحت القناع . وللاهتمام الشخصي العظيم الذي وجه اليها في الغرب دون الشرق لأن الابن كان يفخر بأنه يقاتل بالأسلحة التي قاتل بها والده ويعتز بأنه يحارب تحت الشعار الذي حارب تحته ومن أجله والده من قبل . ومن ثم كان الاهتمام العظيم الشخصي بالحفاظ على الرنوك وعلى ألا يستعملها اشخاص غير اصحابها مما أدى الى تسجيلها وسن القوانين لحمايتها والى عناية الهيئات والمعاهد بدراستها

دقيق مشبع بالفيتامين

انقلاب في عالم التغذية

نحن على عتبة انقلاب في عالم التغذية . فقد اضاف الناس قبلاً اليود الى ملحهم او مائهم لانه بقي من نقص اليود في الجسم وهو نقص يفضي الى حالات مرضية منها الجحوظ وصعوبة احتفاظ الحامل بالجنين . وسيطروا سيطرة علمية تامة على مصادر الماء لكي يمنعوا عنه ما يلوّث وما يفضي اليه الماء الملوّث من امراض كالحمى التيفودية وما اشبه . ولكن لا يعلم ان امة كبيرة حاولت من قبل ان تدخل تعديلاً أساسياً على احدى مواد الغذاء الاساسية كالذبق وما يصنع منه من خبز . غير ان بريطانيا عمدت الى مثل التعديل لتواجه به مقتضيات الحرب ، وجارتها ، الولايات المتحدة على اعتبار ان هذا العمل جزءاً من برنامج الدفاع الاميركي العظيم . والحقيقة ان العمل نفسه عملٌ صحيٌ قبل ان يكون عملاً حربيّاً وحسبُ وإنما عجّلت الحرب الاقدام عليه

واذا تذكرنا ان الجوع بمعناه العالمي الحديث (راجع صدر مقتطف مارس ١٩٤١) هو عوز الجسم الى مواد حيوية كالفيتامينات والمعادن قد لا توجد في مقادير وافية في الطعام ، علمنا ان هذا الانقلاب سينقذ من الجوع الحقيقي ملايين من الناس كانوا يأكلون ملء بطونهم . ومن عواقب الجوع بحسب تعريف العلم الحديث له التعب والضعف والهلم والقلق والخوف . فجوع الفيتامينات والمعادن يحول الناس مرضى لا جوعاً . ومن لا يتوافر في طعامه فيتامين C الذي في ثمار الموالح والبطاطم والكرنب يصاب بمرض يعرف بالاسكريوط . والشعوب الشرقية التي تعتمد في غذائها على الرز المقشور تصاب بالبريري . ذلك ان جوعهم به راجع الى عوز الجسم الى مادة حيوية توجد في غلاف حبات الرز الخارجي ودعيت هذه المادة اولاً فيتامين B ودعيت كذلك الفيتامين المقاوم للبريري . ولكن اطباء الولايات المتحدة قلما يرون مصاباً بالبريري مع ان ملايين من المصابين الاميركيين جيع الى هذا الفيتامين الا ان اعراض اصابتهم تبدأ اولاً بفقد الشهية للطعام ثم سوء الهضم والامساك ثم الضعف والاعياء وحالات مرضية تصاب بها البشرة واضطراب عصبي وعقلي . ولم يكشف الاطباء عن سر هذه الاعراض وأن مردّها الى نقص أحد الفيتامينات التي في فيتامين B واسمها الكيميائي ثيامين ، الا من عهد قريب

هذا الجوع الى فيتامين B لا يرجع الى تغذي الاميركيين بالرز المقشور لأن الاميركيين لا يكثرزون من أكل الرز. ولكنه يرجع الى اعتمادهم فيما يعتمدون عليه من الغذاء ، على دقيق جرد مما في حبوب الحنطة (القمح) من هذه المادة الحيوية (فيتامين B او الثيامين) . فالحنطة التي يصنع منها الدقيق تحتوي على الثيامين . وتحتوي كذلك على فيتامينات أخرى تطوي تحت ما يعرف عادة باسم فيتامين B لأن فيتامين B ليس فيتاميناً واحداً بسيطاً بل هو فيتامين مركب . وتحتوي كذلك على بضعة معادن لازمة . ولكن عندما يطحن القمح في المطاحن الحديثة ليصنع منه الدقيق الناعم الذي يسهل حفظه مدة طويلة ، يفقد من ٨٠ الى ٩٠ في المائة مما فيه من فيتامين ، ويفقد كذلك جانباً كبيراً مما فيه من الفيتامينات الاخرى والمعادن على نحو ما يتم في الرز عند قشره

ولما كان الخبز رخيصاً ويملاً حيزاً كبيراً في المعدة — أي ينشئ شعور الشبع — يعتمد عليه معظم الناس ولا سيما الفقراء في الجانب الأكبر من طعامهم . فكتب الاقتصاد البيئي في الحكومة الاميركية يقول أن كل أميركي يستهلك في السنة من الدقيق وسائر الحبوب ما وزنه ٢٠٠ رطل وفي رأي ثقة اميركي ان الأمة الاميركية تستهلك ١١ الف مليون رغيف خبز في السنة (١) أي ان الاميركيين يقبلون على الخبز للحصول على ربع وحدات الحرارة التي يحتوي عليها كل طعامهم . ومن الشعوب الأخرى من يأكل من الخبز أكثر مما يأكله الاميركيون . ولما كان خمسة واربعون مليوناً من الاميركيين لا يستطيعون شراء المقادير اللازمة من المواد الغذائية الأخرى ، فاعتمادهم على الخبز اكبر من المعدل

وقد انقضت سنون والعلماء يحثون الاميركيين وغيرهم على اكل الخبز المصنوع من دقيق الحنطة بما فيه رده (نخالته) لكي يضمن للاكل ما يذهب سدى في الردة من انواع الفيتامين والمعادن . وعلى الرغم من ذلك لم يزد ما يؤكل من الخبز السكامل زيادة تذكر . فاثان في المائة لا غير ، من الخبز الذي يباع في الولايات المتحدة خبز كامل وعلى ذلك فالخمس والأربعون مليوناً من الأميركيين الذين يعتمدون على الأكثر على الخبز في غذائهم جوع الى فيتامين B وبعض المعادن وهذا هو السبب الذي حمل الحكومة على وضع مشروع لاضافة هذه الفيتامينات والمعادن الى الدقيق والخبز الذي يصنع منه. فهذا الانقلاب في صناعة الخبز سينقذ عشرات الملايين من جوع الفيتامين وينفعهم بالصحة والقوة الجسدية والعقلية

(١) الرغبة عندهم كبير يفرع في أشكال مختلفة والمرجح ان المقصود هنا الرغبة الذي وزنه رطل

والطريقة التي اتبعتها الحكومة الأمريكية في فرض هذا على الأمة الأمريكية ستفرغ في قلوبها الرسمي في قسم الطعام والعقاقير بوزارة الزراعة الأمريكية حيث ينتظر ان يعرف «الدقيق» تعريفاً رسمياً جديداً يدخل فيه وجود نسبة معينة من فيتامين B وعندئذ يطلق على الدقيق الجديد اسم خاص يميز به. ولا يمنع الطحانون من صنع الدقيق الأبيض الخالي من الفيتامين ولا الخبازون من صنع الخبز من هذا الدقيق، ولكن عندما يصدر القانون يجب أن يكون الدقيق المعروف بالاسم الجديد محتوياً على العناصر التي يعينها التعريف الرسمي، وعندئذ يبحث جمهور الشعب على شرائه وأكله بجميع وسائل الدعوة والحث والإعلان. ومما يؤدي الى نجاح الدعوة ان ثمن الخبز المصنوع من هذا الدقيق سيكون رخيصاً فلا يزيد عن الرغبة الكبير منه الذي وزنه رطل على أكثر من نصف ملجم واحد بالقياس الى ثمن الرغبة الكبير المصنوع من الدقيق الأبيض الخالي من الفيتامين ولن يكون في مظهره أو طعمه ما يحول دون الاقبال عليه ولو لونه أقرب قليلاً الى السمرة وفي طعمه إثارة من طعم السمك

في شهر ديسمبر من سنة ١٩٣٩ جرّب طبيبان من أطباء معهد مايو الأمريكي تجربة خطيرة في ست نساء سليمات صحيحات اذ جعلتا يفديانهم بغذاء توافر فيه جميع العناصر اللازمة التي يحتاج اليها الجسم بحسب العلم الحديث ما عدا عنصر «النيامين». وطال أمد التجربة، وبدأت تظهر على النساء أعراض الحزن وخور العزيمة وأصبحن يشعرن بنوبات مفاجئة من الدوار والغثاس، واصيبت ظهورهن بالألم وعضلاتهن بالوجع وشق عليهن النوم وأخيراً بدأن يائسن أكل الطعام الشهي الذي يقدم لهن، وتعذر عليهن حصر الفكر وتذكر الاسماء والحوادث ثم أصبحن يصبن بالقيء قبل أن يقسرن أنفسهن على الأكل ودامت التجربة على هذا المنوال ثمانية وثمانين يوماً. ثم عمد الطبيبان المجرّبان الى حقن كل منهن حقنة تحتوي على مقدار يسير من «النيامين» فتحسنت حال كل منهن بغير استثناء بعد ساعات، فوقف القيء وأقبل النسوة على الطعام بغير حث وزال الاعياء والضعف

وفي يوليو من سنة ١٩٤٠ قرّرت الحكومة البريطانية، أن تشبع الدقيق الذي يصنع منه الخبز لشعبها، بالنيامين المبلور. فكانت الحكومة الأولى في التاريخ التي اعترفت بضرورة تجهيز شعبها عامة بالفيتامين علاوة على مواد الطعام الأساسية المألوفة. وعمل الحكومة البريطانية هو السند الذي استندت اليه الحكومة الأمريكية في وضع خطتها التي تقدم ذكرها. وفي مقال للدكتور پول دي كروف الكاتب الطبي الأمريكي المشهور ان جماعة الطحانين والخبازين في الولايات المتحدة أقبلت على الموافقة على هذه الخطوة بملء اختيارها

وكانت المشكلة الكبرى التي تعترض تنفيذ هذه الخطوة مشقة تحضير الفيتامين بالتركيب الكيميائي وفداحة نفقة تحضيره. فقد حضر الغرام الأول من الفيتامين المبلور من نحو أربع سنوات بأسلوب كيميائي معقد فكأت نفقته ١٧٥ جنيهًا. ولكن ما كادت جماعة الطحانين توافق على ذلك حتى نهض أرباب الصناعة الكيميائية بالعبء فاستطاعوا أن يخفضوا النفقة لتحضير غرام واحد من الفيتامين إلى أقل قليلاً من ريال أميركي. ومتى بدأوا يتوسعون في صنع الفيتامين لتجهيز جميع الطواحين ما يلزم لها منه ينتظر أن يخفض الثمن إلى أقل من ثمن ريال للغرام الواحد ويقدر ما يستهلكه الفرد من الفيتامين بهذه الطريقة بنحو غرام واحد في السنة.

وقد يضاف إلى الدقيق في أميركا فيتامينان آخران مشتقان من فيتامين ب B وهما الحامض النيكوتينيك والريبوفلافين (راجع مقتطف مارس صفحة ٢٢١ لمعرفة ما لهما من منزلة في صحة الجسم) ومتى تم ذلك أصبح الخبز حقاً «عكاز الحياة» Staff of Life وليس من المغالاة في شيء أن يقال أن هذه الخطوة هي أكبر عمل صحي تم في جيلنا

وبعد كتابة ما تقدم تلقينا بالبريد الأميركي رسالة العلم الأسبوعية بتاريخ ٨ فبراير ١٩٤١ فاطلعنا في صدرها على مقال يفيد أن إنتاج هذا الدقيق المشبع بالفيتامين والخبز المصنوع منه بدأ فعلاً في الولايات المتحدة الأميركية. وقد اتفق ممثلو مجلس البحث القومي في الطعام والاستمرار والجمعية الأميركية الطبية والطحانين والخبازين على تسمية الدقيق الجديد «الدقيق المعزز» والخبز الجديد «الخبز المعزز» enriched bread, enriched flour وكلمة enriched تعني تعزيز كفايته على التغذية. ومن هنا الاستعمال العربي الذي نقترحه. وفي حكم المقرر أن الحكومة الأميركية ستوافق على هذا الاستعمال فيصبح رسمياً وبذاع في طول البلاد وعرضها ويدعى الأميركيون إلى الإقبال عليه. والمنتظر أن يكون هذا «الخبز» معززاً بالفيتامين والحامض النيكوتينيك والحديد، كأنه مصنوع من دقيق طحن بالرحى فلم يفقد شيئاً من خواص القمح الأصلية. وينتظر أن يضاف في المستقبل القريب الريبوفلافين. وكل هذا بغير أن يتبدل مظهر الخبز أو طعمه. أما الثمن فالمرجح أن لا يزيد ثمن كيس من الدقيق وزن ١٢ رطلاً إلا ستة مليات بالقياس إلى الثمن السائر الآن.

وختمت المجلة مقالها بقولها: -- وهناك ما يبعث على الاعتقاد بأن الأمة التي تتناول هذه الفيتامينات في طعامها أقدر على تحمل متاعب الحرب والتهديد بالحرب من غيرها. وقد حثت اللجنة الحكومية الطحانين على المضي في إنتاج هذا الدقيق المعزز حتى يزيد ما تستهلكه الأمة من الفيتامين الذي تحتاج إليه. والطحانون شعارهم «أقصى السرعة، إلى الأمام»

فلسفة النشوء الخالق

موازنة بينها وبين فلسفة النشوء التي ألفها سبنسر

لحماء

قال الفيلسوف الاميركي وليم جيمس ، في فلسفة برجسن ، يوم صدور كتابه « النشوء الخالق » Creative Evolution : — ان هذه الفلسفة لأعجوبة حقيقية في تاريخ الفلسفة . ومادتها بدء عهد جديد فيه . أمّا شكلها فايقاع عذب رخيم او جدول غير جامح ، تتدفق المياه بين ضفتيه بانتظام ، وبدون عنف :

وقال الكاتب ويل دورنت الاميركي في كتابه « تاريخ الفلسفة » : — برجسن هو الفيلسوف الأوحى بفرنسا بعد ديكارت ، وفي اوربا كلها بعد كينت . فما هي تلك الفلسفة التي رفعت واضعها الى هذه المنزلة ؟ وما هي صورتها الفكرية التي يمكن تبينها بجملة واحدة ، او بوضع جمل ؟ ذلك ما اسوق هذه المقالة لتحقيقه واولاً — اسأل : ما هي القضايا التي ابتكرها برجسن ؟

١ — القضايا التي ابتكرها برجسن

ابتكر هنري برجسن أربع قضايا ، وعليها بنى فلسفته . والقضايا هي : —
الاولى : انه ، عدا المعرفة العلمية ، والمعرفة العقلية ، توجد معرفة فلسفية . ومعرفة متوسطة بين هذه وبين تلك المعارف ، وهي المعرفة البديهية .
الثانية : يتناول العقل قسماً من اليقينية ، وتتناول البديهة قسماً آخر . فالعقل يتناول المادة والبديهة تتناول الحياة . فيلامس العقل هذا الكون من الخارج . أما البديهة فتلامس الكون من الداخل .

الثالثة : ان الرأي القائل « ان اليقينية ساكنة » هو رأي زائف منبوذ فليست اليقينية ساكنة كما زعم ارسطو واضرابه . بل متحركة . وبالأحرى ان اليقينية هي الحركة بالذات .
الرابعة : ان الاستمرار يقارن الحرية التي هي هو . وهذه الحرية شرط لا بد منه للإبداع على هذه القضايا تركيز فلسفة النشوء الخالق
[ملخص عن الدكتور كار]

٢ - برجنسن وسبنسر

كان برجنسن في أول نشأته ، من عشاق فلسفة سبنسر . ولكنه عاشق عاقل ، لا يعميه الحب عن عيوب ما يحب . فلم يفت نفسه الحركة ادراك ما في فلسفة النشوء السبنسرية من عيوب وكانت تلك العيوب تزداد ظهوراً لهينيه كلما تقدّم . حتى تحول خصماً عنيداً لها . وتوزع نقاط الخلاف بينه وبينها في أرؤس ثلاثة . الاول : ما يختص بامر المادة والحياة . الثاني : ما يتعلق بالجسد والعقل . الثالث : ما يلاحظ الحرية والحتمية

ومعنى ذلك ان سبنسر يحسب الحياة ظاهرة مادية ، وبرجنسن يرى ان الحياة أصل والمادة عرض او ظاهرة لذلك الأصل . هذه اولى نقط الخلاف بينهما وثانياً — يرى سبنسر العقل ظاهرة بيولوجية . وبرجنسن يراه والمادة عنصراً واحداً معكوس اتجاه الحركة كما سيأتي . وبعبارة أخرى ان سبنسر لم يأخذ على عاتقه تبيان نشوء العقل ونشوء المادة بل يأخذ وجودهما أمراً مسلماً به . اما برجنسن فيبين نشوء العقل ونشوء المادة . ويحسب ذلك من أهم خصائص الفلسفة

ثالثاً — ان نشوء سبنسر ميكانيكي . وحوادث الكون بحسب رأيه حتمية . يطبق ذلك الحكم على العضويات كما يطبقه على غيرها . اما برجنسن فيرى العضويات متميزة على الجوامد امتيازاً جوهرياً . فأعمالها حركة طبيعية . وهي خلق مستمر وأرى من واجبي أن آتي اولاً على وصف فلسفة سبنسر وصفاً مختصراً . فيكون ذلك خطوة أولى في الكشف عن فلسفة برجنسن . ثم أتقدم الى الكلام في مؤلفات برجنسن ، والاشارة الى فحواها . ثم اذكر خلاصة مذهبه الفلسفي . واختم بالاشارة الى وجوه التباين بين فلسفة برجنسن وبين فلسفة سبنسر التي يبنذها

٣ - خلاصة فلسفة سبنسر

قضى سبنسر ستاً وثلاثين سنة في تأليف ما يدعوه « الفلسفة المركبة » . بدأ بذلك سنة ١٨٦٠ وانتهى منه سنة ١٨٩٦ . فأجزأ تأليف احد عشر مجلداً ضخماً . وهي : مجلد واحد في « المبادئ الاولى » واثنان في « مبادئ علم الاحياء » . وثلاثة في « علم النفس » واثنان في « علم الاخلاق » . واثنان في « علم الاجتماع » . ومجلد واحد في « الديانة » . رعى سبنسر بهذه المجلدات الى تجلية ناموس النشوء . اعني انه اراد ان يوضح فعل هذا الناموس في المادة والحياة والعقل والاجتماع والاخلاق والديانة

وقد وضع تعريفاً لناموس النشوء ، في قوله إنه : تقدّم من متجانس غير محدود ، ولا مطابق ، الى تباين محدود مطابق . ويتضح معنى ذلك بما اورد من الأمثلة

ففي عالم المادة : المتجانس غير المحدود هو الهوى الأصلية ، قبل تشكّلها بسائط ومركّبات . والنبات المحدود هو العناصر ، ومركّباتها . فالعناصر هي البسائط الأصلية المتباينة ، التي نعرف منها نحو اثنين وتسعين ، أولها الايدروجين وآخرها الاورانيوم . فهذه هي تباين محدود . والهوى قبلها متجانس غير محدود . والتقدّم من تلك الى هذه هو النشوء . كذلك ما تركّب من تلك البسائط ، هو تقدّم من متجانس الى متباين الخ .

هذا أوّل ميادين النشوء

وفي عالم النفس : المتجانس غير المحدود ، ولا المتطابق هو الشعور في أبسط حالاته . كشعور الطفل لدن يرى النور أوّل مرة . يلي ذلك مؤثرات عديدة كالاصوات والالوان والاشكال والاشخاص والحركات والحوادث . وكل ما يحدّث به الطفل من المهد فصاعداً . تنشئ هذه المؤثرات في نفس الطفل ادراكاً حسيّاً فتصوّرّاً فتصديقاً فاختياراً . فهذا التقدّم في حال النفس من متجانس غير محدود الى متباين محدود هو النشوء

وفي علم الاجتماع : المتجانس غير المحدود هو الأفراد البشريون في حال البداوة الأصلية . يوم كان الناس يعيشون في الغابات ، حفاة عراة جهلاء ، أو هم كالبهايم . هذا هو المتجانس غير المحدود

بعد ذلك تدرّج الأفراد في مراقي الاجتماع . نخاطوا الملابس . وشادوا المساكن . ومارسوا الزواج . وسنوا الشرائع . وألفوا الحكومات . ونظموا الهيئة الاجتماعية . فهذا التقدم من حال البداوة الى حال الاجتماع هو النشوء الاجتماعي وهكذا في علم الاخلاق ، والديانة . هذه هي صورة مصغرة لفلسفة سبنسر التي أحبها برجسن أولاً ثم عابها فهجرها . وألّف فلسفة جديدة دعاها «النشوء الخالق»

٤ — النشوء الخالق

ما هو ؟ أغير ما قال سبنسر ؟ أم ماذا ؟

يقول برجسن في مقدمة كتاب النشوء الخالق ، ان النشوء البشري زائف . لأن سبنسر أطلق ذلك التاموس على العالمين العضوي وغير العضوي . وبرجسن يرى بينهما فرقاً جوهرياً . فاللادة غير العضوية منفعة . لا حول ولا طول . أما الحياة فقوة فاعلة . وفي السكان العضوي ميل ورغبة وجهد . ولجهوده تأثير في ماجرية النشوء . فلا يجوز وضع السكان العضوي في مصاف الجوامد ، وإطلاق التاموس العامل فيها عليه . ويسند برجسن الى الجوامد صفتين تخالف فيهما العضويات

الصفة الأولى للجوامد : ان الجزء منها يمثل الكل دون تمايز . فالجزء من الحديد يمثل كل

الحديد والجزء من الفحم يمثل كل الفحم . وهكذا الشب والملح والذهب والهواء والماء والجلاتين الخ الخ (النشوء الخالق ص ٢٩)

الصفة الثانية للجوامد : ان الصيرورة فيها منظورة مقدماً لأنها ميكانيكية حتمية ، وما جريتها تكرر ، يجري على وتيرة واحدة ، دون تجديد أو إضافة . فالكيميائي مثلاً يعرف ما يحصل من تركيب الأوكسجين والايروجين في نسبة معلومة . وهو الماء . وكذلك ما يحصل من تركيب مقادير معلومة من الاوكسجين والنروجين . وهو الهواء . وكذلك من الصوديوم والكلور وهو الملح . وعلى هذا النحو يتمشى التركيب في غير العضويات ، فصورها المتولدة عن التركيب منظورة مقدماً . ولا يحدث في تكرار عملياتها ما هو جديد . ويقول برجسن ان هذه المواد هي الآن كما في دقيقة سلفت . فلا تاريخ لها . وان تغيرها انما هو عبارة عن نقل جزء منها من مكانه ثم اعادته الى مكانه . هذا هو التغير الممكن ان يحدث في غير العضويات بسيطة أو مركبة وليس كذلك العضويات . فأولاً ان الجزء منها لا يمثل الكل . بل هنالك فروقات في التركيب وفي الوظائف . فرأس الحروف مثلاً لا يمثل الحروف . وذراع الانسان لا تمثل الانسان كله . ففي العضويات ما ليس في المواد غير العضوية من هذا النحو . فيها مجموعات عديدة متنوعة الوظائف ، كالمجموع العظمي ، والمجموع العضلي ، والمجموع العصبي ، والمجموع الهضمي والدوراني ، والتمثيلي . وهكذا . وما قيل في نشوء أنواع جديدة يقال في نشوء افراد جديدة من حيث التنوع والتباين والاستمرار (ص ٣)

ثانياً : ان صيرورة العضويات لا يمكن نظرها مقدماً . لأنها ارادية حرة . فهي خلق لا تكرر او ان فيها خلقاً . انا نعرف منازل القمر فيمكننا ان تنبئ أين يبيت كل ليلة . كذلك نعرف الابراج الاثني عشر التي تحل فيها الشمس في مدار السنة . اما الانسان ، وقد نهض ، فمن يدري هل يذهب الى السوق او الى الكنيسة ، او الى الزهرة ، او الى القهوة ؟ ومن يعلم هل يعود ومتى يعود ؟ وكيف يعود ؟ لا أحد . لأن سير الشمس والقمر ميكانيكي حتمي ، لا خلق فيه . أما سير الانسان فهو اختياري ارادي . وبلغة برجسن : الانسان خالق افعاله : أي ان افعال الانسان حرة غير حتمية . فلا يمكن الانباء بها قبل حصولها كما يمكن ذلك في غير العضويات . ثم ان الدقيقة الحاضرة لا تدل عليها دقيقة سلفت كما في غير العضويات . لأن للعضوي تاريخاً . وفي كل لحظة هنالك شيء جديد . (راجع كتاب النشوء الخالق صفحة ٨-١٦) وفي الوسع ايراد أمثلة لا تحصى على ما تقدم . مثلاً : كرة الثلج تندرج من ذروة الجبل الى أسفل . وأغصان الأشجار تحرّكها الريح . وكرات البليارد تندفع بتأثير المضرب فيها . فهذه حركات ميكانيكية حتمية . أمّا انجاء الرضيع نحو النهد فهو فعل حيوي . وكذا ذهابه الى المدرسة ، او الى الزهرة ، او الى

غير ما ذكر. وكذلك حب قيس ليلاه. وهوى جميل بثينه. وما يفرغ على ذلك من الافعال والحركات. هو خلق لا تكرار. فلا يمكن ان ينظر مقدماً. ولا يجري على وتيرة واحدة

٥ — مؤلفات برجسن

لبرجسن اربعة مؤلفات كبيرة. عدا ما أتى من محاضرات. ونشر من مقالات. وأمل من دروس. في خلال ستين عاماً. وأول مؤلفاته «الزمان وحرية الارادة». والثاني «المادة والذاكرة». والثالث «النشوء الخالق». والرابع اصل الاخلاق والديانة «كتاب «الزمان وحرية الارادة»:

هو باكورة مؤلفات برجسن. اتم تأليفه سنة ١٨٨١. ومما جاء فيه: — ليست النفس كالمادة ذات ابعاد. ولا هي خاضعة للنظام الهندسي. ولكن لغاتنا البشرية، ومصطلحاتنا العلمية، تسوقنا عن غير قصد، الى وصف النفس بأوصاف المادة. فتجسّسها وليست جسماً. فينتج عن ذلك تطرّق الحتمية الى الافعال البشرية، وتحكّم الميكانيكا والرياضيات فيها. وهو خطأ قادنا اليه وضعنا الكم موضع الكيف، والميكانيكا موضع الارادة. فانّ المادة لا يمكن ادراكها الا بقيود فضائية (من حيث ذي طول وعرض وعمق) فلا تصوّرها الا ذات ابعاد. وليست النفس وأفعالها كذلك. فعاطفة الحب غير فضائية. أي أنها لا تشغل حيزاً. وكذلك الفكر والارادة والاستدلال، هي أفعال نفسية حرة من قيود الميكانيكا الهندسية

هنا يبحث برجسن في الزمان والمكان، وينتقد سبينوزا وليبنز وكنت، لأنهم خلطوا بين الزمان المجرد وبين الزمان الاضافي بداعي اشتراك اللفظ. فقادهم ذلك الى القول بالحتمية. فلكلمة زمان عنده مدلولان. الأول الزمان المجرد، مقياس الحركة، والثاني الزمان الاضافي. فالأول يمكن قسمته الى أجزاء كالسنين والأيام والساعات مثلاً. فهو خاضع لنا موص الفضاء. والحوادث منتشرة فيه انتشار الأشياء في الفضاء. ووحداته متتالية كحركات القطار، تأتي الواحدة بعد سابقتها. فلا تبدأ سنة ما لم تمرّ اختها. ولا تبدأ ساعة أو دقيقة حتى تنتهي سابقتها فالزمان المجرد هذا هو ظرف

أما الزمان الاضافي فهو الاستمرار، هو ما نحياه. هو اتصال لا يقبل الانقسام. وحوادثه متداخلة لا متجاورة. فيندمج فيه الماضي في الحاضر. فحياة النفس لا زمانية بمعنى الزمان المجرد. ولكنها زمانية بمعنى الزمان الاضافي. ولها وحدة كالحركة لا تقبل الانقسام. فان الحركة لا تنقسم بصرف النظر عن الخط، او الميدان الذي تحدث الحركة فيه فانه منقسم. فالعلم يتناول ميدان الحركة لا الحركة ذاتها. وهو عبارة عن التكرار في زمان وفي مكان. لذلك يمكن نظر ضرورته مقدماً. فيتعين الحسوف والكسوف قبل حدوثهما. وذلك فعل منطقي (به يتعين اللاحق

بتعيين السابق) فالرياضي يستنتج المثلث من اضلاعه وزواياه . والحاسب يستخرج المجهول بواسطة
المعلوم . والمنطقي يرى النتائج بالمقدمات

والاستمرار فعل بسيط (غير مركب) لا اجزاء له ، ولا وحدات فيه . فهو كيف لا كم .
اضافي لا تجريدي . والنتيجة اننا لا نقدر ان نخبر بصيرورته مقدماً . إذ لا نعلم ما سيكون من
امر الفعل ، لان هنالك احتمالات شتى . ومتى وجد الاحتمال بطل الاستدلال . فالارادة
الانسانية خالقة افعالها . ومع ان افعال الانسان مطبقة على نواميس الميكانيكا والمنطق فهي
حرة لا تعينها الميكانيكا والمنطق . هذا بعض ما في الكتاب الاول
كتاب المادة والذاكرة :

صدر برجسن هذا الكتاب سنة ١٨٩٦ . وهو أعقد مؤلفاته ، يفيض فيه في الكلام في
الدماغ والادراك الحسي والذاكرة والعقل والاستبطان والزمان والمكان والمادة . وجاء في ختامه :

١ : كل حركة بين سكونين هي غير قابلة الانقسام

٢ : توجد حركات نسبية رياضياً وبقينية طبعياً (كحركة الفكر ؟)

٣ : تقسيم المادة اجزاء منفصلة بعضها عن بعض ، هو تقسيم رياضي

٤ : الحركة عبارة عن تغير الحال لا تغير الشيء

لنا عالمان ضدان ، لا يأتلان بغير معجزة ، هما الحركة في الفضاء ، والادراك الحسي . هذا
الشعور غير الزمان المجرد بقياس الحركة . وتوجد ثفر بين الموضوعات المادية ، قد تضيق حتى
لا يكاد يشعر بها . بقياس نمو ادراكنا يفصل عملنا عن المستقبل . فقانون المادة البقاء في الحاضر
أي ليس لها ماضٍ ولا مستقبل

يفصل المذهب المثنوي العقل عن المادة (هو مذهب ديكارت القائل ان في العالم جوهرين
غير الله ، هما المادة والعقل) فيجب الجمع بينهما زمانياً لا مكانياً . وفي قرن الذاكرة بالعقل
تضييق الثغرة الكائنة بين العقل والجسد : ينتج مما تقدم

١ : ان جسدا آلة العمل لا غير

٢ : ليس الادراك الحسي والذاكرة شيئاً واحداً

٣ : يعطينا الادراك الحسي الأشياء في ذاتها

٤ : الفعلان الحقيقي والجوهري هما تحول الشعور والذاكرة

٥ : الذاكرة روحية ، أرواح . وليست اعلان مادة

٦ : ليست الذاكرة من وظائف الدماغ

٧ : التقريب بينها وبين الادراك هو تقريب العقل من الجسد [تنمة البحث في الجزء التالي]

العبقرية والتربية^(١)

لعلي أدهم

كلما ارتفع الحيوان في سلم الترقى كان عند ميلاده اشد حاجة الى الرعاية والتعهد وطول الحضانة ، وأحاط الحيوانات وأدائها وهي « الأمية » عند ما يصبح لها وجود مستقل وتنفصل عن غيرها بطريق الانقسام تكون مزودة بكافة الخصائص اللازمة لحياتها ومقومات كيانها ، وكلما ارتقى الحيوان وسما شأنه طال الأمد على احرازه الاستقلال بعد ظفوه بالوجود الفردي ، فالحيوانات ذوات الثدي تحتاج الى رعاية وطول تعهد قبل ان تستطيع الاعتماد على نفسها والاكتفاء بذاتها ، والانسان يتقدم بخطوات ابطأ وتستغرق حضانه زمناً أطول « وهو يحتاج في تنشئته الى عناية اكثر من العناية اللازمة لتنشئة سائر الحيوانات التي تمش على سطح الكرة الأرضية . وفي حدود الانسان نفسه فان نسبة مدة التربية تتفاوت بتفاوت نصيب الامة من الرقي والحضارة فالهمجي سرعان ما تكمل تربيته ويتيسر استقلاله والمعروف ان المرأة أسرع نضجاً من الرجل

وسرعة التقدم لا تدل بحال على التفوق العقلي التالي ، فالطفل الذي أسرع نموه وتكامل تكوينه في السابعة من عمره لا يستلزم ذلك ان نسبة نموه ستسير سيراً مطرداً وليس من المستبعد ان يحدث نقيض ذلك فيتعطل نموه ويمتنع تقدمه ، وقد ينشأ قصير القامة ضئيل الجرم ، والطفل الذي يبدو بآكر الذكاء وافر العقل قد لا يكون مبشراً بان عقله سيتابع تقدمه حتى يستتم نموه ويتبلغ منتهى أمده ، وبعض الاطفال المتخلفين عندما تتقدم بهم السن يكشفون عن ملكات باهرة وقوى عقلية ممتازة فالعلامة النباني الذائع الصيت لينوس Linnaeus كان في صباه يهمل دراساته المدرسية الى حد ان والديه ينشأ من تقويمه واصلاحه وصمما على انشائه اسكافاً ولكن بعض الاطباء لحظ مواهبه الغافية واوصاها بارساله الى المدرسة ، ولم يكن نيوتن تلميذاً نجيباً وكان في مؤخرة فرفته

(١) رجعت عند كتابة هذا المقال الى ما كتبه في هذا الموضوع الدكتور وليم هرش الالماني والمفكر الانكليزي نسبت (Nisbet) والفيلسوف برتراند رسل وغيرهم من الباحثين

وأهم من تفوق الطفل الباكر — وهو امر يعلق عليه بعض الآباء والامهات شأنًا أكبر مما يجب — توخي التناسق والملاءمة والأتران في تكوين العوامل النفسية المختلفة والجوانب العقلية المتباينة ، والانحطاط العقلي الذي يؤخذ على بعض الاطفال لا يدل في أغلب الاوقات على تقدم عام بطيء ، وانما يدل على أن العوامل العقلية المختلفة لا تنمو نموًّا متناسبًا ، وعلى أن هناك اختلافًا داخليًّا مصدره تفاوت مدى التقدم بين العناصر العقلية المختلفة ، ومن لوازم العقلية المتزنة المتناسقة الاحتفاظ بالتوازن بين الفهم والاحساس ، وبين الادراك والذاكرة ، وبين الارادة وقوة الملاحظة والانتباه

والتربية الصحيحة الحقة يلزم أن ترمي الى تناسق النمو العقلي وأن تعنى عناية خاصة بتناول الاطفال ذوي المملكات غير المتناسبة والموازن المختلة ، وبعض الاطفال منذ نشأتهم يبدو في أعمالهم وسلوكهم أثر الدوافع القوية والميول الخافزة ، وبعضهم يظهر تقدماً غير مألوف في إرهاب المشاعر وفرط رقة القلب ، وأمثال هؤلاء اذا تركوا وشأنهم ولم تشذب التربية الصالحة من هذا النمو الوجداني ، وأطلق العنان لمشاعرهم سرعان ما تنتابهم ضروب مختلفة من الهستريا واضطرابات الأعصاب ، وبعض الاطفال ينشأ بطبعه خامد المشاعر بليد الاحساس ، فمثل هؤلاء في حاجة ماسة الى ما يحفز مشاعرهم ويفجر العواطف في نفوسهم ، ومنهم من ينشأ ضعيف القدرة على حصر الفكر وتنظيمه فهو في حاجة الى من يأخذه بأساليب المنطق ويعوده التفكير الصحيح ومن المسائل التي لاتزال في مثار الخلاف تأثير التربية في الاخلاق ومدى استطاعتها ازالة اضطرابات عملية النمو وحركات التكوين ، وينكر بعض الناس تأثير التربية إنكاراً مطلقاً ، ويمتقدون ان العقري يستطيع في مختلف الظروف ان يشق طريقه ويدل ما يعترضه من العقبات ، والذين ولدوا مطبوعين على الاجرام لا نستطيع تقويم أخلاقهم وتهذيب طباعهم مهما نبذل من الجهد ، لأن عوامل الاجرام ستسير سيرتها وتؤثر تأثيرها وتتغلب على عوامل التربية الصالحة ، ولكن هذا الرأي لا يخلو من إسراف قد يعادله من ناحية أخرى اسراف القائلين بأن التربية تصنع كل شيء وتخلق المواهب وتوجه المملكات ، والانسان في نظر أصحاب هذا الرأي هو ما صنعتُهُ التربية وصاغته النشأة ، ونظريتهم قائمة على فكرة نفسية خاطئة مؤداها أن عقل الانسان عند ميلاده يشبه صفحة بيضاء ، وان ما يطرأ عليه من التغيير والتهذيب مرده جميعه الى التربية ، ولو ربى طفل على الاسلوب الذي تربى عليه جيتي لأصبح مثل حيقي ولو اتنا جعلنا أي انسان بمعزل عن الاحاسيس المختلفة لوقف نمو عقله وصوّحت عقريته ، ولكن الاحاسيس وحدها ليست كافية اذا لم يكن هناك الاستعدادات الكامنة والقوى الدفينة التي تثيرها وتبتغيها ، وأقوم تربية لا تستطيع ان تخلق من القدم الفبي حكيمًا راجح الحصة ولا أن تحيل الركيك العقلي عقريًّا موهوبًا

والطفل الذي يعاني منذ نشأته الباكورة ألم الحاجة ويرى حوله مظاهر القسوة والشر تبذل مشاعره ، وقد يبطيء ذلك في نفسه ظهور العواطف الكريمة والاحساسات النبيلة ، والطفل الذي أهمل تدريب عقله سيكون أقل قوة من الطفل الذي مرّن عقله وشجّد ذاؤه ، وقس على ذلك سائر المواهب العقلية مثل قوة الذاكرة والقدرة على الاستيعاب والتحصيل والارادة المتابعة والجد والميل الى الاتقان والاجادة ، فجميع هذه القوى تتأثر الى مدى بعيد بالمرانة والتعود وتدلنا التجارب والمشاهدات على أن التأثيرات التي تلم بالناس العاديين في مطالع حياتهم وأوائل نشأتهم يكون لها تأثير عظيم فيهم في سائر أدوار حياتهم ، ولا ريب في أن تأثر الطفل العبقري الموهوب سيكون أقوى وأدوم وأبعد مدى وأعمق جذوراً ، لأن مثل هذا الطفل حتى في طفولته الباكورة سيكون شديد اليقظة قوي الملاحظة ، وهو يستوعب التأثيرات ويحتزن الاحاسيس أكثر من غيره ، كما أنه سيكون أقدر من غيره على الاستنباط واستخلاص الحقائق من ثنايا التجارب والمشاهدات ومن شأن خياله اليقظ الوثاب أن يجعله أكثر استهدافاً للتأثرات من غيره سواء كانت تلك التأثيرات ضارة أو نافعة ، وبما يروى عن جيق أنه عند ما سمع وهو في السادسة من عمره زلزال لشبونة المشهور الذي هلك فيه ستون ألفاً في طرفة عين غامت نفسه ، ودبّ الشك في قلبه ، وانهار إيمانه بالعناية الالهية

وكثير من العطاء والعبقرين أظهروا استعداداً باكراً غير مألوف ، ولكن هذا ليس قاعدة مطردة ، فبعض العبقريين كانوا أطفالاً عاديين ، ومن الحقائق المعروفة أن كثيراً من الاطفال الوادعين لم يحققوا الا مال التي كانت معقودة بهم وخابت فيهم الظنون ، وربما كان مصدر ذلك اسباباً خارجية ، ولكن في حالات كثيرة يمكن أن زرداً أكثر تلك الأسباب الخارجية الى سوء التربية فان التربية الفاسدة قد تفوّت على العالم فرصة الانتفاع بثمرات الموهوبين والعبقرين

ومهما يُسَقَل في التربية والتقليل من خطرهما فإنها هي الاساس الذي يقوم عليه بناء الرجل والتأثرات التي تفشانا في الصغر لها تأثير حاسم في تكوين الاخلاق ، وهي التي تمهد الاستعداد والقابلية للأمراض العصبية والعلل النفسية ، وتأثير التربية يتلو في المنزلة تأثير الوراثة وكثيراً ما نغزو الى الوراثة أشياء ربما كان مصدرها التربية ، فالطفل في بعض الاوقات يقتبس ممن حوله الآراء الشاذة والميول المتنوية ويتشبه بهم في نظرهم الشائنة الى الحياة ويأخذ بأساليبهم المعوجة في معالجة مشكلاتها ، وذلك بدافع التقليد والافتداء ، ووجود الطفل تحت إشراف أب مشوّه العقل كثير الانفعالات مما يجعل سعادة الأسرة سريعة الزوال ولا يتيسر بذلك

تهبئة الأحوال التي تعين على نمو ملكات الطفل نمواً متسماً

وليس المهم في التربية مقدار ما حفظه الطفل ومدى ما تعلمه لأن ذلك يمكن تحصيله بالمثابرة والاجتهاد، وإنما المهم هو انماء القدرة على التفهم والتفكير المنطقي ودقة الملاحظة وحصر التفكير وهي أشياء يجب تعهدها منذ الصغر، وإذا أهملت فمن المتعذر استدراك ذلك واصلاحه والعناية بالتربية البدنية لازمة الى جانب العناية بالتربية العقلية، وربما كان الأطفال المبكرو الذكاء في حاجة أمس إلى تلك العناية، لأن امثال هؤلاء الأطفال يحسن ان يحد طموحهم ولا يباح لهم الاسترسال المطلق مع الأوهام والايغال في الأحلام وان يوجه نظرهم الى الحقائق الخافتة والوقائع المرة التي قد تعترض أحلامهم ويحلمهم يستفيقون من الغرور والزهو. ومن أهم الأشياء في التربية ان تسترعى نظر الأطفال الى تقدير المبادئ الأخلاقية السامية والنزات الانسانية السكريمة، وحب الحق والوفاء بالوعد والترفع عن الاثرة على شريطة ألا تلقنهم ذلك بطريقة جافة مملة، ومن أهم العناصر في تكوين الأخلاق وبناء الشخصية صقل العواطف، وتهذيب المشاعر، والتربية الحقة هي التي يعنى فيها بتربية العقل والقلب معاً

والأقاصيص المفزعة لها تأثير سيء في الأطفال المشبوبي الخيال، وهي تضعف شخصيتهم ونوحي اليهم الفزع والرعب، والأطفال الذين يغلب عليهم الخيال والوهم لا مفر من العناية بتوجيه التفاتهم الى حقائق الحياة، والاكثر من الأقاصيص المثيرة للخيال ضار بهم لأنها تباعد ما بينهم وبين حقائق الحياة، ولو ترك لأمثال هؤلاء الأطفال الخيال على الغارب لسكثرت أوهامهم وتداعت أحلامهم، وعندما تسفر لهم الحقائق تنقض على رؤوسهم قصور الأوهام وأبنية الخيال والتربية العلمية هي من أعمال الوالد والمربي، وتربية العاطفة والوجدان من واجبات الأم، وهذه التربية العاطفية تأثير كبير حتى ذهب المفكرون الى أن أكثر العطاء قد تأثروا بأمهاتهم، وهذا برنا الدور العظيم الذي تقوم به الأم في التربية وتكوين الاخلاق

وإذا القينا نظرة على حياة جيتي في ضوء هذا الرأي ظهر لنا أثر التربية الصالحة في انماء الملكات المتوازنة واستكمال نواحي الشخصية، وقد كان جيتي منذ طفولته بالكرة كثير المطالعة موفق الملاحظة منطقي التفكير مستقل الرأي، وقد تفتحت الى جانب ذلك شاعريته وتأهب عقله لقبول التأثيرات المختلفة، وقد قام أبوه بنصيب وافر في انماء عبقريته من الناحية العلمية، وعرفت والدته كيف تثير خياله وتحرك شعوره بالجمال والنبيل^(١)، وكانت تقص عليه كل ليلة الأقاصيص الحسان حتى يغمض السرى جفنيه

ولم يكن شاعر الألماني في بواكير حياته ظاهر التفوق والنجابة ولو انه كان مجداً

(١) راجع حياة جيتي للفكر الانكليزي لويز

ومثابرآ، وكان يشعر بأنه لا يستطيع ان ينال شيئاً بغير السكد والارهاق ، وكانت نشأته شديدة صارمة ، وقد احاطته أمه بحبو من العطف مشجع كان له تأثير كبير في تكوينه . ورافائيل فقد والدته في الثامنة من عمره ، وفقد أباه في الحادية عشرة . ولكن برغم ذلك تلقى تربية صالحة ، وكذلك جاليليو ونيوتن ومن اقواله عن امه « ان أنس لا أنس احيى فقد القت في نفسي بذور الخير وفتحت قلبي لتأثرات الطبيعة ، وأيقظت أفكاري وأبعدت مطارحها ولا يزال لما تعلمته منها اثر باق في حياتي » . وكثير من الشذوذ الذي نلمحه في حياة بعض العبقريين مرده الى عيوب لحقت تربيتهم ونشأتهم

وقد كانت ام شوبنهاور امرأة موهوبة ، ولكنها كانت فائرة المشاعر وقد نشأ بينهما خلاف أدى الى مقاطعته لها ومحافاتها إلباء ، وقد عاشت امه بهذه المقاطعة اربعة وعشرين عاماً دون ان يلتقيا او ان يرى احدهما الآخر ، ولو انها عادت الى مراسلته قبل موتها بستة اعوام (١) وحرمان شوبنهاور من عطف الامومة كان له تأثير عميق في حياته ، وقد كان لهذا الخلاف الذي ثار بينه وبين امه اثر ظاهر في سوء رأيه في النساء الذي بسطه في مقاله المشهور عن المرأة وكثير من السخافات والحقائق والاختلاف التي تتكشف عنها حياة روسو مصدرها التربية الناقصة والظروف الحرجة التي مر بها

وقد تولت تربية بيرون امه وكانت امرأة ضعيفة الاعصاب حادة الاخلاق فتمشت من جراء ذلك في اخلاقه بواعث الاضطراب وعوامل القلق والنبرم ولم تسر عبقريته في طريق النمو التام وكون كثير من العبقريين شقوا طريقهم برغم التربية الناقصة لا يناقض هذا الرأي لاننا لا نعرف مدى السكالم الذي كان يمكن ان يبلغوه لو حسنت تربيتهم واستقامت طريقتهم ، ومع ذلك فان كل قاعدة تدسع للشواذ ويتهوفن — وهو اعظم عبقرية موسيقية عند كثير من الناس — قد استطاع انماء عبقريته ولم يمه عن ذلك قسوة الظروف التي احدثت به

ويبدو تأثير التربية السيئة في الأطفال الذين رجح فيهم جانب التخيل على الجوانب الأخرى ، فان أمثال هؤلاء الأطفال يمكن أن يصيروا رجالاً صالحين لو مكنتهم ظروف حياتهم من التربية التي تعهد فيهم تقوية الذاكرة وابتعاث اليقظة واثارة الارادة في حين ان اهمال ذلك يلحقهم بالعبقرية الفاشلة الزائفة

وأثر التربية لا تتكفل به المدرسة وحدها وانما الأسرة لها نصيب وافريقه وبخاصة الام ، وجيل برناسن الصخري المنيع لا يبلغ الانسان قننه الا بعد المحاولات المتصلة والمجهود الدائب

المعرفة ونصف المعرفة

لجبران خليل جبران

جلس أربع ضفادع على قرمة حطب عائمة على حافة نهر كبير . فجاءت موجة هوجاء واختلطت القرمة الى وسط النهر فحملتها المياه وسارت بها ببطء مع مجرى النهر . فرقص الضفادع فرحاً بهذه السباحة اللطيفة فوق المياه لأنه لم يسبق لمن أن أبجرن من قبل

وبعد هنيهة صرخت الضفدع الاولى قائلة ، « يا لها من قرمة عجبية غريبة ! تأملن أيتها الرفيقات كيف تسير مثل سائر الأحياء . والله انني لم أسمع قط بمثلها ! » فأجابتها الضفدع الثانية وقالت ، « ان هذه القرمة لا تمشي ولا تتحرك ايها الصديقة وهي ليست عجبية غريبة كما توهمت . ولكن مياه النهر المنحدرة بطبيعتها الى البحر تحمل هذه القرمة معها وتحملنا نحن ايضاً بأحدارها » فقالت الضفدع الثالثة ، « لا لعمري فقد أخطأتما ايها الرفيقتان في خيالكما الغريب فان القرمة لا تتحرك والنهر ايضاً لا يتحرك مثلها وانما الحقيقة ان فكرنا هو المتحرك فينا وهو الذي يقودنا الى الاعتقاد بحركة الأجسام الجامدة » فتناظر الضفادع الثلاث في ما هو المتحرك بالحقيقة . وحي وطيس الجدل وعلا الصراخ بينهم ولم يقررن على رأي واحد

ثم التفتن الى الضفدع الرابعة ، التي كانت الى تلك الساعة هادئة صامتة تصغي اليهن بانتباه واستيعاب وسألنها رأيها في الموضوع فقالت لهن ، « كلكن على حق أيتها الرفيقات ولا واحدة منكن على ضلال ! فان الحركة كائنة في القرمة وفي النهر وفي فكرنا في وقت واحد » فلم يرقهن ذلك الكلام لأن كل واحدة منهن كانت تعتقد أنها وحدها المصيبة وأن رفيقاتها في ضلال مبين

وما أغرب ما حدث بعد ذلك : — فان الضفادع الثلاث تسالمن بعد العداء وتجمعن فرمين بالضفدع الرابعة من على القرمة الى النهر !

المذاهب المتباينة

في علم النفس الحديث

للاستاذ موكسلي

نقلها الى العربية : حسن السلمان

مدير منطقة معارف البصرة

من الأدلة على جدة علم النفس وعلى مرونته أن مادته لم تقس بعد ، ولم تتصلب لتتكون منها حقائق علمية ثابتة ، فالعلماء ما زالوا باختلاف حول أكثر ما فيه من نظريات ، وانهم لم يجمعوا كلمتهم بعد حول اصوله الاساسية وفروعه الاولى . وفي هذه العجالة يشرح الاستاذ موكسلي ثلاثة من المذاهب المتباينة المتضاربة التي يذهب اليها السيكولوجيون في تعليمهم الحالات النفسية عند الانسان والحيوان

علاقة العقل بالجسم

المتعارف عند اهل العلم ان علم النفس هو علم العقل ، ولما كانت صلة العقل بالجسم صلة وتقي ، صارت مهمة العالم النفسي البحث عن الفرد كمجموعة واحدة مؤلفة من العقل والجسم معاً . والباحث المفكر ما ان يتطرق إلى البحوث النفسية حتى يضطر ان يوجه عدة اسئلة فلسفية إلى نفسه ، أهمها ما هي صلة العقل بالجسم ؟ وهل العقل هو العامل المسيطر على الجسم المسير له الوجه لفعاليته ، او هناك ظاهرات عقلية ثانوية فسيولوجية معقدة كالادراك والتفكير والاحساس هي المسيطرة على الجسم المهمة عليه ؟ وهل الانسان جسم مادي لا يختلف عن الاجسام المادية الاخرى كالحجارة والصخر الا بالتقليد ؟ والغريب حقاً ان الذي يجب علم النفس الحديث الى الباحثين اختلاف ردود اصحاب المذاهب المتباينة على هذه الاسئلة الفلسفية . ويظهر ذلك جلياً من النتائج التي توصل اليها الباحثون في معضلة التعلم

تتحرك الاجسام غير الحية بحسب تأثيرات المواد الاخرى فيها ، اما الاجسام الحية فتتحرك بمؤثرين احدهما خارجي ، والاخر داخلي ، وهي تستهدف من وراء حركتها غايات فيها فائدة لذاتها او نفع لأفراد نوعها . فمما يحاول الشخص تعلم شيء ما يسعى اولاً الى التغلب على نوع من ظروف تحيط به غريبة عنه ، ثم يتم تعلمه لذلك الشيء بعد ما تتقوى فيه قابلية

السيطرة على تلك الظروف . ومهمة الباحث السيكولوجي تحليل الظواهر التي تتم بها تقوية قابليات الانسان وزيادة فعاليتها . وتحقيقاً لذلك سنحاول شرح بعض التجارب السيكولوجية المتعلقة بظاهرة التعلم

وضع فأرٌ جائع في محل كثير الشعب عديد المنعرجات مختلف المسالك ليس له إلا مخرج واحد ، وجائزته إن تخلص من هذا المأزق طعام لذيذ شهي . ففي أولى التجارب لم يستطع الفأر التخلص من المأزق الحرج إلا بعد ان مرَّ بكل جزء من اجزائه ، وربما يكون قد مرَّ ببعض الشعب غير مرة واحدة ، ولكن بعد ان توالى التجارب عليه صار يتحاشى المسالك العمياء اي التي ليس لها منفذ . فتعلم بعد هذا كيفية التخلص من المأزق بلا كبير عناء متبعاً أقصر السبل وأجدى المسالك . وقد أجريت تجارب شبيهة بهذه على بعض الأطفال والبالغين فربطت عيونهم فوجدوا انهم يستطيعون التخلص من المأزق التي حبسوا بها أو تعلموا كيفية التخلص منها في زمن أقل مما كانت تستغرقه الفئران ، وانهم كانوا لا يضطرون الى ولوج السبل التي لا منفذ لها اكثر من مرة واحدة أو مرتين . ومما لوحظ ايضاً ان قابلية التعلم عند الفئران تدريجية بينما هي متقلبة تقلباً فجائئياً عند الأطفال والبالغين وربما بلغت عند بعضهم حدّاً عالياً بعد بضع تجارب

وأجريت على شمبانزي تجارب تختلف بعض الاختلاف عن التجارب المارة الذكر لتعيين قابلية التعلم عنده . علّم هذا الشمبانزي أولاً كيفية أخذ قطع موز معلقة في سقف مستعيناً بعضاً طويلاً . ثم أعطي في احدى التجارب قطعتين قصيرتين من عصا يمكن تثبيت احدها في الاخرى . فحاول الشمبانزي بادىء بدء الوصول الى قطع الموز بشق الطرق مستعملاً لذلك قطعة واحدة من العصا ، فلما شعر بالحيلة ترك الموز مثلياً باللعب بالقطعتين وبعد بضع دقائق حدث مصادفة ان ارتبطت احدى القطعتين بالأخرى فلما أدرك الشمبانزي ذلك هجم مسرعاً لانتزاع قطعة الموز المدلاة من السقف . ثم حدث ان انفصمت عري القطعتين فثبت احدها في الاخرى وانتزع قطعة الموز وقبل ان يلتهمها حاول انتزاع كل شيء مدلى يمكن ان تصل اليه العصا . ولما اعيد اجراء التجربة على الشمبانزي ذاته في اليوم الثاني صعب عليه أولاً تثبيت القطعتين احدها في الأخرى ولكنه تمكن من ذلك بعد بضع دقائق فانزع قطع الموز المدلاة من السقف وأعيدت هذه التجارب على صغار فكانت النتائج شبيهة بنتائج تلك التي اجريت على الشمبانزي . فقد تعلمت طفلة لم تجتز الثالثة من عمرها كيفية الحصول على دمية معلقة بعيدة عن متناول يدها ، بعد ان اجريت تجربتان عليها في يومين متوالين . ففي اليوم الاول حاولت الطفلة شتى المحاولات للحصول على الدمية تارة بواسطة عصا وأخرى بدونها فلم تفجح .

وفي اليوم الثاني استطاعت الحصول على الدمية مستعينة بعضاً طويلة ولكنها لم تتعلم كيفية تثبيت قطعتي العصا احدهما في الاخرى الا بعد أن أعيدت التجارب عليها خلال أربعة أيام متوالية . وفي الايام الثلاثة الاولى كانت الطفلة تحاول الحصول على الدمية مستعينة بقطعة واحدة ولكنها في اليوم الرابع استطاعت وصل القطعتين معاً فسهل عليها الحصول على الدمية المعلقة

الافعال المنعكسة الشرطية

ولا نستطيع البحث في قابلية التعلم ما لم نتطرق الى التجارب التي أجراها بافلوف العالم الفسيولوجي الروسي المعروف، في ما يعرف باسم الافعال المنعكسة الشرطية. ان الفعل المنعكس جواب ذاتي لمؤثر حسي بسيط، يحدث ذلك الجواب كلما أثر المؤثر . وليس للارادة تأثير ما في الافعال المنعكسة فهي فطرية في الانسان والحيوان ، فاذا ما وخزت قديمي سحبتها من موضعها دون تفكير او قصد ، واذا ما ضربت احدى ركبتي عندما تكون مستعدة الى الاخرى انتفضت ساقى دون ان تكون لي ارادة في ذلك

وتتطلب الافعال المنعكسة صلة بسيطة بين الاعصاب الواردة الناقلة للمؤثر الحسي ، وبين تلك التي تقبل الابعاز العصبي المؤدي للحركة . ومركز هذه الصلة في النخاع الشوكي . وقد تكون سلسلة الافعال المنعكسة متصلة بعضها ببعض بحيث تكون الحركة العضلية للفعل الواحد هي المؤثر المحدث للفعل الثاني، وهذا للفعل الثالث وهلم جراً . فمثلاً اذا ما وخزت أرجل كلب أزيل دماغه من حجمته فانه سيتهحرك حركة لا تختلف في شيء عن حركة المشي . وسبب ذلك ان كل حركة بسيطة من هذه الحركة المركبة هي في منزلة الفعل المنعكس المؤثر للحركة التي تليها . وبهذه الكيفية تم الحركة العامة الناجمة عن وخز الرجل

وقد اختص عمل بافلوف باظهار ان المؤثر الحسي الذي يؤدي الى فعل منعكس خاص يمكن في ظروف معينة ان يستعاض منه بمؤثر مغاير له ، ومع ذلك سينتج الفعل المنعكس الاول . فاذا ما وضعت قطعة من الطعام في فم كلب سال لعا به ، وهذا فعل منعكس تقوم به الغدد اللعابية كجواب للمؤثر الحسي وهو الطعام . واجرى بافلوف تجاربه على كلب جائع فكان يذق جرساً قريباً في اللحظة التي يضع بها قطعة الطعام في فم الكلب ، فلاحظ بعد تجارب متعددة ان لعاب الكلب يسيل كلما سمع صوت الجرس ، حتى وان لم يوضع في فيه طعام ما . وعلى هذا فان سيلان اللعاب — الفعل الذي كان في الأصل فعلاً منعكساً جواباً للطعام عندما يوضع في فم الكلاب — أصبح الآن جواباً لمؤثر آخر — صوت الجرس — يختلف عن الأول تمام الاختلاف . ويدعو

بافلوف هذا المؤثر الجديد « المؤثر الشرطي ». أما سيلان اللعاب الحادث بتأثير هذا المؤثر فقد دعاه « الفعل المنعكس الشرطي » (١)

وأسفرت التجارب الأخرى عن نتائج غاية في الدقة وخطر الشأن منها لو أن حيواناً اعتاد الإجابة الشرطية ثم عرض لمؤثر شرطي فقط مرات متعددة لاخفتت الإجابة الشرطية ولتعذرت انثارها في الحيوان مرة أخرى . فإذا ما اعتاد كلب أخذ طعام أثناء قرع جرس ، فإن اللعاب يسيل فيه كلما سمع الصوت حتى وإن لم يقدم له طعام ما . ولكن بعد أن يتوالى القرع مرات متعددة دون أن يقدم له طعام ما فسيبطل سيلان اللعاب وسيقف تأثير صوت الجرس في الحيوان . وأجرى بافلوف تجربة أخرى شبيهة بهذه على كلب مستعملاً شوكتين رناتين تختلف ذبذبة الواحدة عن ذبذبة الأخرى نصف نغمة من نغمات السلم الموسيقي فقط وكان يقدم الطعام للكلب كلما رنت إحدى الشوكتين ويمتنع عن تقديمه له عند ما ترن الأخرى . فلاحظ أن الإجابة الشرطية تظهر على الكلب في الحالة الأولى ولا تظهر عليه في الحالة الثانية مع أن الفرق بين نغمتي الشوكتين قليلة غير واضحة

وأجرى باحثون نفسيون آخرون تجارب مماثلة لتجارب بافلوف على الأطفال فكانت نتائج هذه شبيهة بنتائج تلك فما لوحظ أن الخوف والفرع يظهران على الطفل كلما سمع صرخاً عالياً وما الخوف عند الأطفال غير جواب فطري شبيه بالفعل المنعكس . فإذا ما عرض على هذا الطفل فأرة بيضاء في أثناء سماعه الصراخ العالي فإن خوفه من الصراخ سيتحول الى خوف من الفأرة البيضاء حتى وإن لم يسمع صوتاً ما ، شأنه في ذلك شأن الكلب الذي يسيل لعابه كلما سمع صوت جرس ، حتى وإن لم يقدم له طعام ما . كذلك قد يتحول خوف الطفل من الفأرة الى خوف من كل ما يشبه الفأر حتى وإن لم يكن حيواناً . والشيء المهم في هذه التجربة معرفة الباحثين بأن الإجابة الشرطية إذا ما تحكمت في الأطفال تعذر تخلصهم منها على ضد ما هي الحال في الحيوان . وهذا في نظر الكثيرين أهم فارق بين الإجابة الشرطية في الحيوان والإجابة الشرطية في الانسان

ولنفحص الآن ، بعد أن قطعنا هذه المرحلة من البحث ظاهرة التعلم على أضواء النظريات المختلفة التي تدن بها المذاهب السيكلولوجية الثلاثة — المذهب السلوكي ومذهب الهيئة أو المذهب النموذجي (٢) ومذهب الدوافع أو ما يسمى بمذهب الغرض (٣)

(١) المقتطف — جرينا في المقتطف على تسميته الفعل العكسي أو المنعكس الحوّل لأن الفعل نفسه تحول من الاستجابة لوجود الطعام الى الاستجابة لقرع الجرس . وعلماء الانكابر يعترفون بأن كلمة Conditioned التي ترجمت بشرطي ليست موفقة ولكنها درجت Hormic or Purposivistic (٣) Gestalt (٢)

ان أكثر التجارب المارة الذكر اجريت على حيوانات او اطفال ناشئين، ولهذا فان الاستدلالات على الظواهر العقلية المستمدة من السلوك الخارجي كثيراً ما توقع الباحث في الزلل والخطأ. والسلوكيون يتمسكون بهذه الحقيقة ويرون أننا نستطيع تفهم السلوك الحيواني تفهماً صائباً اذا ما فرقنا بين العمل السلوكي والظواهر العقلية الشعورية المرافقة لذلك العمل واقتصرنا في دراستنا على العمل السلوكي وحده. ولما لم يكن الانسان الاً نوعاً خاصاً من المملكة الحيوانية وجب علينا اتباع هذه الطريقة في دراسة سلوكه لكي تفهم حقيقة حياته العقلية

السلوك ومسكاته

تعتبر تجارب بافلوف في الافعال المنعكسة الشرطية في منزلة المفتاح للنظرية السلوكية. والسلوكيون لكي يعملوا ظاهرة التعلم اهتماماً كبيراً بالتحسن التدريجي لقابلية الحيوان عند ما يتغلب على مشكلة من المشكلات. فالفأر الموضوع في المأزق لا يستطيع التخلص منه الاً بعد ما يمر بكل منعطف من منعطفاته ويتخطى كل جزء من اجزائه. وهو إن تعلم كيفية التخلص مما ألم به مجتازاً أقصر السبل في مدة وجيزة وبعد تنالي التجارب عليه الا ان سلوكه هذا لا قصد فيه ولا تفكير وقد اتبع التهجس والتلهس في ذلك. شأنه فيه شأن من اراد فك عقدة من العقدة وهو لا يعرف اولها من آخرها. وبسمي هذه الحال غير السلوكيين من العلماء بناموس النتيجة^(١) فالحركات التي تؤدي بالحيوان الى التخلص من المأزق التي وقع فيها يكون الدافع اليها الرغبة الملحة للحصول على ما ينتظره من طعام، وان الاثر الذي يتركه الفشل في نفس الحيوان هو الذي يحول دون اتيان الحركات التي لا تؤدي به الى ما يصبو اليه. وسلوك الفأر الذي تعلم كيفية التخلص مما حل به مؤلف من سلسلة من الاعمال مستخلصة من مجموع تصرفاته الاولى عندما وضع أولاً في المأزق. ولقد تم اختيار هذه الاعمال بحسب ناموس النتيجة

وبلاحظ مما تقدم ان اتباع هذا الناموس لا يمكن ان يتم ما لم يشعر الفرد بالرضا عن عمله او بعدمه. وهذان للتأثيران لا بد ان يتضمننا جهداً عقلياً بسيطاً كان ام غير بسيط. اما السلوكيون فانهم فسروا بالاستعانة بما وضع بافلوف من فروض، قانون النتيجة تفسيراً فسيولوجياً مجتازاً: فسلوك الحيوان المتدرب على القيام بعمل معين كخروج الفأر من المأزق، مؤلف من أجوبة شرطية متسلسلة، كل منها يكون في منزلة المنبه للجواب الذي يليه. وليست هذه الاجوبة والمنبهات الا اعمال عصبية من خصائص الجهاز العصبي. فالدماغ بحسب ما يقرره بافلوف يستخرج الاجوبة الشرطية ويصنف الدوافع العصبية الواردة من اعضاء الحس لا يصالها بالدوافع الحركية الخارجية من الجسم. ويعتبر السلوكيون الذين يذهبون مذهب بافلوف في

من الرضا عند رؤيته الهدف من نقطة (أ) وهذا الرضا هو الذي قوى عزمه وزاد سرعة حركته إما في المحاولة الثانية فإنه سيُشعر بالرضا عند وصوله إلى نقطة (ب) ومشاهدته لنقطة (أ) شاعراً أن هذه النقطة هي هدفه الثانوي . فإذا ما تكررت المحاولات فإن نقطة (ب) ستكون هدفاً آخر وسيشعر الحيوان بشيء من الرضا عند مشاهدة هذه النقطة من نقطة ثالثة هي نقطة (ج) : ويسندل مما تقدم أن الإدراك الباطني سيتحد مع الإدراك الخارجي وأن الشعور بالرضا الناجم عن الإدراك الخارجي سيؤدي إلى مضاعفة جهود الحيوان وإلى معرفة مسالك المآزق ومنعطقاته

وهذا التعديل الذي أدخله ماكدوجل على تعريف قانون النتيجة ذو شأن كبير ، فلقد كان القائلون به يزعمون أن الفأر سيُشعر بالرضا حالما يخرج من المآزق الذي وضع فيه . ولوصح هذا الزعم لصح القول بأن الرضا الذي يشعر به الفأر ذو أثر معكوس على الحركات التي أدت إلى تخلصه من المآزق . وبعبارة أخرى إن التعريف القديم يفرض أن العلة تتبع معلولها وهل في هذا شيء من المنطق ؟

ولنسأل الآن ما هو التعريف الذي يطلقه أتباع هذه المذاهب الثلاثة على الكائن الحي ؟ يرى السلوكيون أن الكائن الحي ليس إلا آلة معقدة التركيب تتحرك وتتصرف بتأثيرات مادية بحتة . ويعتقد أصحاب مذهب الدوافع بأن الاحساس الحية مؤلفة من عاملين متحدين هما الجسم والعقل ، وهذان العاملان يختلفان نوعاً والعقل أظهرهما . أما أتباع مذهب الجسالت أو مذهب الهيئة فيؤمنون بأن العقل والجسم مظهران لشيء ثالث أعظم شأنًا من كل منهما

يتضح للقاريء مما تقدم من البحث في المذاهب السيكولوجية الثلاثة وفي تبان الشروح لظواهر التعلم أن نظريات علم النفس لم تأخذ بعد شكلها العلمي النهائي ، وأن السيكولوجيا ذاتها ليست علماً بالمعنى المقصود من العلوم الطبيعية . وانا بدراسة علم النفس الحديث لا نصل إلى نتائج علمية متباينة فحسب وانما نجابه فروضاً فلسفية مختلفة الاتجاه شأنا في ذلك شأن الباحثين في علم الفيزياء الحديث . فكما أن الفيزيائيين لم يجمعوا كلمتهم بعد حول المعنى الشامل للمادة كذلك لم يتفق السيكولوجيون على المعنى الكامل للعقل . وانا وان كنا لا نشجع القاريء على رفض كل ما يأتيه به العلماء من فروض إلا أننا نطلب منه أن لا يسلم بها تسليماً أعمى . وخير له أن يكون حذراً من هذه الفروض والنظريات . وانا معتقدون بأن العالم سيواجه في السنين القادمة ثورة فكرية جديدة ستكون ولا ريب أشد أثراً من تلك الثورة الفكرية التي سببت انتقال الانسان من القرون الوسطى إلى العصر الحديث

أصغر أعداء الإنسان

« الفيروس » وخصائصه

كان إيفانوفسكي العالم النباتي الروسي يبحث في سنة ١٨٩٢ مرضاً نباتياً يصاب به نبات التبغ ويعرف باسم « آفة الفسيفساء » وقد وصفت بالفسيفساء لأن أعراضها إصابة ورق التبغ يقع متلازمة خضرة قائمة وفاتحة. واستخرج من النبات المصاب عصيراً ورشحه برشح دقيق المسام وخص إيفانوفسكي المادة التي جازت مسام المرشح فوجدتها صافية خالية من البكتيريا ولكنها تولد آفة الفسيفساء إذا فركت بها أوراق التبغ. فكانت هذه التجربة الدليل الأول على أول مرض يعزى الى ما يعرف بالفيروس *Virus*. ولم ينل هذا الكشف العناية الحليقة به حينئذ ، وإيفانوفسكي نفسه لم يدرك مغزى ما كشف وقيمه ، ومضى معتقداً ان البكتيريا سبب هذا المرض على الرغم من الدليل المستخرج من التجربة التي جرّبها ، والواقع ان منزلة « الفيروس » بين بواعث الأمراض المختلفة لم تفهم إلا في العقدين الأخيرين من السنين ولعل السؤال الأول الذي تنجبه إليه أنظار القراء عند الكلام على الفيروس هو هل الفيروس حيّ أو غير حيّ : ولكن ما هو الجسم الحي وما المقياس الذي تقاس به الحياة ؟ قال أرسطو من ألفي سنة « ان الطبيعة تدرج تدرجاً بطيئاً من غير الحيّ الى الحيّ بحيث تكون الحدود الفاصلة بينهما مبهمه ومشكوكاً فيها ». والغالب ان علماء العصر الحديث لا يستطيعون ان يضيفوا كثيراً الى ما قاله أرسطو في هذا الصدد

ان الأمراض الرئيسية المسندة الى الفيروس هي الجدري والحصبة وابوكعب (التهاب الغدة النكفية) وجدري الفراخ ووبأ الانفلونزا وشلل الاطفال وحُمى الحنطادق . وتصاب الحيوانات ولاسيما الطيور بأمراض تسند الى الفيروس منها الحمى القلاعية و « السيناكوز » — حمى الببغاء — وطاعون الدجاج وغيرها ، وتصاب السمك والحشرات بأمراض الفيروس والبكتيريا نفسها تصاب بافة تشبه الفيروس في بعض خصائصها وتعرف باسم البكتيريوفاج او « آكل البكتيريا ». والنبات من أصناف مختلفة يصاب بأمراض الفيروس وقد وصف العلماء ما لا يقل عن مائة وخمسة وثلاثين فيروساً نباتياً . ومن المتعذر احصاء المضار التي تنزلها أمراض الفيروس بالناس ، ففي وبأ الانفلونزا الذي تفشى في أعقاب الحرب العالمية الماضية لقي ملايين من الناس حتفهم بل ان عدد ضحاياها أربى على عدد قتلى تلك الحرب

وقد وصف إيثانوفسكي إحدى خصائص الفيروس البارزة الناشئة عن صغر حجمه وهي اجتيازهُ أدق مسام المرشحات ، وهي المسام التي لا تتجاوزها أصغر أنواع البكتيريا . ومنذ ما أثبت إيثانوفسكي ذلك أطلق على هذه المواد اسم « الفيروسات الراشحة » ، ولكن اسناد هذا الوصف إليها أخذ يفقد معناه الآن باطراد التقدم في عمل الترشيح

معظم اصناف الفيروس أصغر من أن يشاهد بالمجاهر المركبة (ولا نعلم حتى الآن ما قيمة المجهر الكهربائي في تبينها) ومع ذلك في وسع الباحثين أن يقيسوا حجم دقائقها . ومن الاساليب المستعملة لذلك تصفية سائل يحتوي فيروساً من خلال مسام معروفة اقطارها

فالسائل الصافي الذي يحتوي على الفيروس يصفى بالضغط من خلال سلسلة من الاغشية مسام كل غشاء منها أصغر من مسام الغشاء الذي قبله . وتستمر التصفية على هذا المنوال الى أن يثبت أن السائل المصفى لا يحتوي على الفيروس وهذه الحقيقة تمتحن بمقدرة السائل على توليد المرض الخاص المسند الى الفيروس الذي تحت البحث

بهذا الاسلوب قاس العلماء ما حجم الدقائق في عدد من الفيروسات التي تحدث امراضاً في الحيوان فوجد أن دقيقة فيروس الحمى القلاعية أصغرها اذ لا تزيد على عشرة مليمكرونات (المليمكرون جزء من مليون جزء من المليمتر) . وكذلك ثبت أن دقيقة فيروس « السينا كوز » (حمى البقاع) يبلغ قطرها ٢٧٥ مليمكرونات . ومن هنا يظهر ان دقائق بعض الفيروسات قريبة جداً من حجم الجزيئات الكبيرة من البروتين وحجم أدق أنواع البكتيريا . إلا أن ترشيح فيروسات النبات شاق . ومن مشكلاته ان دقائق كثير من فيروسات النبات ليست كروية بل عصوية الشكل ومسألة شكل الدقيقة ذات شأن لأن حساب الحجم مبني على فرض ان الدقيقة كروية وثانياً لأن مرور دقيقة عصوية الشكل من خلال مرشح دقيق المسام اصعب من مرور دقيقة كروية من المتعذر رؤية معظم الفيروسات بالمجهر ولكن بعضها يستطيع تصويره وقياسه في أحوال معينة والنتائج التي أسفر عنها هذا الأسلوب من البحث تطابق النتائج الأخرى المستخلصة من قياس دقائق الفيروسات بطريقة التصفية والترشيح

وليس ثمة ريب في ان المجهر الكهربائي سيكون معواناً عظيماً على دراسة هذه المواد . وهناك طريقة ثالثة لقياس حجم دقائق الفيروس وهي طريقة الجهاز المبني على القوة الطاردة من المركز . وقد بلغ من قوة هذا الجهاز انه اذا وضع داخله قطعة نقد من ذوات القرشين (نصف فرنك بالنقد المصري وهي قطعة فضية قطرها سنتيمتر ونصف سنتيمتر) ودارت الآلة بسرعة عظيمة بلغت القوة الطاردة لقطعة النقد من المركز مبلغاً يجعل ضغطها على الحدار الخارجي نصف طن وهو يستعمل لفصل الدقائق المختلفة الكثافة في المحلولات الغروية ، فالدقائق التي من كثلة واحدة تفصل بفعل الطرد من المركز عن السائل عندما تبلغ سرعة الجهاز حدًا معيناً ، وأخرى من

كنة أخرى تنفصل عندما تكون تبلغ سرعة الجهاز حدًا آخر. وبحسبان عوامل السرعة والوقت الذي ينقضي قبل انفصال الدقائق يتمكن الباحث من تعيين أوزان الدقائق وتستعمل الأشعة السينية للعرض نفسه. وجميع النتائج التي أسفرت عنها طرق البحث المختلفة متطابقة بوجه عام ولكن هناك وجوه من الخلاف ولعل سببه أن جميع دقائق الفيروسات ليست كروية وبين البكتيريا والفيروس شبه في تأثير الطائفتين بالحرارة والعوامل الكيميائية كالمطهرات. ولكن مدى تأثير هذه العوامل الطبيعية والكيميائية في أنواع الفيروسات متفاوت. فالحرارة تقتل جميع أنواع الفيروس ولكن درجة الحرارة التي تقتل بالفيروس الحيواني تختلف عن الحرارة التي تقتل بالفيروس النباتي. ومن الفيروسات النباتية ما تقتل به حرارة لا تزيد على درجة ٤٠ المئوية ومنها في الطرف الآخر ما لا يموت إلا بدرجة ٩٠ المئوية. والتعرض للحرارة في الحالين مداه عشر دقائق. وهذا التفاوت في التأثير بالحرارة مشهود في أنواع الفيروسات الحيوانية كذلك ومن الفيروسات ما يقتل به الكحول بسهولة. ومنها ما هو أشد مقاومة له. فمن الفيروسات النباتية ما يمكن حفظه في الكحول التي ستة أشهر غير أن يفقد قدرته على توليد الآفة والتجفيف يقتل معظم الفيروسات ولكنه لا يؤثر في بعضها. ففيروس « آفة الفسيفساء » يحفظ بقوته في ورق التبغ المجفف مدى سنوات، وهذا هو سبب العثور على هذه الآفة في ورق « السيجار ». وفيروس الحمى الصفراء يبقى فعالاً أشهراً ولو جفف وجمد ثم هناك تفاوت عظيم في مدى احتفاظ الفيروسات بفعالها خارج ثوبها (host) ولا يخفى أن المعالجة بالأشعة يفتك بالبكتيريا وهو يفتك كذلك بالفيروسات النباتية والحيوانية. ولكن الفيروسات أشد مقاومة للأشعة من البكتيريا مائتي ضعف.

إذا أخذ عصير نبتة تبغ مصابة بآفة الفسيفساء بعد مرث النبتة في هاون كان العصير سائلاً كثيفاً أخضر ضارباً إلى السمرة. ثم يصفى بمصفاة دقيقة فيصبح سائلاً بدياً صافياً. فإذا أضيف إليه بضع قطرات من الحمض الايدروكلوريك حتى يبلغ درجة معينة من الحموضة وقع فيه تغير مشهود إذ يغم أولاً ثم يتكون فيه راسب لا تخطئه عين الخبير. وهذا الراسب هو الفيروس نفسه. والترسيب هو الخطوة الأولى في سبيل الحصول عليه نقيًا. ثم يعالج بأساليب أخرى للحصول عليه مبلوراً. ولكن الفيروس لا يكون بلورات صحيحة مع أن الرأي الأول كان على هذا. وإنما يكون ما يشبه البلورات para-crystals أي أنها دقائق منتظمة كالبلورات ولكنها تختلف عنها في بعض أدق خصائص البلورات. وسواء أمبلوراً كان أم غير مبلوراً فالمسألة الرئيسية هي الحصول عليه نقيًا والفيروس خارج ثوبه لا يبدو كونه بروتيناً جزيئياً كبيراً معقداً. ولكن إذا وضعت دقيقته في ثوبه ولدت ملايين من الدقائق. أي أن الفيروس يتكاثر تكاثراً سريعاً في ثوبه الخاص فهو كالطفيل من هذا القبيل

[التمه في الجزء القادم]

أغنية البلبل

لمحمود المصير شهابه

طافَ في قلبي نشيدٌ بالني بملا نفسي
وأنا اليائسُ يا بلبلُ ما يهدأ يا سي
هذه كأسِي... فهل يرضيك أن تفرغ كأسِي؟
لا غدي بضحكُ لي فيها... ولا يرجعُ أمسي

أيها البلبلُ! إني ظامٍ لا فارو لهاتي!
هات لي ما شئتَ يا ساحرُ من لحنك هات
وأدرْ كأسك بالحبِّ لتحيًا فيه ذاتي!
سوفَ يفنى الجسدُ البالي وتبقى صبواني!

أيها البلبلُ! خذ أغرودة العشاق عني!
وتعلم كيف تحيا للهوى العذري مني!
عشها في القلب مهجور... ولكني أغني!
وأنا الشاعرُ يا بلبلُ دنياءُ التني

في مغاني الحسن يا بلبل هات نحن الثقينا!
ما علينا إن ملأنا الكون سحراً... ما علينا؟
الهوى ملكُ صبا، والصبي ملء يدينا!
فدع الألحان يا بلبلُ زوي شفتينا!

الهوى يا عابد الألحان كأسِي وشرابي
والمتى يا عاشق الأوهام همي وعذابي

وأنا في موكب الحرمان ودعتُ رغبتي
التي حُلِمَ فؤادي ، والآسى لحنُ شبابي

كلُّ صدىٍّ على الأينك يحبه حبيبُ
وأنا بينَ الورى في هذه الدنيا غريبُ
ليتها يا بليلي يوماً لفجواي تُجيبُ
ذهبَ العمرُ ... وما لي من لياليها نصيبُ

أنا يا بلبلُ في دُنْياي أحلامُ شريدِ
أنا لحنُ حارٍّ بينَ سمواتٍ وبيدِ
أنا معنى من شقاء الروح في قلبٍ سعيدِ
الظي مهدُ فؤادي ، والصدى وحي نشيدي

غربي طالت عن الروح ... فرُدَّني لنفسي
لم بعدُ ينشدُ قيثاري ولا تضحك كأسي
أنا من بعدك ضيعةُ سدى يومي وأمسي
وغدي؟ ... ضلتُ إليه النفسُ في ظلمةِ بأسِي

قبلةٌ حيرى على ثغري تنادي شفتيها
ملؤها شوقٌ ولكن أين من يحنو عليها؟
ويدُّ كلُّ منها رقدةً بين يديها
أنا يا بلبل منها قبسٌ حنٍّ إليها

نحن يا بلبل كأسان من الحب ملثنا
نحن سران جريحان التقينا فهنثنا
نحن لحنان حبيبان الى مهدك جثنا

الغرامُ العفُّ ما شئتَ من الدنيا وشئتُنا

باركي وحدة صدّاح أمانيه شقاء
كلما أضناه يأسٌ عادهُ منك رجاء
وخُذِيه ملء دنياك لشيداً يا سماء
هو في الحب فتاة ، ومن الحب بقاء !!

ها هنا معبد حسن لم يفارقه سناء
التقت فيه صدور ، وارتوت فيه شفاء
وتلاقى عنده العشاق ... كلُّ وهواء
فتعالي يا هدى رُوحِي نكن نحن حلاء

ها هنا أيك أغاريد وأعشاشُ قلوب
ما أرى فيها سوى إلفين كاللحن الطروب
هات لي زادي من الحسن وقيثاري وكوبي
ان يكن حبك ذنباً فأنا أهوى ذنوبي !!

ها هنله هيكلُ حبٍّ للمصلين مباح
سجدت فيه جباهٌ والتقت فيه جراح
ان الحانك يا بلبل للعشاق راح
فعلَى رَسْلِكَ ... قد طاش بهم منك مراح

ها هنا ... كم نعم القلب بأحلام اللقاء
يا ليا ليها ... لقد طال على الدنيا شقائي
أنا من خُلفتُ للحرمان أوهامي ورائي
وذوّت في نفسي الحيرى أغاريد هنائي

يا فتاتي !... كيف يرضيك شقائي يا فتاتي ؟
 في دمي شوق يناديك : تعالي يا حياتي !
 أنا في محرابك الطاهر طالت بي صلاتي !
 فدعيني ساعة فيه أبارك صبواني !

هذه قبشارة الحب تغني في يميني !
 فدعيني أطرب الدنيا بنجواك... دعيني !
 وأنا الناسك يا روجي ونسكي فيك ديني
 صلواتي بعض اشواق واورادي خيبي !!

أنا أغرودة أيامي وقبشارة عصرى
 أنا وحدي شاعر الحب ومن للحب غيري ؟
 تنفد الدنيا ولا تنفد يا حسناء شعري
 ويحف الزهر إن عاش ولا يذبل زهري

أنا للاشواق يا أنشودة الروح وقود
 شاعر أحيت في دنيا الأمانى وعود
 أبداً نجواه ألحان ودعواه سجود
 هو ان غبت فناء واذا عدت وجود

يا حياة القلب !... قد طال الى سعدي خيبي
 وأنا وحدي... فإن شئت الى حيي خذيبي !
 هذه دنياي ! مالي في الأسي ضاعت سنيني ؟
 سئمت روجي منها... فاذا مت اذكريني !

جامعة ليدن

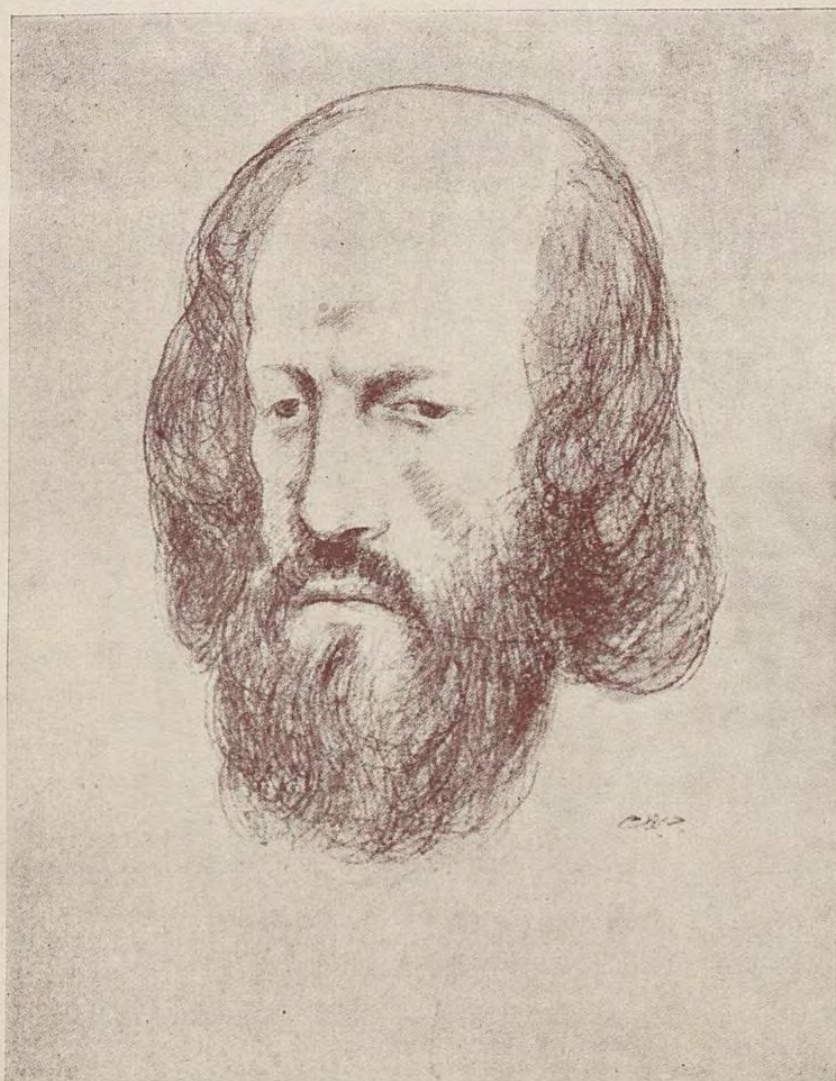
ووليم الصامت

لعل خير مثال يضرب على ما تتعرض له معاهد العلم الحر — والعلم لا يكون علماً إلا إذا كان حراً — في بلدان أوروبا المحتلة ، جامعة ليدن المشهورة في بلاد المشرق من أنجيتهم وآوتهم من علماء المشرقيات خاصة وما نشرته من كنوز الشرق العلمية النفيسة . ولكن ذلك لم يثن رجال الحكم النازي في هولندا عن ايجاد ابوابها وطرد اساتذتها او اعتقالهم ان قصة نشأة جامعة ليدن من أروع القصص في تاريخ الفكر . ففي سنة ١٥٧٤ كان قد انقضى على الهولنديين نحو ست سنوات منذ ما ثاروا على المستبدن بالامر فيهم حينئذ وكانوا رجال الملك فيليب الثاني الاسباني

وكانت ليدن حينئذ محاصرة وكان سكانها قد عاملوا بالاختبار ما يكون مصيرهم اذا سقطت مدينتهم في ايدي محاصريها . ولكن الهولنديين احرار في طبيعتهم ونشأتهم وكانوا يدركون انهم اذا غلبوا فقد انطفت في بلادهم شعلة الضمير الحر والفكر المطلق من قيود المستبدن . فلما دعوا الى التسليم أبوا . ولما اشتد الاعداء في حصرهم حتى جاعوا ، وفي اطلاق القنابل عليهم حتى دمرت بيوتهم ، صبروا على البلوى . ولكنهم نالوا اخيراً جزاء ما فعلوا ورفع الاسبان الحصار وعادت ليدن حرة وان كانت مهددة

عند ذلك سألمهم اميرهم « وليم الصامت » ان يختاروا بين اعفاء المدينة اعفاء دائماً من دفع الضرائب وبين انشاء جامعة فيها . فاختاروا الجامعة وفتحت ابوابها في سنة ١٥٧٥ وجعلت الآية المنقوشة على خاتمها « الحرية تتولى الامر » وليس من يجحد ما لجامعة ليدن على العالم أجمع من أيد بيض في شتى العلوم

اما الآن فقد اقفلت ابواب هذه الجامعة العربية . اقفلها رجال الحكم النازي في البلاد بدعوى ان طلابها كانوا نواة لمقاومة « النظام الجديد » . ولكن السبب الحقيقي هو ان البحث عن الحقيقة بحثاً حراً من كل قيد وهو غرض كل جامعة وقد تجلى تأثيره في ماثر جامعة ليدن مدى ثلاثة قرون ونصف قرن لا يتفق وفلسفة النازي ، ولا يلائم قواعد نظامهم السياسي القائم على آراء أمليت بالتحكم ولا تحتمل ان تشهد البحث ولا ان تشرح على مائدة العلم



الفزالي
(كما تصوره ورسمه جبران خليل جبران)

رأي في الغزالي

لحسن أنيس

فكرة

إذا صدق أن يطلق على الآراء المفردة وعلى الخطرات العقلية الموزعة ، بل أن صح أن يطلق على التثبت بالعقائد والتعلق بها في رضى الايمان والتسليم وفي حرارة المدافعة بالدليل الحدي ، والبرهان المنقول ، وتلقي الاشرافات والقيوض — أن صدق الفكر على هذا فالغزالي ففكر بل مفكر من الطراز الأول اضاف الى تراث الانسانية الروحي قدراً من المعرفة تفيد دراسته التفكير فائدة محققة

أما أن كان شرط الفيلسوف أن تجمع بين جملة نتاجه العقلي ، جامعة تنظم كل أنظاره في صورة من صور الوحدة النظرية ، التي تشمل دراسة الوجود وما وراء الوجود وما يقع بينهما من علائق مادية ، ونسب نظرية ، على نحو تتساقط فيه تمهيدات يتأدى عنها غايات ، ويجري فيه المقدمات على نمط من أنماط البحث يحصل بها وعننا نتاج فيه لون من ألوان الابداع العقلي تشهد لصاحبه بطرافة النظرة واصلالة الرأي

إذا كان هذا ما يميز الفيلسوف من مجرد المفكر فإن اضافة تسمية فيلسوف الآن الى الغزالي حكم سابق يتخيف البحث العلمي ويستبد بالنظر الحر الفلسفي . ودلالة هذا أننا لا نعرف باحثاً بعينه حاول درس الغزالي على هذا النحو فدل على مناهج تفكيره بل دل على خصائص نظرية وحدود وصور مذهبية تكشف عن قوام عام أو هيئة خاصة لمحاولات الغزالي العقلية وإن كنا نعرف بعض البحوث أو على الأصح بعض المحاولات القصيرة أو الطويلة لجانب من جنبات هذا لتفكير الغزالي ، الذي لا نستطيع معه الآن على الأقل أن نوجب أو أن نسلب فلسفة بعينها لهذا الرجل فنطلق الحكم فصلاً بعزل تراث الرجل في أحد مجالين : مجال التفكير الفلسفي المتسق في نفسه في وضع ميثاقين بقي يتعين فيه للرجل فلسفة وتصدق له دعوة فيلسوف ، أو مجال اللحظة النفسية الحاطفة والخطرة العقلية الواضحة التي ترسم في نجمها ، أو انتشارها ، رأياً يحمل طارئة ، أو يؤيد قاعدة ، أو ينفي قولة مما يهيء لصاحبه في نطاق المعرفة موضعاً بين

المفكرين والذين هم عندنا بحكم ما تلقوا من أنواع العرفان وبقدرة نهضة الطبيعة النفسية واستعدادها لهذا التلقي، وما ينشئ عن هذا من تلوين النظرة الى الحياة، مما يجعل المفكر منهم في موضع بين المثقف العادي وبين طبقة العالم المتخصصة أو الفنان الممتاز أو الفيلسوف صاحب النظرة الشاملة للحياة والذي تتضمن نظراته بهذا الشمول الممكن عموماً والزمان دواماً... هذه التفرقة لازمة وعلى التخصيص إذا ما كان الحديث يتناول العقلية الإسلامية التي كثر الحديث عنها من هذه الناحية في هذا العصر وأخريات القرن الماضي

والحديث عن آراء الغزالي يتصل اتصالاً تاماً، أو يكاد، بالحديث عن ترجمة حياته، لأنه واحد من المفكرين الذين يكون تسلسل ترجماتهم هو بعينه تسلسل حياتهم الروحية، ولأن هذا الحديث سيعيننا على الكشف عن الولايد التي كوّنت الأفكار الغزالية، كما يعيننا على فهم موضع الرجل من معاصريه بل وموقفه من خصومه ويوضح حاصل رأيه وحاصل الرأي فيه. وإذا كان هذا شأن ترجمة حياة الغزالي كان لا بد من عرض قصير يسير لحياته..... وإذا ففي عام (١٠٥٩ م — ٤٥٠ هـ) يولد الغزالي بطوس ويتوفى والده فيكفله صديق لآبيه متصوفاً يأخذه بتعاليم الفقه وغيره ولكن الغزالي الشاب يضيق بتعاليم الفقه في هذه الحدود الضيقة التي تدفعه الى إمام الحرمين في نيسابور يتعلم عليه «الكلام» ويدرس عليه المذاهب واختلاف اتجاهاتها كما يدرس المنطق والجدل مما يذيع في نفسه لونا من ألوان الحيرة التي تنبعث في القلوب الخصبية والعقول الكبيرة حين تريد هذه القلوب وهذه العقول أن تتفتح وحين تريد أن تفلت من أخطاء الجبارة، وما في جبروت هذا الخطأ من استبداد بالأفكار... ثم تأتي مرحلة يموت فيها إمام الحرمين فيتعرّف الغزالي على إمام الملك الذي يحضه أستاذاً في المدرسة النظامية وينصرف الغزالي الى التدريس كما ينصرف الى الدراسة القوية النشيطة المنظمة التي توفرها له هداة بسيرة من الحياة والتي لا بد منها لمن يشتغل بالمعارف المنظمة والعلوم الفلسفية. فيدرس الرجل مؤلفات الفارابي وتاج الشيخ الرئيس ويؤلف ماشاء له التأليف... ثم تأتي مرحلة يليح عليه فيها الشك الحاماً يقض هذا الهدوء بل هذا الاستقرار ويدفعه الى اليأس الحزين من قدرة العقل كوسيلة تُنال بها حقيقة الدين فيترك التدريس والدراسة ويخرج من بغداد خائفاً يترقب كأنما هذه الحيرة تتربص به أينما كان فهو شاك حار خائف لا يعرف أين يذهب فكل الأرض وجهته... يجاهد نفسه الوائناً من المجاهدة ويتحمس لرياضتها ضروباً من التحمس فينطوي على نفسه انطواءً يوشك أن يعزله في روحه عن عالم الشهادة: وإذا هو حيال هذا الكون المشهود لا ينفى ولا يوجب... فهو في دمشق وهو في القدس وهو في الاسكندرية لعله بهذا يتعلق

بسبب من أسباب السماء غير العقل الذي أبس منه سبيلاً الى قرار اليقين واصلاح أمور الدين وهو أبداً مشوق لأن يُكْتَسَب في عداد المجاهدين وهو دائماً يرجو أن يكون ممن « يرسلهم الله على رأس كل مائة سنة من المصلحين .. »

وهو ينتهي من هذا الى ان ينصب نفسه داعية من دواعي الاصلاح القائم على العمل والتنفيذ فيؤلف كتاباً من أكبر كتبه يرجو به أن يعيد مجد الدين أو يرفو به ما خرقته السنة الزنادقة والملاحدين . هذا الكتاب هو كتاب « احياء علوم الدين » ثم هو يرى أن يعود الى نيسابور فيواصل الارشاد والدعوة والعبادة حتى يدركه الموت في طوس سنة ١١١١م سنة ٥٠٥ هـ فيقع في الميدان كأي بطل من أبطال الفكر المجاهدين فيخلع عليه المسلمون لقب « حجة الاسلام وزين الدين »

﴿ موضع الغزالي من معاصريه ﴾ هذه ترجمة حياة الغزالي ثقفناها ما أمكن التثقيف الذي يوائم حيانه الروحية بحياته الزمنية والذي يبدو معها الرجل وهو يسير مع الحياة يصادف فقهاء يققون من الفقه عند حد النصوص ومتكلمين يحاولون جاهدين في مزج الدين بالعقل أو قل بصيغون الايمان في صور عقلية يبدو عليها القلق والصنعة لأنهم فيما يحتمل أرادوا أن يصطنعوا لهذه المادة الروحية قوالب نظرية فتخطفوا وجوه المذاهب الفلسفية في غير حذق وتربيت فجاءت شائنة ضاق بها الغزالي كما ضاق بها المسلمون زمناً ما... ثم أيضاً غير هؤلاء وهؤلاء تشأ في محيط الغزالي طائفة تمشدق بالرياضيات والطبييات وتأخذ بحظ مامن المنطق والفلسفة اليونانية ممثلة في القدر الهزيل من فلسفة افلاطون وأرسطو الذي أذاعه الفارابي وابن سينا وهناك أيضاً فرقة أو أكثر تهوى نفسها بأنواع من السلوك والمجادلة على الرياضة الروحية في لون من الحفاء والتستر حيناً، أو الفوضى والاباحة أحياناً رجاء أن تطمئن وتطامن غيرها من طريق أسنى وأرفع من العقل ، ويمثل هذه الطائفة معظم الفرق الصوفية

هذه أظهر التيارات التي كانت تجري في القرن الحادي عشر الميلادي وصاحبنا لا يكاد يبين نفسه منها ولا يكاد يفاضل بينها على أنه يرى من حق نفسه عليه أن يدرس كل هذه الدراسات فيندفع اندفاعاً قوياً الى الدرس والتحصيل يتمثل في قوله « أنهم جم على كل مشكلة وأستكشف اسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل »

فهو إذاً يدرس دراسة العارف المربد لا ليملاً نفسه ايماناً على طريقة المقلدين الذين يعتقدون ان الايمان تركة تورث ولا يتفهم بالمنطق كاليغاوات ، ولا يتفلسف ليملاً شذقيه تفخيماً باسم أفلاطون الالهى وباسم أرسططاليس المعلم الاول ، انما هو يدرس هذا وذاك ليتبين موضع الحق عند كل طائفة فيعينه ، أو محلاً للباطل فيحمل عليه وهو حين يخاصم طائفة يحاربها بسلاحها

ويقرها على نفسها بأدلة من نوع أدلتها (وسنبين هذا في موضعه من الحديث) . أما هذه الطوائف فيدعوها بأصناف الطالبين وهي عنده أربعة أصناف

متكلمون يدعون أنهم أهل رأي ونظر ، وباطنية يزعمون أنهم أصحاب التعليم المخصوصون بالاعتباس من الامام المعصوم ، وفلاسفة يزعمون أنهم أهل منطق وبرهان ، وصوفية يدعون أنهم خواص حضرة وأهل مشاهدة ومكاشفة ويقول « إن الحق لا يبعدو هذه الاصناف الاربعة » وأخذ يدرس معارف كل طائفة دراسة مكنته من وسائل الخصام بل جعلت للخصومة في حياة العقلية العربية قيمة هامة . ولكن ما مدى الخصومة وما حدود هذا الخصام ؟ !

﴿ الخصومة ﴾ . . . بل طريق الغزالي الى المعرفة وسبيله الى الحق كان يختلف اختلافاً بعيداً او قريباً من هذه الطوائف ونظرتها الى اليقين الديني والسبيل التي يتأدى بواسطتها على نحو نفسه فيما بعد مما أدى الى انه تارة يقف مناصراً لبعضها في ناحية من نواحي المعرفة وتارة نزاه منازعاً بل خصماً مردداً عنيداً لبعضها الآخر ، مما جعل الخصومة تشد تارة وتفتت تارة ، ويفسر لنا هذا نظرة الغزالي الى قيمة العقل واقتداره على معرفة الحق وهو يربط هذه الطوائف على قدر نظرتها الى العقل

أما قيمة العقل في نظر الغزالي فيكفي أن يضعه في موضع أدنى من مرتبة الذوق والاشراق الذي بدونه يصبح اليقين الديني ضرباً من الاستحالة ، بل هو يشك في قيمة العقل ويوجه إليه سهماً لعله يصيب (عنده) العقل في المقتل وفي أعظم موضع يعتز فيه العقل بذاته وبطبيعته ما كشفه من قوانين ، هذه الناحية التي ينقدها صاحبنا هي المعارف الضرورية ، ويخص منها قانون السببية فيقول بالنص « لعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل في كذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته — المنقذ ص ٧٢)

ومن هنا يمكن توقع نظريته الى الطوائف السابقة (اصناف الطالبين) ومدى خصامه لكل منها : فهو يرى ان المتكلمين كان غرضهم نصرة الدين والذب عنه بسلاح من البرهان والعقل وعجز هذا العقل عن السمو بالعقائد الدينية الى درجة اليقين ولكنه رغم خصومته لهم كان يشفق عليهم — أليسوا مسلمين !!

وهو أيضاً يقف للباطنية أصحاب الامام المعصوم فيدرس آراءهم ويؤلف في عرضها والرد عليها ويجوّد هذا العرض حتى يعاتبه أحد اصدقائه بأن هذا العرض يوقف الخصوم على ماغض من مذهبهم في نظرهم ، وطريقته في إبطال حججهم هي طريقة مألوقة توسم بطريقة « الفناقل » هو يزعم ان دعوى هؤلاء باطلة ضعيفة وان ظهرت قوية فهذه القوة ليست بالذات ولا من

الذات بل بالإضافة الى ضعف حجة خصومهم فهي قوة معتبرة وليست قوة حقيقية فينبري لهم هو خصماً ألد يعرف كيف يقهرهم ويدل على فساد نظرهم الى معلم معصوم مزعوم فليس هناك معلم غائب ولا هنا دعاة ينتظرونه ، انما المعلم هو محمد ودستوره كامل من يوم أن أنزل الله «اليوم اكملت لكم دينكم» وما يزال بهم حتى يشعر هو بالنصر ويقول في النهاية « فلما خبرناهم نفطنا اليد عنهم »

وهو مع المتصوفة يدرسهم ويدرس طريقتهم التي هي تصفية النفس وارهاف الذوق بالعمل حتى يحصل الحال فهو يدرس هذا ويعرضه ، ويعيب عليهم بعض سلوكهم ، ولكنه بعد يأخذ مبادئ السالمية والكرامية ويزيل عنها بعض الغموض ويوسع جنباتها حتى تصبح عند أهل السنة دعامة يمكن ان يقوم عليها صرح العلم في نظرهم ، هذا شأنه مع المتصوفة ومسالكتهم . أما شأنه مع التصوف فله معه حال فسبقني عليه الى أن تم جنبات الخصام . يعرض خصومته في أعلى صورها عند الفلاسفة وهم صنف من «أصناف الطالبين» ولكن موقفه معهم وموقفهم معه لم يكن من السهولة واليسر كما كان مع بقية «أصناف الطالبين» ، انما هنا الخصام يتسع اتساعاً قوياً حتى يكاد يلون أفكار الرجل جميعاً ، ويستغرق معظم تفكيره ، وهذه الفترة الحية من تفكير الغزالي حافز يستغرق الماضي من طرف كما يستغرق المستقبل من طرف ، فهو ينازع أفلاطون وأرسطو من قبل وينازعه ابن رشد من بعد ... وعندنا ان لهذا الخصام في جملته غرضاً واحداً له مظهران : فأما الغرض فهو أن يتزعم الغزالي حركة قوية ضد جملة المذاهب الفلسفية التي قامت في الشرق على أصول يونانية فيكسب بذلك نصراً للدين ويكتب في عداد المصلحين والابطال المجاهدين . أما أن الغرض أخذ مظهرين فذلك يتضح من أسلوبه في النضال . فمن الناحية الأولى يدرس الغزالي المسائل الرئيسية التي يدور حولها حديث الفلاسفة عادة ويعرضها عرضاً علمياً راثماً ، يدل على دقة الفهم لما يقرأ ، وقدرة العرض لما يفهم ، فأنت تقرأ في «مقاصد الفلاسفة» فكأنما تطالع لمؤلف في الحيل الحاضر فهو يعرض المنطقيات والطبيعيات والالهيات كاحسن ما يكون العرض ، ثم هو بعد ان ينتهي من هذا بشرع في تنفيذ الجزء الباقي أو المظهر الثاني لغرضه وهو مناهضة هؤلاء الفلاسفة بالفعل فيحاول ان يكشف عن تهافت حججهم وفساد أدلتهم في كتاب قيم هو «تهافت الفلاسفة» . وطريقته في ذلك طريقة لبقة حقاً فهو بصطنع لهم ما يصطنع القائد الماهر ، فيحمل سلاحاً من جنس أسلحتهم (المنطق) ويحصر موضع النزاع (١) ويقسم ميدانهم (طبيعيات ورياضيات والهيئات ومنطقيات ويضيف في المنقذ السياسة والاخلاق)

(١) في عشرين نقطة كفرهم في بعضها وبدعهم في البعض الآخر في التهافت مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلاً يجب تكفيرهم في ثلاث منها وتبديعهم في سبعة عشر المنقذ ٩٥

ويتوزع — ان جازت الاستعارة — هذا الجيش على جناحين وقلب، اما الجناحان فهم طائفة الدهريين وطائفة الطبيعيين، وأما القلب فهم طائفة الالهيين والطائفة الأولى تكرر الله وترغم ان الوجود موجود بالذات ومن الذات. والطائفة الاخرى لا تجعل للصانع الا مكاناً ضيقاً في فلسفتها فضلاً عن انها تجحد البعث. وطائفة القلب مثال سقراط وأفلاطون وأرسطو هم شر من سابقهم لأن موضوعهم هو بالالهيات وتلك حظ مشترك بين الكفر والاحاد ليس بالاضافة اليهم وخدم بل ويتدرج معهم من تناول هذا الموضوع على طريقته. «في الالهيات اكثر أغاليط الفلاسفة» فقد خانوا فيما يزعم طريقته البرهانية التي يصطنعونها في المنطق والرياضيات وبنوا معرفتهم في هذا النوع من المعرفة على ضرب من التخمين والظن. فالجيش كله اذاً سواء منهم من في القلب ومن في الجناحين زنادقة ملاحدة فيحشد لهم من قلبه عواطف ومن عقله افكاراً يريد عارمهم عن حوزة الدين، ولكن العواطف ان تفعل في هؤلاء فأصبحوا لا يفعلون وهم بهذه الوسيلة لا يرتدون ولكنهم يستفيد من هذا السلاح كشارية تراجع بأمرها المسلمين ان يرتدوا عن هذا الحصن حصن الفلسفة فيحرض المسلمين على مقاطعتها ويحذرهم ألواناً من التحذير وينشأ بصور لهم آفاتاً في أبشع تصوير فهي قد تعدو على التوحيد من طريق مباشر او غير مباشر، ويتدفق الرجل في التخويف والتحذير حتى يبلغ حدّاً من التصوير شائعاً حقاً، يقتنع معه هو بتراجع الاسلاميين عن هذا الخطر فاذا هو اطمأن الى هذا ونال بسلاح القلب ما اراد، اندفع بمفرده كالسيل يقابل اعداء وخصوماً لا يعرف طريقة نزالهم وعدتها عامة المسلمين فينفرد لهم هو واحداً في ميدان العقل فيصاومهم بالمنطق فيدني ادلته على قانون التناقض ويفسد عليهم رأيهم في قانون السببية كما اسلفنا ويأخذهم من طريقة اخرى هي طريقة الالتزام فيقول «فألزمهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ولا انتهض ذائباً عن مذهب مخصوص بل اجعل جميع الفرق إلباً واحداً عليهم فان سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل، وهؤلاء يتعرضون لأصول الدين، فلنتظاهر عليهم فعند الشدائد تذهب الأحقاد» التفاتت ص ١٣ — ١٤ : كما ينهض لرد الالهيات من طريق لا يقل حصافة عن سابقه فهو لا يدخل لهم «الادخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت» وهو يلجأ الى هذه الطريقة فيما يظهر لغرضين: لان ذلك المبدأ يجري مع اصل من اصول الاسلام يقول «البينة على من ادعى». والغرض الآخر يتكشف فيه وجه الطرافة ذلك انه — فيما يبدو — يحرص على هذا المبدأ يأخذ منه ستاراً يقف من ورائه حذر ان يخوض مع الفلاسفة مسائل قد يعتاص عليه حلها ومن ناحية اخرى قد يكشف الحديث فيها عن خبرته ومدى معرفته بالفلسفة وخصوصاً مسائلها الدقيقة ... فلم لا يأتي من اخصر الطرق فيجادلهم في المسائل المعروفة ويعارض مسائلهم باشكالات مثلها ويلزمهم على أصولهم

الزامات لا يقبلها العقل فيوقفهم منه موقف الاحراج. وكتاب «تهافت الفلاسفة» ليس إلا بحالاً لهذا النزاع بينه وبين هؤلاء «الملاحدة» ويعني الرجل الجهد فيتصور ان هذا الجيش قد اكل قلبه الجناحين ثم بعد ، أكل هذا القلب بعضه بعضاً . ويظهر هذه الصورة وهذا الأمل فخوى هذا النص : «الصف الثالث : الالهيون : وهم المتأخرون منهم : سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية ، وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم . « وكفى الله المؤمنين القتال » بتقائلهم ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبله من الالهيين ، ردّاً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم . الا أنه استبقى ايضاً من ردائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها ، فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الاسلاميين كأبن سينا والفارابي وغيرها « المتخذ ٨٥، ٨٦ » والى هنا يعيننا الحديث على أن نكشف صورتين يتضح بها مدى تفاعل هذا الجهد العنيف ومبلغ اثره وتأثره في المحيط والوسط كما — سيعيننا على فهم الصورة الباقية لحياة الرجل الروحية ، وليست هاتان الصورتان الا الصورة المنطقية للخصومة والصورة النفسية لها

﴿ ١ — الصورة المنطقية ﴾ ان النظرة العقلية المتبعة للذهن الاسلامي في مراحل نموه وترقيه وملاحظة الخصومة في وضعها المتجرد بين الخصم والخصوم وانتقال الخصم في ميادين الخصام وعلى الاصح ترقيه من مجال الى مجال فوقه ليُظهر أن التطور المنطقي للفهم النوعي للتفكير الاسلامي هو التطور المنطقي للخصومة وهو أخيراً التطور الفردي للتفكير الغزالي ، فالعقلية الاسلامية تقف عند المسامات في طورها الأول ممثلة في النصوص الدينية من قرآن وحديث ، وهي بعد تريد أن تمس العقل من بعيد فيكون لها ذلك على يد فقيه كبير هو ابو حنيفة النعمان الذي فتح بالقياس مسرباً يسيل منه الدين الى العقل حتى يكاد يوازيه عند المتكلمين ثم بعد يريد الذهن الديني أن يصعد عند متفلسفة الاسلام الى موضع يكون أو ينبغي ان يكون له عنده قواعد اعتقادية مجردة منضبطة بضوابط منطقية... هذا تطور الذهن الاسلامي الى القرن الخامس الهجري ، ويوازي هذا تطور الخصومة . وليست فترات النضال الا قفزات الانتقال من مرحلة الى مرحلة حتى بلغ النضال مرحلته الاخيرة في النضال الفلسفي . وواضح من إضمار الخصومة للعقل الفردي الغزالي من محاذاة هذا العقل المفرد وتلاحقه بالصور والأطوار السابقة والتي استبقينا عندها الذهن الغزالي في مرحلته هذه عند آخر المراحل للذهن النوعي الاسلامي والتي استبقينا عندها الغزالي بدرس الفلسفة وبخاصم الفلاسفة ويعرض وبعارض مشكلاتهم — هذه هي الصورة المنطقية التي تتضح بما يوازيها من الصورة النفسية الآتية

﴿ الصورة النفسية ﴾ لكن هذه الصورة النفسية عسيرة لأنها دقيقة ولأنها لا تستلزم من الباحث فقط الملاحظة المباشرة لمادة اللفظ وضوابط المعنى بل تلزمه التمسك بالحياة الإسلامية من ناحية ومعاشرة الغزالي إن صح هذا التعبير فيكسب بذلك الفة ، يفهم منها مكنونات الذهن ومضمرات الحديث ومراميه ... ويكاد دُرَّأس هذه الناحية لا يتفقون عند صفة نفسية واحدة للروح الجمعي الإسلامي وإن كانوا قد وقفوا على بعض الصفات للنفسية الغزالية ونستطيع أن نقول أن الذي يراقب النفس الغزالية عن كثب يلحظ صوراً روحية قد تخالف في الظاهر ما يعرضه الرجل مُنضبطاً في صور وقوالب منطقية ولكنها في الحق تلتقي معها عند أصل واحد بعيد، هذه الصور الروحية التي تستجيب الواحدة للآخرى استجابة التأثير للمؤثر لا الاستجابة المحتومة بالقيد العقلي بين النتيجة والمقدمة ، والفرق واضح بين منطق القلب ومنطق العقل

هذه الصور التي تستجيب الواحدة للآخرى تلاحظ بينها وبين الطموح والوثوق القلبي لا (العقلي) نسبة وعلاقة . ومرد هذا طغيان السمة الشعورية على السمة العقلية وانتشار المجال الذاتي وتقلص النظر الموضوعي مما لا تكاد نجد له شذوذاً في أي من الظواهر الجمعية الإسلامية بل لا تكاد نسمع له نشوذاً عند أية عبقرية إسلامية . والعبقرية الغزالية عبقرية تجمعت لها بما هي به عبقرية نداءات الروح الإسلامي الموزعة في جيله وصدرت عنه هذه النداءات كلها في صوت موحد وفي نفس مفرد ولكنه انسجام للروح الجمعي واتساق للفكرة الإسلامية ، وليست ألوان التحمس التي كانت تفلت من يده أحياناً في ميدان المعقولات فيعرض بالفلاسفة في مناسبة وغير مناسبة ، إلا أطراف الطبيعة الذاتية والشعرية في هذه النفس الفردية تصلها بأصولها السكائمة أطرافها الأخرى في طبيعة العقل الجمعي الإسلامي

وستترك هنا هذه الموازنة بين العقل الجمعي والعقل الفردي لتكمل الصورة الأخيرة من نفس الغزالي والتي يبلغ تمام الصور الروحية له إذ هذه الصورة تضع نفسها فوق مرحلة النضال الفلسفي وتوجهها

﴿ أعلى الصور ﴾ والوثبة التي تلي هذا النضال الفلسفي أو الصورة التي تعلو عليه والتي نجدها عنده هي حالة الشك . والحق أن هذه المرحلة لا تزال (غفلاً) مع سمو منزلتها فإن علة هذه الحال لا تقصر فقط تمام الحياة الغزالية إنما قد تنفض بعض الغبار عن حواشي التفكير الإسلامي ... ويرجح في نظرنا من بين ما يمكن افتراضه للتعرف في هذا المجال العلمي على السبب الذي يشرح هذه الحال ، فرض أن الغزالي كان عليه بعد الوقوف على الاتجاهات الفلسفية وفهمها نوعاً من الفهم ومعارضتها نوعاً من المعارضة ، إما أن يعمق نفسه ويترك عقله حراً متمادياً في

البحث فيكشف نظرة أصيلة تحل مغلفاً في الحياة وإما ان يترك المجال الفلسفي ، يراجع نفسه الى طمأنينة الدين وسلامته

أما التعمق الميتافيزيقي الذي قوامه النظر المتجرد والعقل الحر المتماضي فلم يتيسر للغزالي بل لم يتيسر لطبيعة المحيط والوسط ونحن لا نشك في ان الرجل له علم بالفلسفة واحاطة ، ولكن طبيعة عالم الفلسفة شيء وطبيعة الفيلسوف شيء آخر. فعبقرية الفيلسوف قائمة على أصول من النظر العقلي الحر المتجرد العميق الهادى المتصل اما عبقرية الغزالي فكانت عبقرية وثابة ، عبقرية دينية تحس فيها حرارة القلب وتوهج الايمان كما تبدو فيها ومضات الالهام. فهذه طبيعة العبقرية الفلسفية وتلك طبيعة العبقرية الدينية ، وكان على عبقرية القلب ان تلاقي عبقرية العقل او قل كان على العبقرية العربية ان تلاقي العبقرية اليونانية ، وكان من المحتوم ان يقع التصادم بين الروح الديني والعقل الميتافيزيقي ، ووقفه الشك ليست الا تعليق الحكم وهنا تبلغ العقلية الغزالية الى أعلى صورها النسبية

هاصل الرأى

واذ تنتهي المفاضلة بين حرية العقل في الجو الميتافيزيقي وبين الاستسلام والطمأنينة في ظل اليقين الديني ، تنتهي حالة الشك ، ويضع ما علق من حكم ، بما رجح عنده من الموضوع الشعوري على الموضوع العقلي ، بل موضوع القلب على العقل ورجحان الذوق على المنطق بل ربما رجحت عنده المفاضلة في وضعها النفسي بين الطمأنينة في ظل الاستسلام القايي والتعلق المذهبي واليقين الديني ، على الاغتراب العقلي في حرية التفكير الميتافيزيقي وكان نتيجة هذا لونا من ألوان التصوف ، فقضى الرجل بذلك على آرائه ان تمشي في ظل الاحياء وهي خادمة للدين واللاهوت. وأبت طبيعة المحيط والوسط بل طبيعة النوع الأصيلة أن تصرف هذا الجهد النفسي في تيار ميتافيزيقي له من كفاية الدرجة ما كان يكشف عن غاية من غايات الحياة المطلقة فيسعد الانسان وهو على الأرض وفي هذا الوجود المشاهد ، بل اقتضت ارادة طبيعة الوسط السابقة أن يسعد الغزالي الانسان في السماء وفي ذلك الوجود الغائب وهذه خصائص العبقرية الدينية التي توفرت للغزالي في مشتملاتها بل في نسقها العالي ، والذي استطاع بها أن يلفت اليه العالم بقوة وأن ينال التقدير والاعجاب. إن الناحيتين الفكرية والقلبية وامتزاج الحالتين امتزاجاً يجعله على رأس المتصوفين العارفين المرئيين كما يضعه هذا الامتزاج في الصف الأول من المفكرين : فهو صوفي عارف ، ومفكر قوي ، ولكنه ليس بفيلسوف طردأ لعنى الفيلسوف على ما نهينا عليه من حدود

رحلة ابن بطوطة

وما تنطوي عليه من نبات وشجر

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ٣ —

١ — وقال في ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيماً وتكريماً ما نصه : —
« وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة بطوال
مفرطة الطول من خشب الساج^(١) الى آخر ما أورده »

وأقول إن الساج يسمى باللسان النباتي (Tectona grandis, L.) وبالانجليزية (teak) وبالفرنسية (tek ou teck) وفصيلته القرينية (Verbenaceae) والشجرة منه كبيرة تنبت في الهند وجزائر الملايو وترتفع ٨٠ قدماً الى ١٥٠ ذات فروع مرابطة الزوايا وأوراق متقابلة بيضية الشكل تسقط سنوياً طول الواحدة منها ٨ بوصات الى ١٢ وزهرات بيض أو ضاربة الى الزرقة متعددة ومجمعة في زهر الواحدة منه تسمى « بانكل » قطرها ١٨ بوصة وخشب هذه الشجرة النفيسة في الغالب أسود ثقيل زيتي ولصلايته وماتته سهولة تجره وندرة انكاشه كثيراً ما يفضل في الاستعمال على أي خشب آخر في بناء المدرعات والبوارج وعربات السكة الحديد وبالهند أيضاً في بناء المنازل والأثاث وفي أغراض أخرى متنوعة لا تضارع . وعند كلامه على ما شاهده في بلاد البن وعلى الخصوص مدينة « ظفار » الواقعة على المحيط الهندي ذكر التنبول^(٢) والتارجيل المعروف بجوز الهند وقال إنهما لا يكونان إلا ببلاد الهند وبمدينة ظفار هذه لشبهها بالهند وقربها منها

٢ — فقال عن التنبول ما نصه : — « والتنبول شجر يفرس كما تفرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يفرس في مجاورة شجر التارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد الفلفل ولا ثمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق

(١) معرب (sag) بالهندية (٢) نوع من الفلفل طعم ورقه كالقرنفل بمضغه أهل الهند وهو مشه مطرب

العليق وأطيه الأصفر وتحتني أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيماً شديداً وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما إن كان أميراً أو كبيراً وأعطاهم أعظم شأن وأدل على السكرامة من إعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله إن يؤخذ قبله الفوفل وهو شبه جوز الطيب فيكسر حتى يصير أطرافاً غباراً ويجعله الإنسان في فمه ويعلمكه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئاً من النورة ويمضغها مع الفوفل وخاصيته أنه يطيب النكهة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب الماء على الريق ويفرح أكله إلى آخر ما قال» وأقول إن التنبول يسمى باللسان النبائي (Piper Betle, L.) وبالانجليزية (betel pepper) وبالفرنسية (bétel, poivre à bétel) وفصيلته الفلفلية (Piperaceae) وهو ضرب من اليقطين يعلق أملس تقريباً أوراقه كبار ثخينة بيضية الشكل مستطيلة الواحدة منها محددة الرأس منحرفة القاعدة تتخللها خمسة أعصاب إلى سبعة. الواحدة من زهره عبارة عن سنبله طولها أربع بوصات إلى ست. ثمرة طرية جداً ويغلب النضاق الثمار بعضها ببعض لتكون كتلة اسطوانية طويلة. يزرع في مساحات واسعة بجزيرتي سيلان وجاوة وغيرها من بلاد الشرق الأقصى للحصول على أوراقه التي تدخل في تركيب «المضغة» ذلك بأن تقطع بذرة الفوفل التي هي في حجم البرقوقة إلى قطع صفار وتلف في ورقة تنبول على هيئة كرية مع قليل من الحير ومواد أخرى كالتبغ وحب الهال «الحبهان» الذي يكسبها مذاقاً طيباً ويقال إن مضغ هذه الأوراق واق من الديسنطاريا ومفيد للصحة لأنها تشتمل على زيت فضلاً عن أن الحير غير موجود إلا بمقدار قليل في تركيب الأرز الذي هو من أهم ما يقتات به أهالي تلك البلاد فهم بهذه الطريقة يستطيعون تعويض ما يحتاج إليه تكوينهم من الحير. على أن مضغ هذا المزيج يكسب اللعاب لوناً أحمر قانياً ويسود الأسنان وفي النهاية ينخرها نخرأ ولذلك فقد أخذ الناس الآن يمرضون عن المضغ ويحولون محله التبغ

وتكثر النباتات بواسطة قضبان صفار من السوق تغرس بجوار أسناد أو أشجار ويبدأ بحرث الأرض حرثاً عميقاً ثم تسمد جيداً والسماد الوحيد المستعمل بجزيرة سيلان هو أوراق نبات حب الملوك يخرج صمغ اللك^(١) وتقطف أوراق التنبول بمد مضي سنة على غرسه. وفي بعض المناطق

(١) يسمى باللسان النبائي (Croton lacciferus, L.) وبالفرنسية (croton à laque)

ينبت بالهند وجزيرة سيلان على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم وهو ذو قيمة لما يخرجه من صمغ اللك الذي يستعمل

في صنع «الورنيش»

يترك النبات حتى يثمر مدة متفاوت من سنة الى ست سنوات أو يزيد. هذا وزراعة الشبول مربحة جداً لكنها تحتاج بادىء ذي بدء الى رؤوس أموال غير قليلة فضلاً عن أخطار الامراض العديدة التي تصيب النبات

وأما القَوْفَل فهو نوع من النخل الهندي يسمى باللسان النبائي (Areca Catechu, L.) وبالانجليزية (areca palm و betel nut) وبالفرنسية (aréquier, palmier arec) وفصيلته النخيلية (Palmaceae) منتشر في جزيرتي سيلان وجاوة وغيرها وله منزلة عالية في الشرق الأقصى ذلك لأن الأغلبية الساحقة من اهالي تلك البلاد يعضون الشبول كما سبق بيانه . وساق الشجرة منه وحيدة ترتفع ٤٠ قدماً الى ١٠٠ واوراقها تكون تاجاً كبيراً وطول الواحدة منها اربع اقدام الى ست ووريقاتها متعددة ملس طول كل منها قدم او قدمان والثمرة بيضية الشكل ملساء برتقالية اللون أو قرمزية طولها بوصة ونصف بوصة أو بوصتان . وهذه الشجرة توجد عادة في حدائق القرويين مختلطة بغيرها من المزروعات كما انها تزرع زراعة منتظمة في بعض الحقول . ويبدأ ثمرها في السنة السادسة تقريباً وتبلغ النهاية العظمى لانتاجها نحو ٣٠٠ جوزة سنوياً

٣ — وقال عن النارجيل مانصه : « وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الاشجار شأناً وأعجبها أمراً وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما الا أن هذه ثمر جوزاً وتلك ثمر تمرأ وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون منها حبلاً يخطون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه الجبال للمراكب والجوزة منها وخصوصاً التي بحزائر ذبية المهل تكون بمقدار رأس الآدمي . ويزعمون ان حكيماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومعظماً لديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معادة فقال الحكيم للملك ان رأس هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر ثمر عظيم يعود نفعه على اهل الهند وسواهم من اهل الدنيا . فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذ الحكيم وغرس نواة تمر في دماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأثمرت بهذا الجوز . وهذه الحكاية من الاكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم . ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه وأما الاعانة على الباعة ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء امره اخضر فن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة

ومزاجه حار معين على الباءة فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة وحرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضة اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام ويتغذى به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بجزائر ذبية المهل مدة من عام ونصف عام وعجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون الى النخلة غدواً وعشيّاً اذا أرادوا أخذ ماؤها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الأطواق فيقطعون العنق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ويربطون عليه قدراً صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العنق فاذا ربطها غدوةً صعد اليها عشيّاً ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العنق في أحد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر ويبخر من العنق قليلاً ويربط عليه القدر ثانية ثم يفعل غدوة كفعله عشيّاً . فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صنع منه الرب فيصير عسلاً عظيم النفع طيباً فيشتربه تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسي تجلس فوقه المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفحقون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويحرقون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كالون الحليب بياضاً ويكون طعمه كطعم الحليب ويأندم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعاً ويجعل في الشمس فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيتاً به يستصبحون ويأندمون به ويجعله النساء في شعورهن وهو عظيم النفع

وأقول إن نخلة النارجيل المعروف بجوز الهند تسمى باللسان النباتي (*cocos nucifera* . L)

وبالانجليزية (*cocoa nut*) وبالفرنسية (*cocotier*) وهي من فصيلة النخل والفوفل

تكثر زراعتها في المناطق شبه الحارة كجزائر سيلان والفيليين وتريناداد والهند الجنوبية وبعض مناطق بولنيزيا لإصدار مقادير كبيرة . اما في سائر المناطق فتشترك مع غيرها من النباتات في زراعات الفلاحين وليس بين النباتات ما يضرها من جهة الأغراض التي تستعمل فيها سواها كانت للاحتياجات الداخلية أو للإصدار . وزراعتها ترجع الى عهد بعيد وهي منتشرة في المنطقة الحارة الى حدٍ يجعلنا في شك حتى الآن من تعيين المنطقة التي نشأت فيها . ومع ذلك فالرأي الغالب يؤيد ان أصلها من جزر بولنيزيا الغربية ومنها نقلتها التيارات البحرية الى ماليزيا وسيلان بالهند والى افريقية والى غير ذلك . ولما كانت الثمار داخل أغصان كثيفة فمن السهل تقفها على وجه الماء مدة طويلة من دون أن تفقد شيئاً من خواص إنباتها . لذلك كانت نخلة

النارجيل في مقدمة الاشجار التي ظهرت في الأراضي الحديثة النشأة بالمناطق شبه الحارة وعلى ان زراعتها منتشرة ايضاً في اميركا وافريقية ولكن أهمها هي تلك التي في جزيرة سيلان وغيرها من مناطق الشرق الأقصى . وأصلح المناطق لها هي السكّانة بجوار البحار الرطبة . ومع ذلك فكثير من الزراعات تنجح ايضاً داخل البلاد وعلى ارتفاعات قد تبلغ مائة متر أو يزيد

ويتولى أهالي البلاد جل هذه الزراعات ولو ان عدداً كبيراً من الأوربيين قد شرعوا في السنوات الاخيرة في استغلال رؤوس اموالهم في هذه الزراعات على نطاق واسع . وبديهي ان نخل النارجيل هو في مقدمة الزراعات المشتركة التي لا تخلو منها أرض في تلك البلاد

هذا والفكرة السائدة عن نخلة البلح هي انها عبارة عن شجرة عالية متوجة بمجموعة من الأوراق التي تثبت في اتجاه عمودي ولكن هذه الفكرة لا تنطبق على نخلة النارجيل اذ ان جذعها ليس عمودياً بل منحرفاً . فعلى الشواطىء مثلاً ينجني الجذع فيتجه نحو الماء لرغبته في الاقتراب من الضوء . وفي الزراعات الحسنة الادارة تزرع اشجار النارجيل في خطوط منتظمة متباعدة الواحدة عن الاخرى بمقدّر ثمانية امتار بعكس الجارى في الحدائق الاهلية العادية حيث تثبت مختلطة مع غيرها من الاشجار والنباتات وان وجدت وحدها فهي تزرع على مسافات أقرب . وتبدأ نخلة النارجيل في الاثمار نحو السنة الخامسة وتستمر في الانتاج سبعين سنة بل يزيد . ويختلف المحصول باختلاف الاحوال ولكن المعروف ان متوسط غلة الأراضي العادية يختلف من ٤٠ جوزة الى ٧٥ للنخلة الواحدة

وأصناف النارجيل عديدة يتميز بعضها عن بعض بصفات قليلة الشأن وأكثر صنفين انتشاراً هما النارجيل الأخضر والنارجيل الأصفر . فالأخضر معروف في سيلان بالنارجيل الاعتيادي والأصفر بالنارجيل الملكي . وبعض الأصناف ينتج اليافاً كثيرة البعض الآخر ينتج ثماراً كبيرة . وفي الأراضي الحسنة الاستغلال تزرع الأشجار من فسائل تربي في « المشاتل » أما في حدائق الفلاحين فتزرع الجيوب مباشرة . وفي سيلان وغيرها من المناطق الحارة لا يهتم الزارع بالاشجار طالما لم تبلغ طور النضج بعكس الحال في الهند وشمال بومباي فالاهتمام بها يبدأ منذ زراعتها . وفي المناطق الحارة ينجني الزارع من نخلة النارجيل أشياء كثيرة لازمة للحياة اليومية فالأوراق الكبيرة تنسج حصراً يقال لها « الكدجان »^(١) تستعمل في انشاء الأكواخ بجنوب الهند وتستعمل السوق والعروق الوسطية من الأوراق لصنع الحواجز والمكائس والعصي وغيرها

(١) (cadjan) كلمة هندية نقلت الى الانجليزية ويراد بها الحصر المنسوجة من سعف نخل النارجيل

من الادوات المنزلية وتصنع من الجذع الواح خشبية وقوارب وحجرات وكذلك أدوات منزلية أما البرعم الطرقي (وهو واحد لا يتزعم الا بعد موت النخلة أي عند ما تبلغ عمراً متقدماً) فهو نوع من الخضر لذيذ الطعم يستعمل في صنع الخضر المحفوظة . وعند بلوغ النخلة طور الإزهار يمكن بجرح عذق الطلع الرئيس الحصول على « الطودي » ^(١) وهو نبيذ النخل الغني بالسكر والمشا به « ليلولك » ^(٢) المعروف في بلاد المكسيك . وبتبخير « الطودي » يتحصل على سكر يسمى « ججر » ^(٣) وبجمعه يختمر يتحصل على شراب روحي ينتج عن تقطيره عرقى وإذا استمر الاختار أمكن الحصول على خل . وتشتمل الجوزة الصغيرة على نصف لتر أو يزيد من المادة المائية الحلوة وهي شراب مرطب . وكلما تقدمت الجوزة في النضج نقصت كمية السائل واخذت القشرة في اليبس . ويجمع الجوز في الشهر العاشر من عمره . وتؤكل الجوزة اما نيئة أو في السكرى ^(٤) أو تطهى بطرق أخرى . وقد تعصر أيضاً للحصول على لبن يكسب « الكري » رائحة طيبة كما يستعمل في اغراض أخرى . ويتحصل من الجوز على زيت بطريقة الغليان هو زيت جوز الهند المشهور في المتجر والذي يصنع منه الصابون وغيره . وطريقة الحصول على الزيت هي ان يكسر الجوز ويوضع في الشمس أو غيرها للحصول على « الكورا » ^(٥) ثم تنقل هذه الى المعصرة حيث تنتج ثلثي وزنها زيتاً والثلث الآخر « نفايا أو تفلأ » يصنع منه الكسب المسمى « بوناك » ^(٦) وهو غذاء يصلح لتسمين الماشية والطيور . وقد يستعمل الزيت للاستصباح أما في اوربا واميركا فأهم استعمال له هو صناعة الصابون كما أنه يستعمل دهاناً لتجميل الشجر

(١) (toddy) كلمة انجليزية محرفة عن كلمة (tari) الهندية ويراد بها العصارة التي تنتج عن جرح الطلع (spathe) في انواع مختلفة من النخل اخضا نخل النارجيل كما تطلق على الشراب المخدر الناتج عن اختار هذه العصارة ولعل هذا الشراب هو الذي قال عنه ابن بطوطة انهم يسمونه الاطواق (٢) (pulque) اسم شراب مختمر يصنع في بلاد المكسيك وبعض اجزاء اميركا الوسطى من عصارة نبات يقال له قنب اميركا وهو بالاسان النباتي (Agave americana, L.) وبالانجليزية (American aloè و century plant) وبالفرنسية (agave d'Amérique و aloès) (٣) (jagre) (٤) (curry) كلمة مشتقة من كلمة (kari) الهندية ويراد بها « صلصة » تجهز من اللحم أو السمك أو الفاكهة أو الخضر تطهى مع كمية من التوابل المهروسة والسكر وتستعمل لاسيما مع الطعام المركب من الارز أو المشتل عليه (٥) (copra) كلمة مشتقة من كلمة (khopra) الهندية ومعناها جوزة الهند ويراد بها بذور جوز الهند الجففة تجهز وتصدر ليعتصر منها زيت جوز الهند

(٦) (poonac) كلمة مشتقة من (punnaku) الهندية ويراد بها الكتلة المتخلفة عن اعتصار زيت جوز الهند من لباب جوزة يصنع منها الكسب الذي يستعمل علفاً أو مهاداً

ولصنع الشمع إذ أنه عند ضغطه يستحيل الى مادتين احدهما يابسة تشبه الشمع تسمى «استيارين»^(١) والأخرى سائلة تسمى «اولين»^(٢). وبعد انتزاع الجوز من قشوره تصقل هذه القشور في شكل افداح وآنية وملاعق وايدي سكاكين وغير ذلك كما تستعمل القشور وقوداً لأنها لا تحدث عُشَناً كما ينتج عنها فحم

وفي السنوات الأخيرة تقدمت صناعة جوز الهند المجفف بسيلان . وطريقتها هي استخراج جزء من الزيت ثم يقطع الجوز شرائح ويحف في اجهزة خاصة ثم توضع الشرائح في علب مبطنة من داخلها بورق رصاص ثم تسد سداً محكماً وتصدر لسد حاجة صناعة الحلوى . اما القشرة الخارجية السمكية التي فلما ترى في اوربا وأميركا الشمالية فانها محوطة طولاً بعدد كبير من الالياف الطويلة المتينة وللحصول عليها يشرع الفلاحون في كسر القشرة ثم يعطونها ويضربونها لانتزاع الالياف منها

وهذه الالياف المسماة «كوير»^(٣) تستعمل ايضاً في المصانع الكبرى لترتيبها على حسب نحاتتها ثم يستعمل بعضها في صنع الفراجين والبعض الآخر في صنع الحصر أو الحبال أو الخيوط أو غيرها . وتصدر من الكوير مقادير كبيرة من سيلان وغيرها من المناطق الحارة . وعلى الرغم من انتشار زراعة شجر النارجيل في المناطق الحارة فان سيلان تشغل المرتبة الأولى بينها جميعاً سواء من جهة الانتاج للاستفادة الداخلي ام للتصدير . وتزداد تجارة منتجات نخل النارجيل سنة فسنه كما تمتد زراعته الى مناطق جديدة وعلى الرغم من ذلك فان الأسعار لم تهبط ذلك لأن استعمالات زيت جوز الهند تزداد باطراد

وقد نجحت المحاولات التي شرع فيها لازالة الرائحة من هذا الزيت وأصبح من السهل الحصول على مادة دهنية سميكة تستعمل بكميات كبيرة في التغذية وهي سائرة في طريق التقدم والانتشار كلما تحسنت طرق صناعتها

- (١) (stearine) اسم تجاري لمستحضر مركب من حوامض دهنية منقاة يستعمل لصنع الشمع
(٢) (oléine) في الكيمياء . هو «ثالث اوليات» «الجلسريل» من اكثر الدهون الطبيعية انتشاراً
و يحصل عليه كمائل زيتي عديم اللون يتجمد في درجة حرارة (٦° -) ستغراد
(٣) (coir) كلمة مشتقة من (kayar) بلغة أهل الملايو ومعناها حبل على أساس أنه يقتل ويراد
ه الالياف المجهزة من القشور الخارجية لجوز الهند تستعمل لصنع الحبال والحصر وغيرها



الولايات المتحدة والحرب

١ - منصب روزفلت الثالث ومفراه

٢ - موقف الامم بعد قانونه الاعارة والتأخير

مصر وطريق الهند

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

جمال الدين الشيال

الولايات المتحدة والحرب

« ان الحقيقة الرئيسية في عالم السياسة الحديث هي ان اميركا الشمالية تتكلم اللغة الانكليزية » « بسمارك »

١ - تنصيب روزفلت الثالث ومغزاه

بينما كان الحاكم بأمرهما ، أو الحاكم بأمر أحدهما ، يتأهبان للاجتماع في مكان ما ، في أوربا يوم الاثنين الماضي في ٢٠ يناير ، كان الرئيس فرنكلن روزفلت ، يتأهب لحفلة تنصيبه الثالثة ، والقاء خطبة الرأسة الثالثة ، أمام دار الكابيتول مقر المجلسين النيابيين في الحاضرة الاميركية ، وفي ظل مسألة وشنطن منسأة الوحدة ، وتذكرك لنكن الذي صانها من الانفصام ولو ان قدرة علوية ، أرادت قصداً ان تجمع في إطار علمي ، صورة الضدين ، لتفرض على العالم قاطبة ، المقابلة بينهما ، واستخراج العبرة من المقابلة لما هيأت الا حادثين ، كهذين الحادثين في يوم واحد . أو لعل قدرة علوية ، أرادت ذلك قصداً ، وليس عليها شيء عسير في الجانب الواحد من الصورة رجالان مجتمعان خفية في معزل عن أعين الرقباء وفي حماية نقر من العيون والأرصاد وبدبران سرّاً ما يرانه كفيلاً باخضاع العباد ، وتقييد العقل ، وفرض السلطان بالقوة الفاشحة

وفي الجانب الآخر ، رجل يقف حاسر الرأس أمام الجماهير ، يعلن ثقته « برضى الحكوميين » واحترامه لعقل الشعب وروحه ، وإيمانه بالرجل المنسي ، وعزمه الذي لا يثنى ، على ان ينهض بالولايات المتحدة الاميركية ومعهما ، الى مستوى تاريخها المجيد . ان في كلماته رنة من كلمات وشنطن وهو يناشد شعبه ان « احتفظ بجذوة الحرية المقدسة » ، وعلى سماته الخلقية والخلقية ، مسحة من الإنسانية لنكن وهو يقول : « هذه الأمة لا كيان لها نصفها عبد ونصفها حر » . هنا ضدان جمعتهما القدرة العلوية في اطار وهما لا يجتمعان

ان الحاكم بأمره يسعى الى التغلب على توزع النفسى بالاتجاه الى الابهة الخارجية الصاخبة ، وروزفلت يستطيع ، لثقته بسلامة النفسي ، ان يعرض عن مظاهر الوفاق التي تلزم منصبه بغير ان يفقد وقاره . الحاكم بأمره يبدأ بالحد والاضطهاد . ورغبة روزفلت الاولى متجهة منذ ما خاض غمار السياسة ، الى حماية المضطهدين . الحاكم بأمره لا يتكلم الا عن مصلحة القوم كما يفسرها وبصورها مطمحة الضيق أو شعوره الموتور ، وروزفلت لا يتكلم الا عن مصلحة الفرد

وكرامته وهناءته . الحاكم بأمره يعيش في حزبه وله ويلقي سائر الأحزاب . وروزفلت يعيش في نضال الأحزاب . الحاكم بأمره يقتصب السلطان بالسيف والنار ، ويحافظ عليه بالاضطهاد والاعتقال . وروزفلت تلقى السلطان في ثلاثة انتخابات متوالية نتيجة « لاعراب الأكرزية الحرة من الأمة عن رأيها الحر » . الحاكم بأمره يخلق الأزمات لكي يحرز في حلها نصراً جديداً يضيف لمعة جديدة الى الهالة التي ينسجها له انصاره . وروزفلت وجد نفسه في مستهل رئاسته الأولى امام أزمة اقتصادية منيت بها أميركا وفي مستهل رئاسته الثالثة أمام أزمة عالمية ، فأنجبه اليه الشعب يطلب القيادة الرشيدة والضوء . رغبة الحاكم وشهوته تدفعانه الى ذلك أركان المجتمع ، ورغبة روزفلت تتجه الى حفظها وتدعيمها . الحاكم بأمره يرتاب في الناس ، وروزفلت يسعى اليهم ، الاول همه أن يُرهَب والثاني همه أن يُحِب

وليس الغرض أن أقول ، أن روزفلت رجل كامل ، كلاً ، ولكن الصفات التي تقدم ذكرها بارزة فيه ، في خلقه كرجل في داره ، وفي خلقه كسياسي في الحلبة العامة . وما هذه الصفات سوى ، اعراب ، مستوياً رجلاً ، عن لون من الحياة ، وصورة من المجتمع ، بينما الصفات التي يتصف بها الحاكم بأمره ، منذ ما عرف باسم الطاغية في عصر الاغريق القدماء ، الى أن عرفناه في عصرنا باسم الدكتاتور ، واحدة على مر العصور قلما تتغير ، وهي كذلك اعراب مجسم في رجل ، عن لون من الحياة ، وصورة من المجتمع البشري

كتب الدكتور جون فني ، وقد كان مديراً لمعارف ولاية نيويورك ومحرراً لجريدة نيويورك تيمس ، وأحد المقربين الى الرئيس ولسن ، أنه وصل في اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩١٨ الى روما فكان أول ما استوقف نظره عند نزوله من القطار عنوان عريض بحروف ضخمة في إحدى الصحف الإيطالية مؤداه « الجنود الاميركية في الميدان الابطالي » فعقب في مذكراته على ذلك بقوله : « أن صيحة الحرية من العالم الجديد ترن أصدائها في أرض مكتشفه » (١)

وقد مضى ولسن وفني وغيرهما الى لقاء ربهم ، ووضعت ايطاليا الرسمية اصابعها في آذانها فلا تسمع صيحة الحرية الآن ، ولكن الصيحة ماتزال منبعثة من العالم الجديد ، وفي أوروبا بل في ايطاليا نفسها ، ملايين من الآذان تتوق الى سماعها ، ومن القلوب تنهياً لها ، على الرغم من أن الاوامر العسكرية قد حالت بين آذان هؤلاء وبين أمواج الاثير الحافلة بأصدائها وقد التي وشاح الرئيس ولسن على كتفي فرنكلان روزفلت المريضين . فهو مطبوع بباطله

المثالي ، مؤمن إيمانه بالديمقراطية ومستقبلها من حيث هي نظام للحكم ، وصورة للاجتماع ، ولكنه يفوقه في صدق نظريته الى حقائق الحال ، وحسن تصريفه للامور . ان صوته يجمع بين النزعتين وهو يقول : « الديمقراطية لم تمت ، ولا هي سائرة في طريق الموت . انا نعلم ذلك لاننا رأيناها تبعث بشأاً جديداً وتمضي في طريق النمو . انا نعلم ذلك لانها السعي المطلق من القيود ، يبذلها افراد من رجال ونساء في عمل مشترك ، في عمل يعمل وينجز عن طريق الاعراب الحر عن رأي أكثرية حرة » . واني لا تصور الرئيس روزفلت وهو واقف على سلم الكاينول يقول هذا القول في خطبة رأسه الثالثة ، فعود بي الذاكرة ثمانى سنوات الى الوراء فأتخيله في اليوم الرابع من مارس سنة ١٩٣٣ وهو يوم تصيه الاول واقفاً الوقفة نفسها وقد دعي الى تقلد أعلى منصب في الدولة ، فواجه في ذلك اليوم الذي يجب ان يكون يوم فرح واغتناب ازمة مالية اقتصادية عصفت بمشآت الامة من الساحل الى الساحل ، فالمصارف مفلسة او على شفا الافلاس ، وعجلات الصناعة تسير في بطء وتناقل نحو الوقوف ، وعشرة ملايين او يزيدون من العمال معطلون عن العمل ، والناس حيارى لا يعلمون ما يكون مصير كل ما بذلوه من جهد او نشاط ، ولا ما يكون مصير اولادهم من بعدهم

وقف فرنكلن روزفلت هناك ، شاحب الوجه ، يده اليسرى على التوراة التي جاء بها جده الاعلى من اوربا قبل ثلاثة قرون عند ما هجرها طلباً للحرية ، وبده اليمنى مرفوعة امام رئيس المحكمة العليا ، فأقسم بين الولاء للدستور ثم اشرأبت اليه الأعناق ، لتلقظ كل كلمة تخرج من فيه . وبدأ خطبة الرئاسة فقال : هذا وقت يتعين علينا فيه ان نقول الحقيقة في صراحة وجرأة .. ان الشيء الوحيد الذي يجب ان نخافه هو الخوف .. بهذه الروح في فيكم نواجه معاً متاعبنا المشتركة .. وهي متاعب ، ليس مردها ، بحمد الله ، الا الى الأشياء المادية ... ان مصيبتكم ليست ناشئة عن امساك الارض . والجراد لم يكتسح زرعنا .. فاذا قيست متاعبنا من هذا القليل بما عاناها آباؤنا واجدادنا فليس لنا الا ان نحمد الله ... ثم انتقل الى الهجوم فقال : ان السيارات قد فروا من مقاعدكم في هيكل الحضارة .. ففي وسعنا الآن أن نفيد تتركس ذلك الهيكل للاحقائك الخالدة .. ان الامة تطلب العمل وستأخذ مني ما تريد »

كان العدو الذي واجهه روزفلت حينئذ والامة من ورائه ، عدواً داخلياً . فقابله بذلك المزيج المتزن في نفسه ، من النزعتين السكالية والعملية في آن واحد . ولم يكن في حلبة السياسة الدولية حينئذ ما يبعث على القلق ، ومع ذلك نجد في بضعة السطور القليلة التي خصصها للسياسة الخارجية في خطبته ، نواة للخطة التي يجهر في الدعوة اليها اليوم ، قال : « وفي ميدان السياسة العالمية ، أكرس سياسة هذه الامة لمبدأ الجار الطيب ، الجار الذي يحترم نفسه ، فيحترم لذلك ،

حقوق غيره . الجار الذي يحترم ما يجب عليه ويحافظ على عهوده وحرمتها » ان كل ما يعلنه الطغاة ويطالبونه ويطمعون فيه ويتوسلون به مردود في هذه العبارة البسيطة لان روزفلت أفرغ فيها إحدى الحقائق الخالدة في تاريخ الاجتماع البشري

وقد انقضت عليه ثماني سنوات ، اشتد فيها الخلاف على بعض الخطط التي اقترحها ، وكانت المقاومة على أشدها ، من الطبقة التي وصفها في خطبته الأولى بعبارة « الصيارفة الذين فروا من مقاعدهم في هيكل الحضارة » وهي الطبقة التي ينتمي إليها هو ، بحكم نشأته . ولكن كتلة الشعب أسأته زمامها مرة أخرى في سنة ١٩٣٦ عند ما جددت انتخابه بأكثرية لا مثيل لها في تاريخ الولايات المتحدة ، وأخيراً خرجت على كل تقليد سابق في حياة أميركا السياسية ، فانتخبته مرة ثالثة للرئاسة ، وهو أول من انتخب لها ، فكانت ناداته في سنة ١٩٤٠ كما ناداته سنة ١٩٣٢ لقيادتها في أزمة أخرى عصبية

فبعد ما وقف من أيام (٢٠ يناير ١٩٤٠) لالقاء خطبة رأسه الثالثة ، كان العدو الداخلي ، الذي واجهه قبل ثماني سنوات ، قد تراجع قليلاً ، ولكن العدو الخارجي بدا في الأفق الدولي القريب . ان مصير صورة الحياة الديمقراطية التي ارتضاها شعبه وآثرها على غيرها مهددة بالزوال ، فلنكن هذه الحفلة ، كما كانت الحفلة التي سبقتها من ثماني سنوات ، تكريس الأمة تكريساً جديداً للحقائق الخالدة ! ونقلت أمواج الأثير كلماته الى اربعة أقطار الأرض وكأنها بوق ينادي للكفاح

ولكن النزعة المثالية في تركيب روزفلت العقلي ، لا تحجب عن ناظره حقائق الأحوال . وليس ادراك الحقائق بالشيء الذي طرأ عليه أخيراً ، بل هو اصيل فيه . فقد كان وكيلاً لوزارة البحرية الأمريكية في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان في الثلاثين من عمره ، فوجه همه من البدء الى اقناع الشعب الأمريكي ، بوجوب تعزيز الأسطول ، ونشرت عشرات من المقالات بوحى منه ، وفيها الدليل على ان مائتي ميل لا غير من سواحل الولايات المتحدة — وطولها الفاميل — محصنة والباقي غير محصن . ثم سعى بعد ذلك الى اعداد الاسطول ليكون متأهباً اذا اضطرت البلاد الى خوض الحرب . ولكن الرئيس ولسن كان أقوى معارض لهذه الخطة . وفي خريف سنة ١٩١٦ — أي نحو ستة أو سبعة أشهر قبل دخول أميركا الحرب — قابل روزفلت الرئيس ولسن فقال له ان الحوادث تسير سراعاً ونحن على وشك الانفجار بها على ما يلوح ، فيجب ان نكون متأهبين . فهز الرئيس ولسن رأسه معارضاً . ثم حوّل الموضوع الى مسائل أخرى حكومية . فلما همّ روزفلت بالانصراف ، استبقاه ولسن وقال : ان عيون التاريخ تحديقنا ، نعم ان من المرجح اننا سندخل الحرب ، مضطرين ، ولكن في سنة ١٩٨٠

سيكتب مؤرخ تاريخ هذه الحرب . وقد يكون المانيّا أوروبّيّا ، فيجب ان يكون في قدرة ذلك المؤرخ ان يقول صادقاً « ان أميركا لم تنأهب للحرب إلا بعد ما اضطرت الى خوض غمارها » وبعد ما أعلنت أميركا الحرب في شهر ابريل سنة ١٩١٧ ظهر ان ثلث سفن الأسطول الأميركي فقط ، على جانب وافي من النأهب الحربي ، وان عشرين فقط ، كان عامراً بجميع ما يلزم لها من الضباط والبحارة ، وان الاسطول الأميركي يحتاج الى تسعة أشهر من النأهب على الأقل قبل ان يبلغ اقصى قوته

وعرفت هذه الحقائق ، فكان خصوم روزفلت يقذفونها في وجهه فيما بعد ، متهمينه بأنه خاب في أهم ما يجب عليه نحو قومه اذ قصر عن قصد أو عن جهل في اعداد الأسطول الأميركي ولكن ولاءه للرئيس ولسن وذكراه ، حال دون اذاعة الحقائق على وجهها الصحيح ، الى قبل سنتين من الزمان

وفر نكلن روزفلت نفسه جالس الآن في مقعد ولسن . وفي يده زمام قوات أميركا المسلحة ومقدراتها السياسية ، ولا ريب في أن ذكرى تلك الأيام من نحو ربع قرن من الزمان مطبوعة على لوحة نفسه ، وهو يرى ان الخطر الذي تتعرض له الولايات المتحدة الأميركية في سنة ١٩٤١ أو ما يليها ، أعظم جداً وأشدّ اتصالاً بقواعد الحياة الأميركية من الخطر الذي كانت معرضة له في سنة ١٩١٦ وهو لذلك يريد بلاده متأهبة للدفاع ، ويرى ان تأهبها للدفاع الكلي ، لا يتم على أوفي وجه ، إلا اذا بذلت الولايات المتحدة اقصى العون لبريطانيا ، لان الدفاع عن بريطانيا دفاع عن أميركا . انه لا ينظر الى ما يحتمل ان يقوله مؤرخ الماني أو غير ألماني بعد خمسين سنة من الزمان مادام مقتنعاً بأن الحطة التي اختارها فيها ضمان لمصالح قومه العليا ، وهذه المصالح تندمج في طبقتها العليا في مصالح الحضارة نفسها

هذه الاعتبارات تفسر مئات الملايين من الدولارات ، التي تقرها اللجان الفنية ويوافق عليها مجلسا الامة كل يوم . ففي خلال العشرة الأيام الاخيرة أقر ما يزيد على ألف ومائتي مليون من الدولارات ، لتعزيز الأسطول الأميركي ، والدفاع الساحلي ، وتوسيع نطاق الأسطول التجاري . وهي تفسر مشروع القانون المعروض الآن للبحث وهو المعروف بقانون عون بريطانيا أو قانون الاطارة والتأجير . وتفسر كذلك رحلة ممثلين شخصيين للرئيس وسفراء رسميين مثل المستر هري هبكنز والاميرال ليهي والكولونيل دونوفان الى بلدان اوربا وافريقيا . ان الغرض من رحلتهم مزدوج ، فأولاً التوكيد لجميع الذين يجتمعون بهم من أقطاب الحكومات المختلفة ، ان الولايات المتحدة الأميركية جادة فيما تقول ، وانها ماضية في تأييد بريطانيا الى اقصى حدود قوتها وقدرتها ، وثانياً العودة الى الرئيس بحقائق مستقاة من مصادرها عن الحالة الدولية واتجاهاتها

ان النزعة المثالية في طبيعة الرئيس روزفلت، التي يعرب عنها في اقوال تهز أوتار النفوس ، وادراكه الواقعي لحقائق هذه الحرب ومسائلها الاساسية ، وتأيد كتلة الشعب الاميركية وكثرة النواب والشيوخ له ، وقدره أميركا التي لا تجارى على الانتاج الصناعي الحربي ، هي مصادر القوة التي يحسها كل من يقرأ في خطبته الاخيرة قوله « فلنعبى روح اميركا وايمان اميركا. انتا لن ننشئ ولن نقف جامدين »

ويطيب لي أن أنصوّر شيخاً فلاناً أميركياً ، عند ختم هذا القرن ، وقد جلس الى حفيده يحدثه فيقول : عند ما كنت صبياً يافعاً ، كأن في شنتن رئيس يسمى روزفلت : ولد في بيت ثروة وجاه ولكنه حارب الأثرياء . وأصيب في شبابه بالشلل في نخذه ولكنه تقدم الامة الى النضال، السيف في يده وكلمة الحرية النارية على شفتيه . كان روزفلت هذا يا بني ، صديقاً صدوقاً للشعب ، ومؤمناً عميق الايمان بالانسانية الحرة

٢ - موقف الامة بعد قانونه الاعارة والتأجير

في اليوم الحادي عشر من شهر مارس سنة ١٩٤١ اجتازت الولايات المتحدة الاميركية نهر « الرويكون » في هذه الحرب . فلا تردد بعد هذا ولا التفات الى الوراء . ونهر الرويكون هذا في شمال ايطاليا . وقف عنده يوليوس قيصر متردداً ثم قرر الزحف على روما فلما اجتازه ، ذهب اجتيازه له مثلاً . وهو اشبه ما يكون بما تم لطارق بن زياد ، عند ما نزل في ساحل الاندلس وحرقت السفن التي اقلت رجاله ، وقال لهم : « البحر وراءكم والعدو امامكم »

وفي اليوم الحادي عشر من هذا الشهر ، عندما وقع الرئيس روزفلت مشروع قانون « الاعارة والتأجير » ، فأصبح قانوناً ، اجتازت الولايات المتحدة نهر الرويكون كما فعل قيصر ، وحرقت السفن وراءها كما فعل طارق بن زياد ، فكان هذا العمل خطوة حاسمة في تاريخ هذه الحرب ، وعندي انه خطوة حاسمة كذلك في مستقبل العلاقات البريطانية الأميركية

ولم تنقض ايام حتى التي الرئيس روزفلت خطبته البليغة في مأدبة البيت الابيض للجماعة الصحفيين . فأعرب فيها بكلمات مجنحة ، صادرة من صميم النفس الاميركية ، عن مغزى هذا العمل العظيم . ولم تنقض ايام اخرى حتى عبّر السفير الاميركي الجديد في لندن عن المغزى نفسه بكلام لا يقبل التأويل ، فدعا الأبيض أبيض ، والاسود اسود ، ولم يداور ولم يبال ما يقوله خصوصاً فالرئيس يعلن على رؤوس الاشهاد في كلام يعلم ، على قوله « ان كل كلمة منه تسجل عليه » « ان الاوتوقراطية البروسية كانت شرّاً ، ولكن النازية شرٌّ منها . وان القوى النازية لا تسعى الى تعديل خارطات المستعمرات ، ولا الى تنقيح حدود الدول الصغيرة في اوربا بل تسعى صراحة الى القضاء على نظم الحكم الانتخابية في جميع القارات ومنها قارتنا . وتسمى الى انشاء نظم

للحكم قائمة على افراغ الناس في قالب واحد كالانعام ووضع زمامهم في ايدي حفنة من الحكم الافراد الذين انتزعوا السلطان بالقوة . ان هؤلاء الرجال واتباعهم المنومين ، يدعون هذا نظاماً جديداً ، ولكنه ليس جديداً ولا هو نظام . ان الانسانية لم تستقم استقامة دائمة الى نظام فرض عليها بالفتح وقاعدته الاستبداد » انتهت العبارة المقتبسة من كلام الرئيس وأما السفير الأمريكي الجديد في لندن ، فقد جرت على لسانه عبارات لا تتواء فيها ولا إيمان . فهذا النضال في عرفه « نضال بين الهمجية والحضارة » . والنازية في قوله « تأني ان تعترف بكرامة الانسان ، وحرية الفرد ، والمساواة أمام القانون » . وهي في قوله كذلك « جن جنونها فتسعى الى التوصل بمخترعات العقل الحر والروح المبدع ، لتستعبد العقل وتطمس نور الروح » واذن فالولايات المتحدة قد خطت الخطوة الحاسمة ، فلا تردد بعد الآن ولا التفات الى الوراء

وقد خطتها أمة متحدة . فزعم المعارضة في مجلس النواب ، وقف بعد فرز الأصوات ، واعلان موافقة ٣٧١ صوتاً ، على المشروع ضد ٧١ صوتاً ، فارتفع في قوله الى ذرى البلاغة عندما صاح « احمد الله انتا نعيش في بلد نستطيع ان تناقش فيه مسألة عظيمة مناقشة حرة ، ونحن اليوم امام هذا القرار ، لسنا جمهوريين ولا ديمقراطيين ، ان ولاءنا ليس موزعاً ، وجميعنا يد واحدة عسى ألا تزول النزعة الاميركية الصادقة من الارض » . ووقف المستر بلوم رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب فقال « ان هذا القانون هو الصوت الصارخ في جنبات العالم مكذباً من يقول ان الديمقراطية لأعجز من ان تقف وجهاً لوجه مع اعتداء الطغاة » وعرج الرئيس روزفلت على المعنى نفسه فقال في خطبته « ان وحدتنا ليست تلك الوحدة الكاذبة التي مردّها الى الارهاب بالقوة والتضليل بالدعاوة . وان جهدنا اليوم ليس جهداً جزئياً وانما هو جهد كلي »

تقول برلين ان هذا القانون ينتهك حرمة مبدأ مونرو . فيرد الاميركيون قائلين مهلاً مهلاً انما نحن اقررناه لكي نحمي مبدأ مونرو من العبث به . وما ينفث من الدعاوة الدكتاتورية في جمهوريات اميركا الجنوبية ، يهيب بنا الى الوقوف صفّاً واحداً لحمايته

وتقول روما ان هذا القانون خروج على الحياد ، فيرد الاميركيون ، وماذا فعلتم في اسبانيا ، وما قيمة الحياد في عصر تبصقون فيه على الحياد ؟ واذا كنتم قد دسّم باقدامكم حياذ الدول الصغيرة ، فليس لكم ان تبرموا بما تفعله الدول المحايدة الكبيرة

ويهدد السينيور جايدا اميركا ، بما ينتظر أن يواجيها في المحيط الهادىء ، فكأنه طالب صغير في مدرسة لم يقو على طالب آخر فهدده بشقيقه الكبير . ومع ذلك فلم تكن ندري ان السينيور

جايدا أصبح لساناً ينطق باسم طوكيو ويشكلم عن المحيط الهادىء . بينما لا تقع في كلامه على ذكر
للبحر المتوسط !

لا . ان الولايات المتحدة الاميركية وضعت يدها على المحراث ولن تلتفت الى الوراء
ولماذا فعلت الولايات المتحدة هذا ؟

اليكم ناحية من السبب في قول الصحفي الاميركي الكبير مارك صليفن وهو شيخ المسكانيين
السياسيين في العاصمة الاميركية . قال : اننا لا نخشى الا من بعيد غزوة المانية مباشرة لأرضنا
ولكن الخطر الصحيح الذي يواجهنا ، هو في نظر أصحاب الفكر والرأي ، خطر القضاء على
النظام الاميركي بغير غزوة مباشرة . اما كيف يتم هذا القضاء بغير غزو ، فخطوطه الرئيسية كما
يلي : اذا تغلبت المانيا على بريطانيا ، أصبحت سيدة البحر ، وصاحبة حول وسلطان ، على العالم
ما عدنا (اميركا الشمالية) ثم تفرض المانيا نظامها « السكلي » على العالم ، بالسلاح أو بالتهديد
بالسلاح أو بالضغط الاقتصادي . وتبدأ في جميع البلدان بتحويل الصناعة والتجارة واخضاعها
لحكمها وتديرها . وتنشئ من تجارة العالم وصناعاته كتلة واحدة ، المانيا قلبها ، ومقرها في
برلين . فتقول لبلد ما عليك بأن تخرج قحاً وتصدره الى حيث أئين لك . وتقول لآخر عليك
ان تخرج منسوجات . ولثالث ان تتوفر على صناعة السيارات . وتحفظ هي لنفسها بالصناعات
التي تعتبر مفتاح القوة الحربية في هذا العصر ، كصناعة الأسلحة على اختلافها والذبابات والطائرات .
وتحفظ بصناعة السفن أو تبسط سيطرتها النامة عليها في بلدان أخرى ، بحيث تكون الأساطيل
التجارية جميعاً رهن اشارتها . ولا يبعد ان تمنع البلدان الأخرى من بناء سفن تجارية الا اذا
كانت دون تقرير قليل معين . وكذلك تغدو جميع مراكز الانتاج وجميع طرق العالم التجارية
سدًى ولحمة في نسيج واحد تحركه يد واحدة حتى لكان العالم مصنع واحد ومتجر واحد ،
كلمته العليا في برلين

ونحن الاميركيين نخشى أن نعجز ، بعد ما يتم كل هذا ، بل قبل أن يتم ، عن البقاء خارج
هذا النظام العالمي ، وبمعزل عنه . ونخشى ان تغدو مضطرين برغم انوفنا الى الاخذ بالنظام
السكلي في صناعاتنا وتجارنا . وعندئذ ، لايحصى لنا عن ان يتبع حكمنا واجتماعنا ذلك النظام .
هذا هو لباب الرأي ، الذي حفزنا الى العمل . ومهما يكن لون الخطر الذي يهددنا من ناحية
المانيا ، فان بريطانيا خير واق لنا منه ، فاذا صمدت بريطانيا فليس في وسع هتلر أن يهاجمنا
مباشرة ، واذا صمدت بريطانيا ، فليس في وسع هتلر أن يفرض نظامه هذا على العالم

اما ولتر ليمان فيقول : ليست المسألة : — هل قليل من العون لبريطانيا يقينا بمنجى من
التعرض للحرب ، او هل مزيد منه يحتم علينا خوضها . ولكن المسألة هي هل نستطيع قبل فوات

الأوان ان نخطو الخطوات اللازمة ، لمنع هذه الحرب — التي لم نطالب حتى الآن بنحوض غمارها — من ان تتحول حرباً لا بد لنا من ان نخوضها ونسفك دماءنا فيها ، وقد نكون فيها وحدنا حينئذٍ

هذا هو وصف الباعث الاناني على الموقف الاميركي ، ولا حرج في وصفه ، ولا عيب في اذاعته ، فالباعث الاناني أقوى البواعث لأنه أوثقها صلة بالدفاع عن النفس وحفظ الكيان . ولكن باعثاً آخر بصطيجه ، مداره تتعلق بصورة معينة من الحياة ، ويقابله في عالم الطبيعة الحياة المتعلقة بزواج او حبيب . قد تكون مزايا تلك الصورة من الحياة قائمة في عالم الوهم والخيال او مستنزلة من صميم الحقيقة نفسها ، ولكن سواء ، أهذه كانت أم تلك ، فإنها مرتبطة بالانفعال والشعور ولذلك فهي تدفع الى العمل

وقد مضى على الاميركيين ثلاثة قرون ، منذ نزلت افواجهم الاولى في العالم الجديد من سفينة « المايفلور » وهم يرعون قواعد هذه الصورة من الحياة ، في البيت والمدرسة والحكومة ، في خطب الأقطاب وروايات الادباء واشعارهم ، وفيما يختارون دراسته من ادب الاغريق القدماء وتاريخ الامة الانكليزية وادبها وعلمها وفلسفتها من ثمانية قرون الى الآن وما هي هذه القواعد ؟ هي ان السلطان والحرية غير متنافيين وان في وسع الانسان التمتع بالحرية بغیر ان تتم الفوضى وان الحكومة تستطيع ان تمارس السلطان بغیر ان ينتشر الاستبداد ، وان الثقة بكلمة المتعاقدين ، والقدرة على الاستناد الى وعد الرجل المستقيم أساس لاغنى عنه للاجتماع الاقتصادي ، وان الناس سواء أمام القانون ، فقصرهم ليس متعلقاً بنزوة حاكم طارئة أو شهوة شرطي سري . وهذه جميعاً مردها الى الاعتقاد في أن للانسان الفرد شأناً في بناء الحضارة ، والايمان بالعقل ، والاصرار على أن للمرء المفكر كرامة في ذاته . أي أن المبدأ الاساسي في هذا النظام الاجتماعي الاقتصادي قوامه أن الفرد غاية في ذاته وليس مجرد آلة او أداة تحركها قوة فرد آخر أو حفنة من الافراد . وهذا القول ينطوي على وجوب منح الفرد بضع حريات أساسية لكي يتاح له النمو العقلي والروحي المتسق وفي مقدمتها الحرية ليزن وبحكم ، والحرية ليجت ويناقش ، والحرية ليعرب عن رأيه ، والحرية ليؤمن ويعبد . فالحرية المدنية والدينية هي روح الحضارة ، هي لباب هذه الصورة من الحياة النازلة في الصميم من شعور الاميركي وانفعاله ، فتعرضها للبوارجح عقل الاميركي وانفعاله معاً ، فاذا اضيف الى ذلك شعوره بان كيانه ، بأن سلامته مهددة ، فأظن ان السبب الذي حمل الولايات المتحدة على وقوف هذا الموقف يندو واضحاً

وليس معنى هذا ان هذه الصورة تجمع كل الخير ، أو انها في التطبيق خالية من العيوب . فالمستتر تشر تشل نفسه قال في خطبته عند الترحيب بالسفير الأميركي الجديد «نحن نعلم ان فينا نقصاً، وان في نظامنا الاجتماعي عيوباً وأغلاطاً . ولكن مجال الإصلاح يتسع حيث يتسع مجال النقد، ورجاؤنا في المستقبل لا يحجب نوره ولا ينطفئ . اذا ظل مصباح العقل الحر مضيئاً»

أما القواعد الرئيسية البارزة في الصورة المقابلة ، فهي قواعد « الزعامة المطلقة » والسكينة الشاملة . فالبشرية في هذه الصورة مقيدة بقيد ثقيل من حديد ، ومصائر الملايين من الناس ، في أيدي فئة من «المتفوقين» أو من الذين يزعمون التفوق لأنفسهم ، فهم طبقة الأسياد ، وسائر الناس اجزاء في آلة يجر كونها ، فيوجهونها الى الزراعة او الى الصناعة أو الى الحرب أو الى المعتقلات ، وهذا انكار للعمل الاجتماعية العليا التي وضعها الرسل ومعظم الفلاسفة وتغنى بها الشعراء من فجر الحضارة الى الآن

والآن ما تأثير هذا القرار الأميركي في المستقبل القريب والبعيد . التأثير الأول تأثير معنوي سرت موجته عبر المحيط الأطلسي الى أوروبا واتصلت بالبلقان . وسرت موجته كذلك عبر المحيط الهادى . واتصلت بالصين ، ثم جنوباً فاتصلت بزيلندا الجديدة وأستراليا ، حيث يتجسم موقف الولايات المتحدة وتصميمها ، في ست سفن حربية تزور تلك البلاد النائية زيارة صداقة وود

وأما التأثير العملي المباشر ، ففي حق الرئيس روزفلت ان يبيع حالاً لبريطانيا واليونان والصين ، وكل دولة أخرى تقرر الدفاع عن استقلالها وسلامتها ضد الطغيان والاعتداء، ما قيمته ١٣٠٠ مليون ريال مما تملكه الولايات المتحدة الآن من الأسلحة والذخائر وأدوات الحرب . بغير قيد ولا شرط . ولم تنقض دقائق خمس على توقيع الرئيس روزفلت قانون «الاعارة والتأجير» في اليوم الحادي عشر من هذا الشهر ، حتى أصدر الأمر بالشروع في التنفيذ ولم تنقض يومان حتى كانت الشحنات الأولى في طريقها تشق عباب الماء ، والقاذفات الكبيرة في طريقها ، تشق اجواز الفضاء . أما التأثير العملي غير المباشر ، فهو ارضاد سبعة آلاف مليون ريال الآن ، لهذا الغرض . وقد اقر مجلس النواب الأميركي هذا المبلغ الضخم ، الذي يكاد يكون رقمه كالأرقام الفلسكية التي تقاس بها أبعاد الكواكب باتفاق ٣٣٧ على ٥٥ . وقد لا ينتهي الاسبوع ، حتى يقره مجلس الشيوخ^(١) . فاذا تحولت هذه المبالغ الضخمة انتاجاً كما ينتظر ، وبالسعة المنتظرة ، فد العون الأميركي للديمقراطية سيعلو ويعلو ، حتى يطفئ على الانتاج الأوربي . فقد صرح

(١) أقره مجلس الشيوخ فعلاً في ٨ مارس باتفاق ٦١ صوتاً على ٣٠ صوتاً

المستر هاريمان مندوب الرئيس روزفلت الخصوصي الذي جاء لندن لينسق ما تطلبه بريطانيا وما يرسل اليها من الولايات المتحدة الأمريكية ، بأن قدرة بلاده هذه السنة على انتاج الحديد والصلب ، تبلغ ٨٥ مليون طن . وهو على ما نعلم ضعفاً ما تستطيع القارة الأوربية جميعاً انتاجه باستثناء روسيا . وسئل المستر هاريمان في اجتماعه الصحفي الأول في لندن ، هل تستطيع اميركا ان تنجز الآن ما انجزته في الحرب الماضية في بناء السفن . فقال ان يخيب املم . وهذا القول لا ندرك قيمته الحقيقية الا اذا تذكرنا ما حدث في الحرب الماضية . فعند ما خاضت الولايات المتحدة غمارها في ابريل من سنة ١٩١٧ تمك بها خصومها فقالوا انها لا تملك جيشاً ، والجيش لا تدرب ولا تعد بين ليلة وضحاها . وقالوا كذلك ان تفوقها الاقتصادي والصناعي لا يجدي الحلفاء كثيراً لأن الغواصات تفرق من سفن الحلفاء اكثر مما يستطيعون بناءه لتعويض ما يفرق . ولكن لم تنقضى اربعة اشهر حتى كانت حكومة تلك البلاد قد انشأت بمأونة اقطاب الصناعة الأمريكية ، من لاشيء تقريباً — لأن صناعة بناء السفن فيها كانت لا تذكر — دوراً متعددة لبناء السفن ، وبدأت كل دار منها تخرج سفينة كل يوم من أيام السنة

في اليوم العاشر من شهر يونيو الماضي خطب الرئيس روزفلت فقال « افسحوا الطريق . ازيلوا كل عائق . اقصى السرعة الى الأمام » وفي يوم السبت الماضي خطب كذلك فقال « ونحن هنا ، في واشنطن ، لا نفكر الا في السرعة ، السرعة الآن ، ورجائي ان ينفذ هذا الشعار الى كل بيت في الأمة الأمريكية »

ان الأمة الأمريكية بمواردها الطبيعية والصناعية والمالية المتفوقة بدأت تعمل والهر هتار يدرك ذلك ، وظفره في هذه الحرب ، يعني التغلب على بريطانيا وحلفائها والولايات المتحدة كذلك . وقد يجيئه المسيو ماتسوكا من طوكيو ، ولكن اليابان على المرحح لا تعمل لمجرد حبها لسيد برختسجاردن ، انما تعمل لنفسها ، ولا تقدم على استفزاز اميركا في المحيط الهادى ، الا اذا كان هناك أمل راجح بفوز قريب للدكتاتوريات ولها . لأن عبرة السنيور موسوليني ماثلة أمام عيني المسيو ماتسوكا

ان الهر هتار يدرك هذا ، واحتياز الولايات المتحدة لنهر الروبيكون ، في هذه الحرب ، قضى بأن يكون ظفر هتار في القارة الأوربية محدوداً بحدود زمنية ، لا يتحمل ان تطول كثيراً وقد تكون اقصر مما نظن . قد تتمرج الطريق قبل الوصول ، ولا ريب في انها ستكون وعرة ، ولكن الختام — على قول الجنرال سمطس مساء السبت الماضي — لا ريب فيه ^(١)

(١) هذا في اتصال ملخص ثلاثة احاديث اذاعها رئيس تحرير المندف من محطة راديو القاهرة

مصر وطريق الهند

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

لجمال الدين الشبال

﴿ الممالك واستغلال طريق الهند ﴾ امتاز عصر الممالك في مصر بالبذخ والترف الباغين
حدهما الأقصى ، ومع هذا فقد كان المصدر الاول لابرار الدولة في ذلك العصر هو الضرائب
الفادحة التي كانت تفرض على تجارة الهند المارة بأحد الطريقين المسلوكين في ذلك الوقت وهما:
﴿ طريق الخليج الفارسي ، وطريق البحر الاحمر ﴾ وسواء أعن طريق الخليج الفارسي
نقلت التجارة ام عن طريق البحر الاحمر (وهو الأغلب لأنه أصلح) فانها كانت تمر لا محالة
في أراضي الممالك إذ هم المالكون في ذلك الوقت لمصر والشام جميعاً
وقد كان لمرور التجارة الهندية عبر هذين الطريقين اكبر أثر في ترويج تجارة البحر المتوسط ،

وعظمت بسببه ثروة الجمهوريات الإيطالية ولا سيما جمهوريتي جنوة والبندقية
﴿ تحول التجارة الى طريق رأس الرجاء الصالح في القرن ١٦ ﴾ وقد اشتط الممالك
والبنادقة في جمع المكوس والضرائب الى درجة أثارت غضب المالك الأوربية وحدها ، فدفعهم
ذلك الى البحث عن طريق آخر توصل الى الهند حتى يتيسر لهم الاستيلاء على نصيب من هذه
الأموال التي تندفق الى جيوب المصريين والبنادقة . وساعد على نجاح هذا الاتجاه نشاط حركة
الاستكشاف في القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان أول ابنة البرتغال أول الرواد للبحث عن
هذا الطريق . وقد وصل أولهم « هنري الملاح » الى مصب السنغال والرأس الأخضر في سنة
١٤٤٦ و سنة ١٤٤٧ . ثم واصل هذه الجهود من بعده (برتلوميو دياز) الذي وصل الى طرف
افريقيا الجنوبي سنة ١٤٨٦ م ، و « فاسكو دي جاما » الذي وصل الى موزمبيق ، وكلوة
ومنبسة و انتهى به المطاف الى « قاليقوت » في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي

وقد وقع خبر كشف الطريق الجديد وقوع الصواعق على مصر والأمم التجارية في البحر
المتوسط ولا سيما البنادقة ، وحاولوا القضاء على البرتغال وعلى هذا الطريق الجديد فاتحد السلطان
الغوري سرّاً مع البنادقة ومع ملك « قاليقوت » على أن يعملوا معاً لنزع سيادة البرتغال من

الشرق ، وأنشأ الغوري اسطولاً عظيماً وقدّم البنادقة إليه كل عون ، وأمدوه بالأخشاب التي يريدونها لبناء الاسطول ، وتقابل الاسطول مع سفن البرتغال في البحار الهندية بالقرب من شواطئ ممباي ، وانتصر المصريون في الموقعة الأولى ، ولكن لم يلبث البرتغاليون أن جمعوا اسطولاً آخر ، وانتصروا على المصريين أمام ممباي سنة ١٥٠٩ م (سنة ٩١٥ هـ) ، فكانت هذه الموقعة هي الفاصلة في أمر التجارة الهندية . وظل هذا الطريق الجديد — طريق رأس الرجاء الصالح — هو الطريق المطروق من التجار الاوروبيين طوال القرن السادس عشر

﴿ انكسرت تبادلاً علاقاتها التجارية مع الشرق ﴾ كانت نتيجة حرب المائة سنة مع فرنسا أن فقدت انكلترا ممتلكاتها في القارة حيث الغنى والقوة ، وكذلك أدت حروب الوردتين إلى قيام حكومة مركزية ، ولهذا ابتداءً البحر يلعب دوره ، ويقود الانكليز إلى منابع وميناءين جديدة للثروة والنشاط . وخلال هذا القرن (١٦) كانت طائفة من سفنهم تغادر الساحل الغربي فتنفذ إلى البحر المتوسط حيث تثير قليلاً من اهتمام السفن الاسبانية والفرنسية والبندقية التي كانت تبحر عاب هذا البحر منذ أمد طويل . فطريق مرور التجارة من الشرق وإليه عبر البحر المتوسط كان معروفاً منذ القدم ، ولكن الانكليز لم يحاولوا استعماله إلا قبيل نهاية القرن السادس عشر وذلك لسببين :

١ — أحدها يتعلق بالعوامل الطبيعية للجزر البريطانية

٢ — والثاني يتصل بالعداء القديم بين الاسطولين البريطاني والاسباني . فنشأت الرغبة في الاتصال بالشرق ، ومنذ ذلك الوقت بدأت العلاقات السياسية بين انكلترا والدولة العثمانية وفي هذا الوقت نفسه — أي في القرن السادس عشر — كانت دول أوروبا تخطب ود السلطان بوساطة سفرائها الذين أنوا يمثلون الشعوب الأوروبية المختلفة ، وذلك لان تركيا كانت حينذاك في أوج مجدها ، كما كانت — وهو الأهم في نظر دول أوروبا — تسيطر على طرق التجارة البرية المؤدية إلى الشرق والمطروقة في ذلك الوقت ، وابتداءً التنافس بين هذه الدول بمحاولة الفرنسيين — تؤيدهم حكومتهم ، وبشد أزرم البنادقة — الاتفاقات من قيمة شركة الشرق الانكليزية ، وتحديد امتيازاتها التجارية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن باعتراف السلطان بوليم هاربورن سفيراً لانكلترا سنة ١٥٨٣ بدأ عهد جديد هام في تاريخ العلاقات الانكليزية بالشرق

وفي ذلك الحين كان الانكليز قد استوفوا من قدرتهم على نزول حلبة المنافسة التجارية مع جيرانهم الاوروبيين وبذلك ابتدأوا يفكرون في تتبع التجارة الشرقية حتى مصادرها الأصلية ، وقادهم هذا التفكير الى بذل مساعٍ كثيرة يتلو بعضها البعض الآخر لاكتشاف طرق برية تصل بين الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط والسواحل الاسيوية الشرقية ، وقد حبست

هذه المحاولات جميعاً ويرجع حبوطها إما الى العقبات الطبيعية التي تتخلل هذه الطرق ، وإما الى صعوبة النقل ، وتأخر وسائله في ذلك الزمن

أما المخاطر والمحاولات الأخرى للوصول الى الشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح فقد أدت الى انحلال القوى الاسبانية ، كما فتحت الطريق الى نبع غزير للثروة جذب الانكليز نحوه حتى اضطروا في أواخر هذا القرن الى الانصراف عن طريق البحر المتوسط الذي كان يدر عليهم الربح الوفير الى هذا الطريق الجديد وهو أوفر ربحاً . واستمر هذا الطريق مفضلاً عند التجار الانكليز حتى عهد الثورة الصناعية التي أعادت توجيه طرق الاتصال والتجارة مع الشرق نحو البحر المتوسط ، وذلك في القرن التاسع عشر

وبرغم هذا فقد بقي القليل من التجار الانكليز يعبرون البحر المتوسط للوصول بتجارهم نحو الشرق ، يشجعهم على ذلك أنهم استمروا نحو قرنين يتمتعون بالامتيازات التي حصلوا عليها سنة ١٦٠٤ ، وهي تشابه في كثير من الوجوه الامتيازات التي منحت للفرنسيين سنة ١٥٣٥ والتي تبيح لهم التجارة في جميع الثغور العثمانية

﴿ انكلترا تحاول العودة الى طريق مصر البحر الاحمر في القرن ١٧ ﴾ وحوالي نهاية القرن السابع عشر عبرت بعض السفن الانكليزية ببحر العرب ، ودخلت الى البحر الاحمر واشترت صفقة جد رابحة من البن اليمني من مدينة مَحْضَا

كانت هذه المحاولة للوصول الى أوروبا عن طريق مصر والبحر الاحمر عاملاً قوياً دفع القوم الى التفكير الجدي في عقد صلات جديدة بين انكلترا وسواحل آسيا الجنوبية بالشاء طريق جديد يحجوس خلال مصر

وفي سنة ١٦٩٨ مر هنري تستو Tistew (وكان قبل ذلك قنصلاً لانكلترا في طرابلس) بمصر والبحر الاحمر ، وفي عزمه العمل على ترقية طريق التجارة المار بمصر والبحر الاحمر ولكن آماله حبطت لأن الدولة العثمانية أصدرت أمراً بمنع السفن المسيحية من الملاحة في البحر الاحمر شمال ثغر جدة لقرب هذا الثغر من المدينتين المقدستين — مكة والمدينة — ومع هذا فقد استمرت التجارة نشطة مزدهرة بين جدة ومخا وبمباي تقوم بها السفن الانكليزية والعربية على السواء

أما في القرن الثامن عشر فقد تطور اهتمام الدول الاوربية بمصر كطريق للتجارة نحو الشرق فأصبح فضلاً خفياً بين انكلترا وفرنسا للسيطرة على أرض المصريين ، وسنحاول في مقال تال ان شاء الله أن نحدث القراء حديثاً موجزاً عن تطور هذا النضال ونماذج

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

أَيْقَالَ كُنَائِسِي أَمْ كُنْسِي

على ذكر رسالة «العقود النفائس في صحة النسبة الى كنائس»

نشر الشيخ أمين ظاهر خير الله العالم المشهور رسالة سماها «العقود النفائس في صحة النسبة الى كنائس» أي إنه يقال كنائسي لا كنسي . فرأيت أن التي دلوي بين الدلاء على ما في من قصور وغايتي الوصول مع القارئ الى محجة الصواب إن شاء الله

يقولون إن العرب وضعت قاعدة للنسبة مبناها أنه لا يجوز أن ينسب الى مثنى أو مجموع وعلى هذا الاساس نسب بعض الكتاب في هذا العصر الى كنيسة لا الى كنائس فقالوا كنسي لا كنائسي والذي أراه أن العرب وقد وضعوا للاسد أكثر من خمسمائة اسم وللابل وأعضائها وما يطرأ عليها من الحالات الوفاً من الكلمات وللخمر وللمر مثل ذلك كانت صدورهم أرحب من أن تضيق بالنسبة الى المثنى والجمع أسوة بالمفرد وفقاً لما تقتضيه الحال

لم يصنع العرب العاربة الآلات في حال بداوتهم ولا استصنعوها أحداً في صحارهم وجعلوا معظم الصناعات فلم تضطرم حالهم للنسبة الى المثنى والجمع ولو هم صنعوا الآلات لنسبوا الى المثنى والجمع بالارب وقالوا سكا كني في موضع سكاني مثلاً ذلك لأنهم كانوا أرحب منا صدرأ نحن أبناء هذا العصر فعرّبوا الوفاً الكلمات الدالة على الاشخاص والاماكن والاعشاب والآلات وغيرها فقالوا الاركون والاحور والارغن والاسبانخ والاسبيداج والاستاذ والاستبرق والاسطربلاب والاسطقس والاسطورة والاسفنج والاسطوانة والافستين والالماس وقد ورد بعض هذه الكلمات في القرآن الكريم على ما أثبت الامام الخفاجي في مقدمة كتابه «شفاء القليل في ما في كلام العرب من الدخيل» نقلاً عن عكرمة ومجاهد وابن عباس . وهذه التي تقدمت أمثلة من المعربات وردت في المعاجم في حرف الهمزة خلا سواها من حروف الهجاء مما يعد بالالوف فلم يسموا التلفون مثلاً إرزيّاً مع أن تعريبه سهل فهو وزان حلزون وزرجون ونظرون وغيرها ويستطاع الحاقه بالابنية العربية وأخذ الفعل منه فيقال تلفن كدحرج . ونقل الالفاظ من لغة الى لغة أخرى عادة حميدة درجت عليها الامم الحية الراقية وليس فيه من معرة

قلت لم يصنع العرب الآلات في حال بداوتهم فلم تضطرم حالهم للنسبة الى المثنى والجمع فلما خرجوا من حال البداوة الى حال الحضارة عقب الفتح العربي نسبوا الى المجموع فخرجوا عن القاعدة التي وضعها بعض العرب لا كلهم ونسبوا الى الشعوب فقالوا الشعوبية جاء في محيط المحيط مادة شعب الشعوبي من بمحقّر أمر العرب أو كل من ليس بعربي وهم الشعوبية . وفي صحاح الجوهري الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم ولم يعقب عليها . وجاء في محيط المحيط أيضاً

مادة سكن السكاكيني صانع السكن نسبة الى الجمع مولدة لان القياس يقتضي الرد الى المفرد وقوله مولدة فيه نظر . قال الشدياق في الجاسوس على القاموس (صفحة ٥٢٠) ان المولدين ومنهم جرير والفرزدق والاخلط وشار بن برد ومهيار الديلمي وابي نواس وابي تمام والبحري والمتنبى وابي فراس وأضرابهم راعوا حق اللغة والتزموا قواعدها اكثر من العرب في الجاهلية فبالقوا في ضبطها ما امكن وهذا الامر لم يكن يخطر ببال العرب قط فاذا كان المولدون قد جاؤا شيئاً مخالفاً للاصول والقواعد فانما لعدم وقوفهم على نص فيه او لانهم كانوا قادرين على توجيهه ونخريجه بخلاف العرب العاربة فانهم خالفوا تلك الاصول لعدم المبالاة وبقي النظر في قولهم ان كلام المولدين لا يحتاج به فانهم لم يبينوا معنى المولدين فغاية ما قالوه في المولد انه عربي غير محض فان كان المراد بذلك انه الذي نشأ بعد الاسلام فهو محض تغنت لان من هؤلاء المولدين من عاش قبل ان عرف التأليف في اللغة فكيف يحكم على كلامهم بانه ليس عربياً صحيحاً من دون كتب اللغة اه . وفي هذا القول ما فيه من صحة في النظر ودقة في الحكم

وفي محيط المحيط ايضاً مادة قسا القسي جمع القوس على غير قياس وكذلك القسوي نسبة اليها ولم يعقب عليها . وفيه ايضاً البرميل وعاء مستدير محدب الاوسط طوله اعظم من عرضه معربة جمع براميل وصانعه وبائعها براميلي ولم يعقب عليها . وفيه مادة صحف الصحفي من يخطىء في قراءة الصحيفة ومن يأخذ العلم من الصحيفة وهو منسوب اليها بحذف الياء على القياس اه . فان كان كذلك فهاذا نسبي ناشر الصحف وبائعها ان لم نقل صحفي . وفيه ايضاً مادة سكن السكاكيني ما كان بهيئة السكن فان كان كذلك فهاذا نسبي صانع السكاكين وبائعها ان لم نقل سكاكيني نقياً للباس . وعلى هذا المنوال الزنايري والمساميري تمييزاً له عن المسماري كالخط المسماري مثلاً والعشاري نسبة الى العشار تمييزاً له عن العشري والعشري نسبة الى العشر والعشرة . والنصولي والسيوفي والعجائي تمييزاً له عن العجبي نسبة الى العجب والكواكبي والساعاني والحواسلي والبقاقي والكتبي وهو بائع الكتب . والجيناتي جاء في محيط المحيط مادة جن الجنيئة تصغير الجنة والعامة تستعملها لستان الفواكه والزهور جمع جنينات وعاملها جنيناتي وقوله والعامة تستعملها لستان الفواكه والزهور فيه نظر والكنائسي في موضع الكنيسي والكنيسة ليست في الاصل عربية بل معربة مأخوذة من اكلisia اليونانية والعقائدي تمييزاً له عن العقدي والعقدي نسبة الى العقد والعقدة والعقائري في موضع العقاري نسبة الى العقار واحد العقائر نقياً للباس وازالة للشبهة فان النسبة الى العقار وهو المنزل والارض والضيعة عقاري . والآلاتي وهو صانع الآلات وبائعها ومن يضرب على الآلات الموسيقية تمييزاً له عن الآلي نسبة الى الآلة كالمصنوعات الآلية وهي غير المصنوعات اليدوية . والاجزائي تمييزاً له عن الجزئي نسبة الى الجزء وهو البيض والمراكي والموكي والدوابي والرقيمي وهو حرف الطباعة

المعروف والألمني والدؤولي وهو ما يعبر عنه الأعاجم بلفظة International والنعالبي وهو العالم المشهور نسبة الى صناعة خياطة جلود الثعالب كما ورد في ترجمته في مقدمة كتابه فقه اللغة والحصري والطرايشي والمسابكي والمباردي والسباعي والدروبي والمواقدي والضباعي والهواووبي والطباشيري والبرزوري والشفاهي والقنواقي والصناديقي والمراياني والكتناني والقصبياني والدوري نسبة الى الدور. ومنها العصفور الدوري المعروف والزبداني والكوكباني والعضامي نسبة الى العضام جمع عضم وهو العظم. قال ابن خلكان في وفيات الاعيان: كان ابو محمد عبد الله بن زياد الكوفي المعروف بابن الاعرابي يقول: جائز في كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والطاء فلا يخطيء من يجعل هذه في موضع هذه وينشد: (الى الله اشكو من خليل اوده ثلاث خلال كلها لي عائض) بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب اه. قلت: فلا يخطيء اذن من يضع الضهور في موضع الظهور والظابط في موضع الضابط. وجاء في محيط المحيط مادة سرج: السرج الرحل وغلب استعماله للخيول جمع سروج والسراج صانع السرج والعامية تقول سروجي وقوله والعامية تقول سروجي فيه نظر وكيف لا يكون كذلك وقد جاء في مادة ملك ويقال امر او تاج ملوكي ولم يعقب عليها كما سترى وسار على هذه القاعدة بالنسبة الى الجماعة جهرة من فحول العلماء. فورد في مقتطف مايو سنة ١٩١١ في باب السؤال والجواب قوله «ويمكنكم ان تطلبوا الى احد الكتبيين ان يشترى لكم كتاباً الخ» يقصد بالكتبي بائع الكتب فنسب الى المجموع مضطراً ازالة اللبس لانه لو قال احد الكتبيين لوقعت الشبهة لان الكتباني من يؤمن بما اوحاه الله في الكتب المنزلة ومن سار على هذه القاعدة الشدياق صاحب الجاسوس وهو من أبرز أئمة اللغة وذلك في التوراة التي ترجمها الى العربية فطبعها في لندن سنة ١٨٥٧ جمعية ترقية المعارف المسيحية ووصفها المطران الدبس في تاريخ سورية بأنها أدق الترجمات العربية. قلت: قال في سفر استير (٦: ٨) «يأتون بالملبوس الملوكي الذي يكتمس به الملك وبالفرس الذي يركبه الملك وبالتاج الملوكي الذي وضع على رأسه». وكرر ذلك في موضع آخر من السفر نفسه (٨: ١٥) فقال «وخرج مردكاي من حضرة الملك باللباس الملوكي الخ». وقال في كتابه الواسطة في أحوال مالطة (صفحة ٤٣ سطر ١٤) «وقد مرّ بك عدد الكنائس والقسيسين ورتوتهم وملابسهم الكنائسية»

فان تكن النسبة الى الجماعة غير جائزة فكيف ينسب كتب العصر وادباؤه بلا استثناء الى النساء فيقولون أزياه نسائية ومجلات نسائية والنساء جمع امرأة وامرأة والنسبة اليها وفقاً للقاعدة المزعومة مرئي فان كان كذلك فكيف نميز بينها وبين المنسوب الى المرء. جاء في محيط المحيط مادة مرأ المرء الانسان أو الرجل والنسبة اليه مرئي جمع رجال من غير لفظه والاثني امرأة بهمزة وصل وفيها لغة أخرى مرأة وجمعها نساء ونسوة من غير لفظها

ومن قال بالنسبة الى المجموع الاستاذ جبر ضومط وأوضح وجهة نظره في رسالة النسبة

قال الامام الحريري المتوفى سنة ٥١٥ هجرية في كتابه درة الغواص (صفحة ٩٤) «ويقولون لمن يقتبس من الصحف صحفي مقايضة على قولهم في النسب الى الانصار أنصاري والى الاعراب اعرابي . والصواب عند النحويين البصريين أن يوقع النسب الى واحدة الصحف وهي صحيفة فيقال صحفي لأنهم لا يرون النسب الا الى واحد المجموع فاما قولهم في النسب الى الانصار انصاري فانه شذ عن أصله وأما قولهم في النسبة الى الاعراب اعرابي فانهم فعلوا ذلك لازالة اللبس وفي الشبهة اذ لو قالوا فيه عربي لاشبه المنسوب الى العرب وبين المنسوين فرق ظاهر لأن العربي هو المنسوب الى العرب وان تكلم بلغة العجم والاعرابي هو النازل بالبادية وان كان عجمي النسب انتهى كلام الحريري . قلت : فان جاز للعرب ان ينسبوا الى المجموع ازالة للبس ونقياً للشبهة فقد حلوا العقال عن القاعدة التي وضعوها واجازوا لنا أن نجري على غرارهم وهذا جل ما وددت بحثه في هذا المقال فاني لست أقول بعدم جواز النسبة الى الواحد بل أقول بجواز النسبة الى الجماعة ازالة لللبس ولست أرى مانعاً مطلقاً من النسبة الى واحدة الصحف فأقول صحفي لمن يقتبس من الصحيفة وصحفي لناشر الصحف وباللهما

ومعلوم ان الامام الحريري المتقدم ذكره من أهل البصرة والبصريون قالوا بعدم جواز النسبة الى الجمع فلا غرابة اذا قال قولهم وقد خالفهم الكوفيون كما سترى

فقد قال الامام الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هجرية في شرح درة الغواص (صفحة ١٩٨) قال ابن برّي كونه لا ينسب الى الجمع قول البصريين وهو المشهور وخالفهم الكوفيون فجوزوا النسبة الى الجمع مطلقاً فلا وجه لما قاله المصنف (ريد الحريري) فيما ادعاه من عدم جواز النسبة الى الجماعة . ومعلوم أن الكوفة تأسست سنة ١٧ هجرية (٦٣٨ م) وازدهرت بسرعة وظلت مركز السياسة والأدب في العراق حتى تأسس بغداد واليه ينسب الخط العربي الكوفي المعروف ويجب ألا يفوتني القول ان للذوق أيضاً دخلاً كبيراً في الأمر فمن منا لا يستحب النسبة الى المجموع على النسبة الى المفرد في مثل قولنا أزياء نسائية في موضع قولنا أزياء مرثية وأيقونة تجاثية في موضع أيقونة عجمية وباب ملوكي في موضع باب ملكي وهو الباب الأوسط من الايقونسطاس في كنائس النصارى الملكيين وجمال ملائكي في موضع جمال ملكي . جاء في محيط المحيط مادة ملك الملك واحد الملائك . الملاك بفتح اللام نسبة الى الملك بكسر اللام . الملكية مؤنث الملكي والملكية طائفة من النصارى لقبوا به لانباعهم الملك الواحد ملكي . الملوكي نسبة الى الملوك يقال أمر أو تاج ملوكي اه . ولم يعقب على النسبة الاخيرة فلم يقل انها مولدة أو عامية أو خارجة عن القياس وكذلك ترى ان لا مفر للساكنين في مادة ملك من صوغ ثلاثة ضروب من النسبة ملكي وملوكي وملائكي . فما قول القارئ الكريم في هذا الذي تقدم ؟

على هامش مقال الكوفية والعقال

للأب الكرمل في منزلة في العلم سامية، وله أسلوب خاص في البحث والتنقيب لا يجارى، فهو كحجر الفلاسفة، يحول كل ما يعالجه قلمه العسجدي ذهباً صرفاً ومقاله المنشور في مقتطف مارس سنة ١٩٤١ خير شاهد لما نقول، ومؤلفاته الكثيرة المشهورة جعلته أشهر من «قفا نيك» غير أنه عرض في أقوال من استشهد بهم العلامة الجليل بعض الأوهام، لذا رأينا من واجبنا التنبيه عليها خدمة للعلم، وتنزيهاً لذلك المقال النفيس المبكر عن الطعن. من ذلك ما جاء في صفحة ٢٤٤: «فلقد رأينا من اسمائه في التوراة (الحبل) وعند أهل الحجاز والعراق وكثير من بلاد العرب (العقال). وعند أبناء شرقي الأردن (المريز) وعند بدو شرقي الأردن، والسلط وعجلون، وفلسطين (العصابة)»

والواقع أن بدو شرقي الأردن وحدهم — ونعني بالبدو (بني صخر) و (الحوبطات) — هم الذين يسمون (المريز) (عصابة). أما أهل السلط وعجلون وفلسطين فيسمونه (العقال) وعلى سبيل الاستطراد نقول: «أن لفظة المريز على شيوعها في الديار الأردنية أكثر استعمالها في مادبا والكرك، وضواحيها»

وجاء في صفحة ٢٤٦ نقلاً عن كتاب الأستاذ الجليل عبدالله مخلص المؤرخ في ٣١/٨/١٩٣٨ ما نصه الحر في: «أما لباس الرأس الذي يشبه العقال وهو كما وصفتم من جهة شكله وحشوه بمادة من المواد فيسمى هنا (في فلسطين) صمادة وهو خاص بالنساء. إلا أن هذا اللباس لا يدار على الرأس كالعقال بل يوضع فوقه فيتدلى من الجانبين حتى يصل إلى الأذنين وله خيط يربط به من تحت الحنك يسمى (حنكة) أو (زناق). ويخاط على دائر الصمادة مسكوكات فضية قديمة مجوفة حتى يركب بعضها بعضاً، فتتراص وتنسجم. و (الصمادة) (هنا غير الصماد) الوارد في كتب اللغة. وكذلك القول على الحنكة والزناق»

والذي نراه أن في أقوال الأستاذ المخلص أوهاماً كثيراً منها:

(أ) أنه جعل الصمادة نفسها لباساً، مع أن الصمادة ليست لباساً، وإن هي سوى سفيفة من القماش يطوى بعضها على بعض، أو تحشى بخرق، وتخط عليها قطع من النقود الفضية. وتسمى الصمادة في شرقي الأردن (الصفّة) وما تخط عليه الصفّة (الوقاة) من وقى بقي والصمادة كما تسمى في فلسطين، والصفّة كما تدعى في شرقي الأردن لا تخط على (الوقاة) التي هي العمرة الحقيقية لرأس المرأة إلا عند الزواج وبمده. ومن هنا نعلم أن (الصمادة) — [الصفّة] في شرقي الأردن — شارة كمال توضع على رأس المرأة من الزواج فصاعداً. كما أن المريز نفسه من علامات الرجولة والكمال. واذكر أنني كنت أتمنى لبسه، فلم أحصل عليه قبل بلوغي

العاشرة من عمري. ولعلني قد سبقت بذلك أكثر لدائي في مادبا. وقد أخذت الصمادة اسمها من فعل صَمَد العروس أي جلاها وصمدة العروس هي اجلاسها في موضع بارز من الدار ليراها أقاربها والمنهثون. ثم توسعوا في المعنى واطلقوه على هذه الشارة التي توضع على (الوقاة) مع أن الصمادة في الأصل اسم للموضع الذي تجلس عليه العروس. ودليلنا على ذلك ما هو شائع على الألسن بعد حفلات تنصيب الاطفال في شرقي الأردن، وبعض الديار الفلسطينية «من عماداته تصمادته». أي أطال الله عمر هذا المعمد الى أن يحتفل بزواجه، كما احتفل بمماده (ب) أن العالم الجليل قد خلط بين (المخنكة) و (الزناق) فالمخنكة شيء، والزناق شيء آخر، والمخنكة حلية فضيئة قوامها ريال شوشي^(١) أو مثلك فضي حاد الزوايا تعلق به سلاسل فضية دقيقة الصنع تنتهي بقطع نقود فضية تعرف بـ (القرطات) واحدها قرطة أو (البراغيث) واحدها براغوث ولكون هذه الحلية تلاصق الحنك سميت (المخنكة) وبعضهم يسميها الريال. والمرأة التي تلبسه تدعى «أم ريال»^(٢) والزناق سلسلة فضية توصل بالوقاة من خلف الأذن وتدار على العنق وتوصل بجانب الوقاة الثاني من خلف الأذن الاخرى ويندر أن يكون الزناق خيطاً إلا اذا كان لعجوز، أو لفقيرة معدمة، أو لامرأة أحدث، وكثيراً ما تغطيه الحدة بحرقه سوداء، وتبقيه على حاله. وبرهاناً على أن المخنكة غير الزناق قول الشاعر الاردني — فضلاً عن معرفتنا الشخصية —

«يَخْفَى^(٣) لَيْسَ الْخِنْكَ بِسَحَرِهَا وَزَنَاقُهَا يَوْضِي^(٤) كَمَا^(٥) تَمِغَةُ الدَّارِ»
(ج) انه جعل النقود التي تحاط على الصمادة (الصفة) مجوفة، ويفهم من هذا ان تجوبها شرط، مع ان الأمر ليس كذلك. فقد تكون مجوفة، او مبسطة، وهذه النقود تعرف بـ (الوزريات) واحدها الوزري، او (العشاري)، واحدها العشاروية^(٦) وجاء في الصفحة ذاتها نقلاً عن رسالة الدكتور مصطفى جواد ما يلي:

«ان الذي رأيتوه على رؤوس البدويات نوعان: نوع من جنس العقال الذي يتخذ الرجال، ونوع يسمى جمجة. أي كمنكة، يتخذها النساء الربعات اي المعيدات تهوينا لثقل

(١) الريال الشوشي أو ابو شوشة هو الريال الانكليزي

(٢) هذه الحلية التي تكاد تنقرض في شرقي الاردن كانت خاصة بالطبقة الراقية، والبدو يتغزلون بهذه الحلية. راجع صفحة ٩٥ من كتاب النقود العربية وعلم النميات الذي تولى نشره الاب العلامة انستاس ماري السكرمي سنة ١٩٣٩ وطبعه في المطبعة المصرية (٣) اي انه لا فرق بين ورق الفضة الخالصة، وورق نجر حبيته، لجالها، ونقاء بشرتها (٤) يوضي — يضي. (٥) كما — كأنه. يشبه (٦) الوزري هو النقد التركي المعروف في سورية بالزهر اوي. وكانت قيمته الى سنة ١٩٣٠ خمسة قروش تركية صاغة. وهو اليوم يباع بنحو ١٢ ونصف (اثني عشر ملا ونصف اثل من النقد الفلسطيني). والمال يقابل الفلس العراقي. اما العشاروية فهي نقد فضي بطل التعامل به سنة ١٩٢٥. راجع صفحة ٩٤ من كتاب النقود العربية وعلم النميات. للاب انستاس ماري السكرمي المطبوع سنة ١٩٣٩

ما يحمل على رؤوسهن من قصاع اللبن والرائب ، وكلاهما مألوف معروف «
« فأما العقل فعند أكثر البدويات الرواحل . وأما الكعكة فهي شيء اضطرت الحاجة إليه
فلا يدخل في أبواب العقل ، فالعقال هو الرفيع ، والجمعية نخبة » أه

والذي نعرفه يؤكد لنا ان الدكتور الجليل واهم في قوله . فالجمعية ، ليست عقلاً ، ولا
عصابة ، ولا هي عمرة ، ولا جزء من عمرة الرأس ، انما هي أداة من القماش او الخيش توضع
على الرأس عند حمل الاثقال فقط ، وتطرح بعد ذلك . وتسمى في مأدبا (مِدْوَرَة) وفي عمان
والسلط ، وعجلون « كَيْسَل » . أما قوله : « ان العقل عند أكثر البدويات الرواحل » فليس
في شيء من الصواب . فعصائب النساء لا تكون عادة إلا من القماش -- هذا اذا استثنينا بعض
الشراريات -- على نقيض عصائب الرجال وعقلهم . والمرأة لا تعتصب عادة إلا بعد الزواج --
ما عدا نساء السلط والحصن وضواحيهما من أعمال شرقي الاردن فان العصائب شائعة بينهم
أبكاراً ومتروجات -- لان العصبة تعد شارة من شارات كمال المرأة ، وشيخوختها . ولا تشبه
المرأة بالرجل في عصبتها . اوفي اتخاذ البياض عصابة إلا اذا أخذت . وكان لسان حالها يقول : --
انه لم يبق في الحي رجل تعترف برجولته ، اذا ، فلا لوم عليها اذا تشبهت بالرجال في عمرة رأسها
ولعل الدكتور الجليل رأى من أخذت من البدو فظن لباسها عامياً في نساء البدو كافة
وجاء في صفحة ٢٤٧ « والعراقيون من أهل البادية يسمون الكوفية (الحلالية)
بتحريك الحاء واللام ، وكسر اللام الثانية ، وتشديد الياء

وهذه التسمية معروفة في الكرك من أعمال شرقي الاردن فهم -- أهل الكرك -- يقولون :
« حَلِيلِيَّة » باسكان الحاء وكسر اللام الأولى والثانية وتشديد الياء الثانية مفتوحة ، ولفظ
الياء كما يلفظ حرف (هـ) الفرنسية . وجمعها « حَلِيلِيَّات » ويسمون (الشِّمَّاع) (الشِّمَّاق)
(حَلَالِيَّة) ويجمعونها على « حَلَالِي »

وجاء في صفحة ٢٤٨ سطر ١٥

« ولهذا كان من اسمائه العربية في البلاد الضادية اللسان تدل كلها على مثل هذا المعنى »
والذي نعتده انه سقط من الاصل ما جعل العبارة غير واضحة . فهي تستقيم هكذا :
ولهذا كان من اسمائه العربية في البلاد الضادية اللسان كلها ، دليل على هذا المعنى . ومن
أوهام الطبع الواردة في المقال ما جاء في صفحة ٢٣٨ سطر ٦

اصفيا . مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وصوابها أحفيا . واحداً حفي
هذا ما عن لنا تعليقه على ذلك المقال النفيس البكر ، شاكرين للأب الحجة خدمته الجبارة
الخالصة لهذه اللغة ولأبنائها عمان شرقي الاردن روكس بن زائد العززي

بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِيَّةِ

خطبة وزير المعارف

في حفلة افتتاح مستشفى فؤاد الأول

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بافتتاح مستشفى فؤاد الأول في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس ٢٤ أبريل في حفل رسمي عظيم فألقى معالي وزير المعارف الخطبة التالية بين يديه : —

في العالم فخامةً ونظاماً ودقةً

مولاي : لما تولى المغفور له والدكم العظيم رأسه الجامعة المصرية الاهلية الناشئة في سنة ١٩٠٧ ، كانت عنايته بها فأل يمن بنجاح نشأتها والمستشفى الذي تنفصلون اليوم بافتتاحه اثر من آثار هذه العناية التي وطدت ركن الجامعة فجعلتها صرحاً للعلم مشيداً . ولقد ظلت الأرض التي يقوم عليها هذا المستشفى ، والتي تبلغ اثنين وخمسين فداناً ، فضاءً فسيحاً يكتنفه النيل من جانبيه ، ويغمر الفيضان بعض اجزائه ، حتى جلس والدكم على عرش ابيه وجده سنة ١٩١٧ . عند ذلك صح العزم على اقامة مستشفى يتصل بكلية الطب ليؤدي الغرض التعليمي ، ويحقق فكرة صاحب العرش في الجامعة ، ولينهض بعاصمة الدولة في الناحية العلاجية الى المسكنة التي تناظر بها مثيلاتها من عواصم اوربا وأميركا . وتم اختيار هذه الأرض لاقامة المستشفى وكلية الطب عليها ، ووضعت التصميمات لمبانيها المختلفة ، ومن بينها تصميم مدخل رئيس يقام فيه تمثال الملك فؤاد ، اعترافاً بفضلته في اقامة هذه المؤسسة العلمية التي لا تاندانيا في العظمة او في الدقة مؤسسة في العالم

مولاي : أن في تفضل جلالتم بتشريف

هذا الحفل لفتتحو مستشفى فؤاد الاول لآية من آيات رعايتكم العلم ، وحيل بركم بالمرضى والفقراء ، وعظيم حرصكم على أن تسرع نهضة هذه الأمة التي تعز بعرضكم ونجب من أعماق القلب شخصكم . وليس يسعنا جميعاً لقاء هذا العطف السامي الا أن نرفع الى مقامكم الكريم أبلغ الشكر ، وأن نتوجه الى المولى القدير بالدعاء أن يظلكم بعنايته وبمديكم بتوفيقه ، وبمز شعبكم الوفي الطامح الى غايات الرفعة والمجد

وما يضاعف غبطتنا ، يا مولاي ، أنكم تفتحون اليوم عملاً من الاعمال الجليلة التي كان للمغفور له والدكم العظيم ، عليه رحمة الله ، فضل اقامتها صروحاً مشيدة للعلم ، والبحث ورعاية الانسانية . اليه ترجع الفكرة الاولى في هذه المؤسسة ، وبنايته في ظل ملكه بدأ التعمد لتشييدها ، وبزمه وحزمه سار العمل فيها رغم كل العقبات . وها هي ذي تشهدها اليوم أعين جميع المقيمين بمصر فياخذها الاعجاب بجلالها وعظمتها ، وتشهدها أعين الأجانب عن مصر ، فيقرون لها بالتفرد بين نظائرها

وقد لوحظ في تصميمها، ان تحقق الغرضين الاساسيين منها على أكمل وجه. لذلك حوت مجموعاتها اقساماً تناولت جميع فروع الطب في التشخيص والعلاج، وانشئت بها صيدلية لصرف الأدوية للجمهور. وبهذا استوفت ما يجب للاغراض التعليمية في جميع فروع الطب، فلا يضطر الطلاب للتنقل بين المستشفيات المتباعدة على نحو ما يقع في كثير من العواصم، كما استوفت ما يجب للعلاج، فاذا قصدوا المريض وجد امامه المستشفى الذي يعالج فيه مرضه. واستيفائها هذين الغرضين هو الذي جعلها أكبر مجموعة طبية في العالم

مولاي : تم بناء هذا المستشفى خلال خمس عشرة سنة بذل في اثنائها من الجهد والمال ما لم يكن يقيس بذله لولا رعاية والدكم، عليه رحمة الله ورضوانه، ولولا عطفه على هذا العمل العظيم وتشجيعه للقائين به وحرصه على تمامه. وكيف كان له ان يتم من دون هذه الرعاية. وقد قدرت التكاليف النهائية لاقامة المستشفى وكلية الطب بمبلغ ١٣٦٥٠٠٠ جنيه، انفق منها في بناء المستشفى نحو ٨١٥٠٠٠ جنيه. وسينفق ما بقي في اقامة كلية الطب ومعاملها وملحقاتها وكان لتشييد هذه المؤسسة الجليلة، يا مولاي، من الاثر في النهضة المصرية بوجه عام، ما يشهد بأن العمل العظيم لا يقف فضله عند تحقيق الغرض المباشر المقصود منه، بل يتعداه الى نواح ليست دون هذا الغرض جلالاً ونفعاً. فقد أنفض العمل في هذه المؤسسة صناعات شتى لم تكن معروفة قبله في

مصر، وكان الوارد منها الى البلاد يستنفد قدراً جسيماً من أموالها. نشأت صناعة النوافذ والحواجز والدواليب المعدنية، وصناعة الرخام الصناعي المصقول المعروف باسم « الترازو » وصناعة الطلاء بالكروم، وصناعة الارضيات الكاوتشوك وصناعات أخرى توطنت في هذه البلاد وأغنتها في الأزمة العالمية الحاضرة عن الاستيراد من الخارج ومن دواعي الاغبطاء، يا مولاي، ان الأيدي العاملة التي أتمت هذا البناء الفخم مصرية كلها، فيما خلا بعض الأعمال الاختصاصية كالبخار والكهرباء. والاجانب الذين تولوا هذه الأعمال الاختصاصية، لم يتعد عددهم العشرة

ويرجع الفضل الاكبر في نمو هذه الصناعات وفي قيام الايدي المصرية بالعمل في هذه المؤسسة الكبرى، الى ما ابداه مهندسونا المصريون من براعة ودقة، وحرص صادق على افادة وطنهم من هذا العمل بكل وسيلة ممكنة وأدعى للاغبطاء، يا مولاي، ان هذه المؤسسة العظيمة قد عهد في العمل العلاجي فيها الى رجالنا والى شبابنا المصريين الذين تعلموا في مصر وحصلوا على أرقى الدرجات العلمية من الجامعات الاوربية. فالاطباء على اختلاف فروع اختصاصهم، والصيادلة، والعاملون في الأشعة وغيرهم من المتولين لشئون هذا المستشفى جميعهم من المصريين، وجميعهم من ذوي القدرة والكفاية، وأكثرهم قد انقطع لعمله تمام الانقطاع. وهذه خطوة مباركة كنا نرجوها لمصر من زمان بعيد وتحقيقها في عهدكم

جامعة « فاروق الأول » بالا سكندرية وانشاء غيرها من الجامعات ومعاهد العلم والبحث والبر بالانسانية في شق انحاء المملكة ، على نحو من الدقة والجلال تطمئن اليه نفوسكم الكبيرة ، ويتفق مع ميولكم العظيمة ، وآمالكم الجسام في النهوض بهذا الوطن ، والرقى بجميع مرافقه ، ليسعد أبنائه ، ولينابعوا خطوات جلالته الموفقة في السير به الى المكان الذي تبغونوه له وأستأذنكم ، يا مولاي ، ان تفتتحوا مستشفى فؤاد الأول ، داعياً الله أن يجعل عهدكم السعيد عهد من توفيق وعزة لهذا الوطن وابنائها

السعيد ، يا مولاي ، يزيدنا بها غبطة وابتهاجاً وما دمت قد ذكرت المهندسين الذين تولوا بناء المستشفى ، والاطباء الذين عهد اليهم بالعمل فيه فاني استأذنكم يا مولاي ، في ان أذكر ما كان لطبيب مصر العظيم الدكتور علي ابراهيم باشا من جهد صادق في جميع الأدوار التي مر بها هذا المستشفى منذ البدء في تأسيسه الى وقتنا الحاضر مولاي : ان علينا ، بعد أن تم بناء مستشفى فؤاد الأول . أن نقيم معه كلية الطب ومعاملها وملاحقاتها ، وسيتيم ذلك عما قريب ، بحمى عطفكم وحسن رعايتكم . وسيتيم كذلك في عهدكم وبنايتكم ، يا مولاي ، تشييد المعاهد التي تؤلف

الأؤلؤ في الاساطير والاداب القديمة

بالمقابلة مع الصورة التي وشتها ريشة علم من الأعلام تدخل جسم محارة الأؤلؤ حبة من الرمل او دقيقة من مادة غريبة عن ذلك الجسم اللين الحساس ، فتغدو تلك الحبة او تلك الدقيقة نواة الأؤلؤ الهبة ، اذ تغطيها المحارة بطبقة في أثر طبقة من الافراز المعروف باسم Nacre اي عرق الأؤلؤ . وهذه الطبقات تختلف ثخانة ، فمنها ما هو أرق من الورق الرقيق ، الذي تلف به لفائف التبغ . وأبهى اللآلئ ما كانت طبقاته رقيقة . ومنها ما هو أثخن من ذلك على تفاوت ، وأقل اللآلئ قيمة في عرف الخبراء هي اللآلئ التي طبقاتها ثخينة

والغالب ان الأؤلؤة تمخذ لونها من غشاء الصدفة او من ذلك الجانب من الغشاء الذي تتولد وتنمو في جواره . فليس من المحتمل ان

ما فتئت اللآلئ من قرون تستوقف أنظار الناس ببهائها وسر تولدها ، فهي الحجر الكريم الوحيد الذي يستخرج من البحر ، والذي يتولد بفعل حيوي . فليس بالعجيب ان تحاك من حولها أساطير الأقدمين ، وبسير ذكرها في روايات الرواة والقصاصين ، وتطيف بها أحلام الشعراء وتغنيها قصائدهم ، وليكن العلم الحديث لا يثنيه الشعر عن التحليل فعمد الى الأؤلؤة يخضعها لأساليب الكيمياء وعين الحجر والمطيف ، وقد عني كثيرون بتوليد الأؤلؤ بحارين الطبيعة في أسلوها ولكنهم لم يفوزوا حتى الآن بما يضاهاى أؤلؤ خليج ايران بل ان الأؤلؤ المولد بالقياس الى الأؤلؤ الطبيعي يشبه — في رأي الدكتور الكسندر أحد علماء معهد ميلون الاميركي — الصورة المقلدة

تقع على لؤلؤة وردية اللون في الصدفة ليست بوردية في داخلها

والوان الآلىء تختلف من وردي الى قشدي الى ابيض الى رمادي الى برونزي الى اسود الى اصفر فاتح الى ازرق الى اصفر الى بنفسجي الى برتقالي الى بني الى اخضر . ولكن الالوان المقدمة على غيرها هي الوردي والقشدي والايض والاسود

وهناك ما يحمل على القول بأن درجة الحرارة وتركيب الماء وصحة المحارة نفسها هي العوامل التي تحدد لون اللؤلؤة في نطاق العامل الاول الذي تقدم ذكره . وتلاؤلؤها مردة الى انعكاس الضوء وتكسره على سطحها

وقد تغنت كتب النصارى والعبرانيين الدينية بجمال الآلىء وبهاثها ففي انجيل متى « يشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة » . وفي امثال سليمان عن الحكمة « هي آمن من الآلىء . . . » . وفي التامود اشارة الى اللؤلؤة التي « لا ثمن لها » والى المن الابيض كاللؤلؤ وتزرو أساطير الهندود كشف اللؤلؤة الى كرىشنا فهي الشكل الذي تجلى فيه الآلهه فيشنو بكل مجده ، وتمضي الرواية فتقول انه انتزع اللؤلؤة من اعماق البحر ليزين ابنته بها يوم زواجها ، والى هذا ترتدعادة الجمع بين الآلىء والعرائس وفي الادب السنسكريتي في عصر ازدهاره في القرن الثالث الميلادي اشارات متعددة الى الآلىء وكانت اللؤلؤة تدعى « بوتكا » اي النقية وفي مسرحيات كاليداسا الشكسبير الهندي

اسماء شتى اطلقت على اساور اللؤلؤ وعقوده ويذهب روزنتال في كتابه « ملحة اللؤلؤ » الى ان اللؤلؤ أول الحجارة الكريمة التي عرفها الانسان . ومن المحتمل انه كشف اولاً بواسطة رجل من القبائل التي تأكل السمك وغيره من حيوان البحر على سواحل الهند . والغالب انه أعجب ببهاء اللؤلؤ عند ما فتح صدف المحار الذي جمعه لياكل ما فيه . ثم استعمله وفقاً لارتقاء ذوقه ورغبته في الزينة

وعرف الصينيون قيمة اللؤلؤ من قديم الزمان فكانوا يقبلونه في المعاملات . ومن رواياتهم المعجبية ان من الآلىء ما يبلغ تلاؤلؤه مبلغاً يكفي لطهي الرز على مسافة الف ميل . وفي بدء العهد المسيحي رويت رواية عن لؤلؤة كانت لشدة بهاثها ترى على بعد ثلاثة اميال

ومن أشهر الروايات ان كليوباترة شربت خمرأ اذيت فيه الآلىء . ولكن العلم الحديث يضيف الى هذه القصة ان الآلىء لا تذوب في الخمر المألوف الا اذا سحنت قبلاً . وتشبه هذه الرواية رواية أخرى عن حادثة حدثت في عصر الملكة اليزابت . فقد قيل ان رجلاً يدعى السر توماس جريشام كان يملك لؤلؤة يقدر ثمنها بخمسة عشر ألفاً من الجنيهات فسحنتها وأذاها في خمر وشربها نخباً للملكة في مأدبة أدبها للسفير الاسباني . ويقال ان غرضه من ذلك اقامة الدليل للسفير على مبلغ غنى الانكليز وقد رتهم على انشاء اسطول قوي لمقاومة مطامع سيده فيليب الثاني

بوارج طبقة « جورج الخامس » خصائصها وبعض أوصافها الفنية

اذا عت الأيرالية البريطانية في اواخر شهر ابريل ١٩٤١ ان بارجة جديدة تدعى « برنس اوڤ ويلز » قد تم انشاؤها وتسليحها فانضمت الى الأسطول البريطاني متأهبة للقتال. وهي شقيقة البارجة « جورج الخامس » التي اقلت لورد هاليفاكس الى الولايات المتحدة الأمريكية من اشهر. والبارجتان من طبقة جديدة تعرف باسم طبقة « جورج الخامس » وتشمل خمس بوارج ينتظر ان يتم انشاء الثلاث الباقية منها وتسليحها في خلال هذه السنة

تفرغ كل بارجة منها ٣٥ ألف طن ومحركاتها تولد ١٥٢ ألف حصان فتدفعها بسرعة ثلاثين ميلاً بحرياً في الساعة وهي اقصى سرعتها. وقد خصص نحو ١٣ ألف طن من تفرغها للدروع فهي من امتن البوارج دروعاً وأحيطت اجزاؤها الحيوية الداخلية — كحجرة المحركات — بدروع أخرى فاذا ثقت الدروع الخارجية فان المحركات لا تعطب قبلما تنقب الدروع الداخلية كذلك

وداخل البارجة مقسم اقساماً في الوسع فصل احدها عن الآخر بأبواب ضخمة متينة فاذا عطب جزء من البارجة ودخله الماء بقيت الأجزاء الأخرى بمنجى من تدفق الماء عليها فمن اشق الأمور اغراق بارجة من هذا القليل. وأحيطت الأجزاء التي تعرف بدماغ البارجة — أي المرقب وأجهزة السيطرة على المدافع —

بجدران قلعة متينة من الصلب وفي الوسع احكام ايصادها فلا ينفذ الغاز الحربي او غيره اليها اما مدافعها فأكبرها عشرة قطر كل منها اربعة عشر بوصة وهي مركبة في طابقتين بكل منها اربعة مدافع وفي طابية ثالثة بها مدفعان. وقد يسأل القارئ لماذا فضلت الأيرالية البريطانية مدافع من عيار ١٤ بوصة مع ان طائفة من البوارج البريطانية وغير البريطانية المستعملة الآن والتي بنيت قبل سنين مسلحة بمدافع عيارها ١٥ بوصة او ١٦ بوصة. والواقع ان هذا التفضيل نشأ عن تقدم صناعة الصلب القاسي المتين تقدماً عظيماً في العهد الاخير فجعل في الوسع صنع مدافع طويلة الانبوب سريعة الانطلاق تفوق في طول انبوبها وسرعة انطلاقها المدافع التي صنعت قبلاً. واذا كانت قبلتها لا تزيد من حيث الوزن على ثلاثة ارباع وزن القنبلة المنطلقة من مدفع قطره ١٦ بوصة فان سرعة انطلاقها (ثلاثة انطلاقات في الدقيقة) تمكن المدافع العشرة من ان تقذف في وقت معين مجموعة من القنابل تعدل في زتها ما تستطيعه تسعة مدافع من عيار ١٦ بوصة. والمدافع الجديدة على كل حال أبعد مرمى وأدق رماية. وفي هذه البوارج مدافع أخرى متنوعة وليس فيها انايب طوربيد لأن الخبراء البحريين يكادون يجمعون الآن على ان قذف الطوربيد ليس من اختصاص البوارج

مؤتمر المجمع المصري

لثقافة العلمية

الجرائم لصحة الانسان» للدكتور احمد زكي ابو شادي الطبيب البكتريولوجي ورئيس رابطة مملكة النحل

الاثنين ٥ مايو: «اصلاح القرية» للدكتور سيد فهمي كريم الاستاذ بكلية الهندسة و «تعدد دساتير الأدوية وما يسببه من ارتباك في فن العلاج بمصر» للدكتور ابراهيم رجب فهمي استاذ خواص العقاقير بكلية الطب الثلاثاء ٦ مايو: عطلة رسمية احتفاءً بعيد الجلوس الملكي

الاربعاء ٧ مايو: «فتوحات شجرة القطن في عالم الصناعة» للاستاذ عبد الحليم الياس نصير بوزارة الداخلية الخميس ٨ مايو: «الانسولين ومسألة تحضيره في مصر» للدكتور علي حسن استاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب

و «الملاحظة الجوية وعلاقتها بانتشار الأمراض» للدكتور سعد الله مدور الاختصاصي بمعهد فؤاد الاول لأمراض البلاد الحارة

يمقد المجمع المصري للثقافة العلمية مؤتمره السنوي الثاني عشر في الاسبوع الاول من شهر مايو (٢ - ٨ مايو) في ردهة الجمعية الملكية للحشرات برئاسة الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك الاستاذ بكلية الطب ومدير معهد فؤاد الاول لأمراض البلاد الحارة. وسامع محاضراته بمباح لمن يريد بغير دعوة او تذكرة واليك برنامجة الجمعة ٢ مايو: افتتاح المؤتمر - كلمة الرئيس السابق الدكتور حافظ عفيفي باشا مدير بنك مصر. محاضرة الرئاسة «اثر العوامل الجوية في شدة اصابة شمال الدلتا بدودة ورق القطن واستتباط طريقة جديدة للمقاومة على هذا الأساس» للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك السبت ٣ مايو: «التقدم الصناعي في مصر وأثره في الاقتصاد القومي» - للدكتور حافظ عفيفي باشا

الأحد ٤ مايو: «الحديد والفولاذ في المدينة الحاضرة» - للدكتور احمد زكي بك المراقب العام لمصلحة الكيمياء. و «استغلال

النظرة للصحافة في نشره

الصحافي في لندن وهي معرضة لآخطار الحرب الجوية مرهق ومنهك للقوى. ولم تشأ ان تلزم التحكم في تعيين غيرهم من مراسليها مكانهم فدعت الى التطوع في خدمة الصحافة في لندن فتلقت في خلال يومين اسماء ستين متطوعاً

عنيت شركة الأخبار الأميركية المعروفة باسم الصحافة المتحدة (A. P) بالتخفيف عن مكاتبها في لندن فمنحتهم اجازات يعودون في خلالها الى الولايات المتحدة اذا شاؤا او يذهبون الى مناطق اخرى وذلك على اعتبار ان العمل

البارجة الروسية كبة نورس فلورينا

<p>مدافع مقاومة للطائرات من عيار خمس بوصات ومدافع أخرى متعددة. وتحمل أربع طائرات تقذف بمخمسين . و ٣٥ في المائة والواح من دروعها ملحومة بعضها ببعض باللحام الكهربائي والباقي متصل بالمسامير القوية . واللحام يوفر وزناً غير يسير فيستعمل في زيادة ثخانة الدروع او ضخامة المدافع او سعة خزانات النفط . وقد قدرت نفقتها بخمسة وستين مليوناً من الدولارات</p>	<p>أنجزت دور الصنعة البحرية في الولايات المتحدة الأمريكية إحدى بارجتين جديدتين وتم تسليمها وضمت الى الاسطول الأمريكي في أثناء شهر ابريل ١٩٤١ و ينتظر أن تلحق بها شقيقتها في منتصف مايو ١٩٤١ وهي بارجة تفرقها ٣٥ ألف طن وأكبر مدافعها تسعة من قطر ست عشر بوصة واثنا عشر مدفعا من قطر خمس بوصات وثمانية</p>
---	---

سلاح الحرباء

<p>كما تنطلق بذرة البطيخ الزلقة بفعل عضلات الأصبعين اللذين يضغطان عليها . فلهرباء في فمها عضلات تنقبض فجأة على عظمة زلقة فينقذف اللسان الى الخارج وفي طرفه مادة لزجة تعلق بها الذبابة قبلما تستطيع النجاة</p>	<p>كيف تستطيع حرباء طولها سبع بوصات ان تصطاد ذبابة على اثني عشر بوصة منها بغير ان تتحرك الحرباء من مكانها . السر في ذلك ان للحرباء لساناً أطول من جسمها وأنه ينطلق من شدقيها كالسهم بفعل عضلات خاصة</p>
---	---

المراقب العاكس الجريبر

<p>قادرين على رصد نجوم اضأل ضوءاً من اخفى النجوم التي ترى بالعين المجردة مليون مرة</p>	<p>مقي تم انشاء المراقب العاكس الجديد الذي قطر مرآته مائتا بوصة يقودو علماء الفلك</p>
--	---

عدد الصور المتحركة

<p>تكون قد شاهدت في الافلام على المعدل نحو ١٧٥٠٠٠ صورة متوالية بسرعة معينة</p>	<p>عندما تخرج من دار للصور المتحركة بعد مائتي ساعة فيها تشاهد الافلام المعروضة</p>
--	--

حرارة لفاة النبع

<p>درجة فارنهایت اي ٧٤٦ درجة مئوية</p>	<p>قيست درجة الحرارة في الطرف المشعل من لفاة النبع فاذا هي ١٣٧٥</p>
--	---

[لمجلة ملخص العلم]

مقائيل عن البحر الاحمر

يبلغ طول الساحل الشرقي للبحر الاحمر ١٤٢٨ ميلاً ومعدل عمقه ١٦١٧ قدماً وعرضه الاكبر ٢٢٠ ميلاً ومساحة سطحه ٣٠٠٧٠٠ ميل مربع ، ويبلغ عرضه عند باب المندب ١٥ ميلاً ونصف ميل ومعدل عمقه ٣٢٨ قدماً . وفي وسط البوغاز جزيرة بريم الانكليزية واما البحر الاحمر أجاج، ويذهب بيجار Bigarre الى ان معدل ملوحته سيتضاعف في خلال ١٧٠ سنة ويقترح ان تفصل بعض المساحات التي ماؤها ضحضاح فيتبخر ماؤها ويؤخذ ملحها الراسب ، فاذا فصلت مساحات من هذا القيل مجموعها ٣٠ الف ميل مربع

تبخر منها نحو ٤٠٠ مليون ذراع مكعبة من الماء في اليوم تاركة ستة عشر مليون طن من الأملاح اكثرها من ملح الطعام وليكنها تشمل املاحاً أخرى متعددة ومن آرائه انه في الوسع انشاء سدود عند باب المندب وعند طرف قتال السويس الجنوبي لمنع ماء البحر المتوسط والمحيط الهندي من دخول البحر الاحمر ، فتجف مناطق لا يزيد عمق ماؤها على ٩٠ قدماً الى مائة قدم (وهي ٩٠ في المائة من مساحة سطح البحر) ويستغرق ذلك سبع سنوات (محرر نيويورك تيمس العلمي في مجلة ملخص العلم)

حبوب الفسفاط

يذهت الباحث الالاماني موريل Murell الى وجوب اعطاء الطيارين وسائقي السيارات والدبابات حبوب « فيتامينين » وهو اسم اطلق على حبوب تشمل مقادير غير معينة من الكستروز وفيتامين C وكلوريد النيامين وأميد الحامض النيكوتينيك فتمكنهم من المضي في بذل نشاط عضلي مدة اطول جداً من المدة الطبيعية

ويقول انه جرّب هذه الحبوب في شابين صائمين وهما بحركان عجالات دراجتين مثبتتين

فاستوقف نظره تأثير هذه الحبوب في نشاطهم وترى مجلة اللانست الطبية أن التجربة يجب أن تشمل عدداً وافراً من الشبان ويجب كذلك أن تضبط باعطائهم حبوباً تشبه الحبوب المذكورة من كل ناحية الا انها لا تحتوي عقاراً او فيتاميناً ما لتبين تأثير الوهم ومع ذلك تذهب مجلة « اللانست » الى وجوب تجربة تجارب من هذا القيل على ان تكون خاضعة للسيطرة العلمية الدقيقة لأنه اذا ثبت تأثيرها وخلوها من الضرر فاستعمالها مستحسن

فعل فيتامين D

في منع الكساح وشفائه

العنصرين في الطعام ومع ذلك فقد تعجز العظام عن تمثيلها

وقد وجد الباحثان اللذان تقدم ذكرهما أن هذا الفيتامين يساعد الدم على أخذ الكالسيوم والجير من الطعام عن طريق الأمعاء. ثم ينقلهما الدم إلى حيث تمتصهما العظام وتمثلها فيدخلان في بنائها

ولكن قد يكون في الدم مقدار وافر من الكالسيوم والفوسفور ومع ذلك تنشأ حالة كساح لأن الكليتين قد تأخذانه من الدم وتفرزانه

وقد وجد الدكتور هريسون وقرينته أن وجود فيتامين D يمنع هذا الإفراز. فقد تأخذ الكليتان الكالسيوم والفوسفور من الدم ولكن هذا الفيتامين يحملهما على إعادة العنصرين إلى الدم فتتاح للعظام فرصة تمثيلها

كل قارئ من قراء المقتطف يعرف أن فيتامين D يمنع الكساح ويشفيه. ولكن الأطباء الذين يصفونه للصغار المصابين بالكساح والعلماء الذين كشفوه وتبينوا طريقة تولده بفعل أشعة الشمس، كانوا يجهلون إلى عهد قريب طريقة تأثيره في منع الكساح وشفائه وقد اطلعنا في آخر عدد اتصل بنا من رسالة العلم الأسبوعية الأميركية على نبأ مؤداه أن الباحثين الدكتور هارولد هريسون والدكتورة هلن هريسون (كلية الطب بجامعة كورنيل) أثبتا بالبحث أن فيتامين D يفعل فعله هذا عن طريق الأمعاء والكليتين

ولا يخفى أن ضعف العظام في المصابين بالكساح مرده إلى أن العظام لا تمثل مقداراً كافياً من الكالسيوم والفوسفور وهما عنصران لازمان لقوامها. وقد يكثر مقدار هذين

الأرانب أقدم الثدييات العائشة الآن

الآن وانها ترجع إلى عهد الايوسين قبل ٣٠ إلى ٤٠ مليوناً من السنين والدكتور سكوت من كبار العلماء الذين بحثوا حالة أميركا قبل التاريخ

يذهب الدكتور وليم سكوت الاستاذ السابق لعلم طبقات الارض في جامعة برنستون إلى أن الأرانب واللاوبسوم أقدم الثدييات العائشة

هل تعلم

* أن الخراطين عمي صم وإن أصواتها — على قول كاتب في مجلة التاريخ الطبيعى — يشبه صوت وكف الماء قطرات متتابعة ؟

* أنه جربت وسيلة جديدة لعلاج الأمراض العقلية باحداث صدمة كهربية عن طريق إمرار تيار كهربى في الدماغ

الرجل اليمين والرجل اليسر

للدكتور عبده رزق

طبيب مستشفى المينا والملاحة بالقوا (العراق)

يلاحظ الأطباء منذ عهد بعيد ان جهتي الجسم في كثير من الأمراض لا تصابان بدرجة واحدة ، وان بعض العلل والعاهات تناب الانسان في جانب واحد اكثر منه في الجانب الآخر . وقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فمنهم من عزا هذا التباين الى أسباب تشريحية وآخرون الى أحوال مختلفة

والواقع انه يوجد بين الجانب الأيمن والجانب اليسر من الجسم عند أغلب الأشخاص سواء أكانوا في حالة الصحة أم في صولة المرض فرق بين من هذه الناحية . غير ان هذا الفرق يختلف باختلاف الأشخاص وبنسبة نستطيع التوصل الى معرفتها وضبطها بسهولة اذا ما أردنا ان نفحص عدداً معيناً منهم استناداً الى بعض الدلائل والاعراض ، فنستطيع إذ ذاك تقسيمهم قسمين مستقلين : أحدهما ضعيف من اليمين والآخر ضعيف من اليسار والنقط الرئيسية التي يصح الاعتماد عليها لتعيين الفرق بين هذين القسمين نوضحها هنا كما يلي : —

تنظر مثلاً الى الوضع الذي يأخذه الشخص في أثناء نومه : هل هو ينام على الجانب الأيمن أو على الجانب اليسر ؟ وآية جهة يفضلها عادة على الأخرى وقت نومه ؟ ولا يخفى ان

معظم الناس يؤثر إحدى الجهتين على الأخرى ، أي ان بعضهم يفضل الجهة اليمنى والبعض الآخر الجهة اليسرى . وهؤلاء الأخيرون هم بوجه عام أقل عدداً من الأولين . وقد فسر بعضهم هذا التباين بالنظر لوضع القلب والكبد والمعدة الخ . غير ان هذا التفسير لا يكفي لتعليل السبب والبت فيه بصورة مطلقة واذا سلمنا بهذه النظرية فالجسم يجب ان يأخذ حينئذ وضعا واحداً وينام الانسان على جانب واحد دون الآخر ، وهذا غير صحيح ولا مألوف مادامت الأعضاء المذكورة ثابتة وما دما نرى أناساً ينامون بحسب أهوائهم وميولهم سواء على هذا الجانب أو على الجانب الثاني

وقد أجريت اختبارات عديدة في هذا الصدد ففحص ٢٠٠٠ شخص بين صحيح وسليم على السواء بعد اتخاذ الاحتياطات الدقيقة اللازمة تجنباً لوقوع كل سبب للخطأ فظهر ان ٨٦ بالمائة منهم يميلون في نومهم الى هذا الجانب او ذاك ، وانهم يشعرون بازعاج وتعب اذا خالفوا هذه العادة ، بينما ١٤ بالمائة فقط من ذلك العدد يميلون الى النوم على الظهر

فضلاً عن ذلك فقد لوحظ ان بين ٨٦ بالمائة من الأشخاص الذين ينامون على هذا

من ناحية الحاسة العصبية ان ٧٦ ٪ من الأشخاص هم أشد احساساً من الناحية اليسرى و ٣٤ ٪ فقط من الناحية اليمنى. ويجب ألا ننسى ان للوراثة تأثيراً عظيماً من هذه الناحية لا تكثر كثيراً ما نسمع اشخاصاً يصرحون قائلين : « انا لا استطيع النوم الا على هذا الجانب ، ولست وحدي على هذا بل كثيرون ايضاً على هذه الشاكلة من افراد عيلتي نفسها »

نستنتج مما تقدم ان الانسان يكون اكثر احساساً في اضعف الجهتين من جسمه . والامراض نفسها لا تصيب في الغالب الا المواضع الضعيفة من الجسم . مثال ذلك الاكزيما التي تبتدىء دائماً في الجهة الضعيفة وكذلك الثايل وتسويس الاسنان والدوالي التي تشاهد في ساق دون الأخرى أو في ساق واحدة اكثر من الساق الثانية (ثلاثة اضعاف في الساق اليسرى اكثر منها في الساق اليمنى) . كذلك قل عن عرق النساء Sciatica الذي يبتدىء دائماً في منطقة العصب من الجانب الضعيف . واذا انتقل الألم بعدئذ الى الجهة المقابلة تكون الجهة التي حصل فيها الألم أولاً هي الأسهل تعرضاً للالتئاس

وكذلك في حالات تدرن العظام وسرطان الثدي وذات الرئة الخ التي تبتدىء أو تصيب الجانب الضعيف من هذه الاعضاء . وقصاري القول يوجد دائماً تغلب حقيقي عند حدوث الافات والأمراض ، في الجهة الضعيفة من الجسم أكثر من الجهة الأخرى

الجانب دون الآخر يوجد ٧٢ بالمائة منهم ينامون على الجانب الأيمن والباقون على الجانب الأيسر ، ويعمل الفسيولوجيون هذا الفرق بنتيجة الضغط على الكتل العضلية في أثناء النوم مما يسبب ثقلاً وضيقاً شديداً في جهة واحدة أكثر من الأخرى ، وهذا ما يبرهن لنا ان بين ٨٦ بالمائة من الاشخاص الذين كانوا موضوع المشاهدة والاختبار ، تكون الجهة اليسرى في ٧٢ بالمائة منهم أكثر احساساً ويؤثرون النوم على الجانب الأيمن ، والباقون يشعرون بعكس ذلك أي ان الجانب الأيمن عندهم يكون أشد احساساً ويفضلون الجانب الأيسر وقت نومهم

ومن ذلك كله يمكننا التوصل الى نتائج مضبوطة واضحة وتصنيف مجموع الأشخاص تقريباً الى فئتين : فئة ضعيفة من اليمين وأخرى ضعيفة من اليسار . وهؤلاء الاخرون يمكن معرفتهم بعلامات أخرى تؤيد ما تقدم شرحه وذلك بالنتب من نموهم العضلي الغالب عادة في جهة من الجسم أكثر من الأخرى ومن حاسية الجلد العصبية الزائدة في هذه الجهة دون تلك . وقد عرف كل منا بالاختبار ان هذه الذراع او الساق مثلاً أقوى من الأخرى ، وان عضلات هذه الكتف أو الورك ايضاً هي دائماً أشد احساساً من الأخرى ، ويمكن معرفة هذا خصوصاً عند ما نحقق الحقن : فبعضهم يشعر بشدة الألم في الجانب الأيسر أكثر منه في الجانب الأيمن والعكس بالعكس وقد لوحظ ايضاً



مكتبة المقتطف

الفصول الاربعة

لعمر فاخوري — منشورات دار « المكشوف » بيروت ١٩٤١ — ١١٧ ص من القطع الصغير
مما يُعزِّي القارئ العربي عما يُسبذل له، ومما ينشطه ويهزه أن كتاباً كهذا يخرج إليه فجأةً
فيكون له غذاء طيب النوع موفور الفائدة . إن عددًا جماً من الذين يحملون الأفلام — وربما
حملوها عدواناً واغتصاباً — يحلو لهم ان يسطروا ويحبروا فيقال فيهم إنهم من أرباب التفكير او
من أهل التجديد . غير ان الكتاب بما يكتب رهين . وهذا الكتاب لا يشقُّ أفقاً ، وصاحبه
لا زئير بذعوى ، ولكن الكتاب من دعاءات النقد المستحدث السليم ، وصاحبه من ذوي
البصائر النوافذ

في الكتاب ثورة على المنقول الرث سواء في النهج او التأليف . وتلك ثورة هيأها المجددون
في لبنان وأميركا ومصر ، وربما نادوا بها . فجاء الاستاذ فاخوري ووقف لها حماسه وصرّف
فيها براعته . اسمعه يقول : « الأديب في بلادنا صورة رجل من ورق وحبر ، لا تكاد تجد
فرقاً إلا في لون الحبر ونوع الورق » (ص ١٨) ، ثم : « يجب على الفنان ان يتصل بهذا
الوجود فلا يعتمد على الحفظ والقراءة » (ص ١٩) ، ثم : « لا يهم الأديب إلا ان يخرج
آية فن باقية على الزمان » (ص ٢٤) ، ثم : « ان الشعر لا يحتمل أوساط الأمور ، فاما ان
يكون بالغاً مرتبة السكّال وإما ان لا يكون البتة » (ص ٧٦)

بالقرءاء ولا سيما بالكتاب حاجة الى سماع هذه الأقوال حتى تندك — بغير أمل في المعاودة —
تلك الأصول والقواعد التي يتشبث بها فريق من الغفلة تارة والمعجزة أخرى ، فريق يسعى
بين الفن والوجود ، وبين الفنان والاضطراب ، وبين العبقرية والابتداع . تلك أصول وقواعد
صالحة للفارغين او الجامدين او المفتصين ، فلنهلك وليضوا

على ان الكتاب ناهض على دراية واسعة وثقافة مكينة . أما الدراية فتألمسها في فصلين
في نقد الشعر ، وأما الثقافة فما وراء السطور من ألوان الاطلاع على توالييف العرب والفرنجة (١)

(١) مما يورث الاسف ان صاحب الكتاب نقل بعض أسماء أعجمية الى اقتنا مرسومة نحو غير وجوها
في النطق : بك Basch والوجه باش (ص ٩١ ، ١١٠) ، ديجاس Degas والوجه ديجا (١١٢)

وقد أعجبني شرح الأستاذ فاخوري لشطر العتفي حبر الشراح قديماً ، وهو : « تنأى سكون الحسن في حركاتها » . فانظر كيف راح صاحب الكتاب يسترشد فيلسوفاً فرنسياً (آلان Alain) فيصيب في كتابه « نظام الفنون الجميلة » Systeme des Beaux-Arts, Paris 1920 ما يبين روعة قول المتنبي ويضعف آراء شعراحه السابقين . يقول Alain : « ان الوجه المليح او الحسن ينبىء عن ظمأ نيفة أو سكون الأشياء جميعاً حتى في حالة الاختلال والحركة العارضة » وبلي ذلك تفسير وتديل

هذا مثل حسن على وجوب خروج النقد عندنا من نهج الى نهج . ولصاحب الكتاب الفضل في ضرب المثل . وقد ضرب غيره مثلاً اخذه من شعر ابى نواس وعلق عليه بقول صاحب « دلائل الإعجاز » : « انك لتنظر في البيت دهرأ طويلاً وتفسره ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته »

ذلك الأمر الخفي الذي لا يقوى على دسه في الشعر وما اليه إلا الملمهون ، لا بد له من نقاد بصراء على دراية وثقافة حتى ينكشف لنا الفن بدقائقه وغرائبه بشر فارس

في تاريخ الاخلاق

صفحاته ٢١٤ من القطع المتوسط — مطبعة أمين عبد الرحمن

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى مدرس الاخلاق بكلية أصول الدين بالموضوع ليس غريباً عليه ولا بعيداً منه ، ولقد حاول في هذا الكتاب ألا يكون جمعاً لأقوال الأخلاقيين وعلماء الفلسفة الاخلاقية . بل فيه (ما يعين القارئ على تتبع التطور لمسائل العلم المختلفة وكيف عالجه الاخلاقيون) كما يذكر في مقدمة الكتاب

وفي الكتاب فصول أولها عن الاخلاق في الشرق القديم سواء أكان ذلك في مصر أم عند الاسرائيليين أو الهنود أو الفرس أو الصينيين . أما الفصل الثاني فيتناول الأخلاق عند الاغريق قبل عصر سقراط ثم يتدرج من ذلك الى العصر الذهبي ويشرح النظريات الاخلاقية عند حكماء هذا العصر الثلاثة وهم سقراط وأفلاطون وأرسطو

ويفضي ذلك الفصل الى فصل عن الاخلاق عند الايقوريين والرواقيين . ويتصل بذلك فصل عن الافلاطونية الحديثة ونظرتها الى الاخلاق على ضوء الفلسفة التي تمثلت فيها ، ثم فصل عن الاخلاق في القرون الوسطى وكيف خلصت من ذلك الى الفلسفة الحديثة بعد عهد عصر النهضة المشهورة

ولقد عالج المؤلف الفاضل بعد ذلك الدراسات الاخلاقية المختلفة عند محدثي الفلسفة

ما بين ديكرت وسينوزا وهولس وبنام وكانت وجون ستوارت ميل وسبنسر وغيرهم ، وهي دراسات ومعالجات على ايجازها تلقي ضوءاً على الاخلاق عند علماء الغرب وكبار مفكره وللإخلاق عند المسلمين نصيب كبير في هذا الكتاب ، فهو يتناول تطورها من الجاهلية حتى ابتداء الفكر الفلسفي الاسلامي يتكون ، ثم يتكلم على الأخلاق عند الكندي فيلسوف العرب ، والفارابي واخوان الصفاء أصحاب الرسائل المشهورة ، وابن مسكويه والغزالي ، وابن باجة ، وابن الطفيّل . ويلى ذلك فصل عن السعادة وآراء الفلاسفة فيها

ولم يفت صديقنا العالم الجليل ان يضع في ذيل الكتاب معجماً أجبدياً للتعريف بأعلام وردت في خلال الكتاب خالية من كل تعريف ، فأسدى بذلك يدأ جليلاً الى القارىء الذي يود ان يعرف الى أعلام يعرفها ولا يعرف عنها . ووضع بجانب الاعلام الأجنبية أسماءها بالحروف اللاتينية ليسهل الرجوع اليها في مظانها الأفرنجية
فجديرٌ بالمشتغلين بالمباحث الاخلاقية ان يطلعوا على هذا الكتاب القيم الذي نرجو ان يكون باكورة لعلم الاستاذ العزيز
عبد الغني

العبير

حسين عفيف — ١٧٠ صفحة من القطع الصغير — مطبعة حجازي بالقاهرة

منذ سبع سنوات تقريباً حل الاستاذ حسين عفيف نايه الجليل ينفخ فيه «مناجاة» فأسمع أبناء العربية نقماً عذباً تتجاوبه سماوات الأدب العربي في رقة وحنان . وكان له في مضمار الشعر العربي المنشور — في مصر — يد طويلة اذ حرص على حمل لوائه والسير بموكبه في طريق الحياة قدماً . ولم يكن حسين عفيف بالكاتب الذي تعبت ريشته بألفاظ موسيقية شأن الكثير مما مهد في صرح هذا الضرب من الكتابة ، ولكنه ما فتى واضحاً في الفكرة نصب عينيه وفي هذه الفترة أخرج سبع مجموعات في كل عام مجموعة تحمل الطابع الذي امتاز به والروح التي هيمنت عليه . ولقد استطاع هذا المؤلف ان يصنع حياته بالحياة التي بصورها فعاث في الجو الذي يكتب عنه ، وزهد في الحياة الصاخبة لينطوي على نفسه في ثنايا عالم بريء ، عالم من التصوف الروحي والشاعرية العالية التي يستمدّها من الطبيعة الجميلة . وفي الحق ان في تأليف حسين عفيف لوحات فنية للطبيعة المصرية جعلتها ريشته القديرة اي تجميل ولوّنتها بأبداع تلون ، كما ان في تأليفه تلك الأحلام السحرية التي تلوح في تأليف طاغور متقلة بين مواكب الدهور فما تكاد تستمع اليه حتى يحملك على موجة من عبير الشاعر الهندي فالعلاقة بينهما ان شاعرنا يغمس ريشته في بنايع الروح التي غمس طاغور ريشته فيها ولذلك احسن شاعرنا عندما أهدي مجموعته الأخيرة الى ذلك الرجل العظيم

وحسين عفيف حريص كل الحرص على ان يتقيد بالرغم من حرية الشعر المنثور — بالنغم الذي ربط به كلماته فاستطاع بهذا القيد الذهبي ان يطلق الرنين العذب يموج الفاظه كما تموج النسمة مياه الجدول ، واليك رائعة من روائع «عيره» : «أنا من عصرت بسماي على صبحك وذهبت بأحلامي أصيلك . ووردت لك الشفق بأشواقي ، وزرعت لك الليل شهياً من حُرَاقِي . وملاّت من دمعي جداول بستانك ، ومددت من أحزاني ظلاله . وفرشت من وردي طريقك ، ثم دست على شوكة

» ولقد بسطت من وسني مهادك، وسهرت أحرسك . وأضأت من لهي شمعك ، واحترقت على نوره

«فهل سمعت بمنلي عاشقاً خلق من صميمه جنّة ثم قال لك ارتمي ؟»
وفي القطعة التالية بساطة النفس الصوفية التي تبدو لرقتها وكأن لا عمق فيها وهي أعمق من نظرة الحب:

في الصباح ، حملت ، سيلالي الخالية ، وقصدتُ الى روضك . وطفقتُ حتى انصرم النهار ، أجمع من خذك الخوخ ، والكراز من ثفرك ، وعند ما عدتُ لداري وسلالي مفعمة ، أفرغتها بجاناب قلبي ورحت في نوم لذيذ كطفل احتضن دمية ونام»
وفي القطعة التالية تفكير هذا الشاعر :

« هذا الوجود على سعته ، في قلبي أنا . إنه نقطة في كَأنا نقطة فيه . كل أطيافه لها في قلبي ظلال مصغّرة . وكل انغامه لها فيه اصداء تردد . اني لأستطيع في لحظات الاشراق أن أراهُ بنظرة واحدة ، وأعبّر عنهُ بنغمة واحدة انهُ ينقصنا هذا المضاء لندرك انه تحت بصرنا . فلو استطعنا ان ننظر النظرة الحاطفة ، ونعبر التعبير الحاطف ، لما أعيقنا راحته

فلا جديد في الامر ، ولا أسرار وراء الحجب ، وانما تكرارٌ لعالم يعيش في نفوسنا . وما للغز إلا في ذلك العالم الصغير — فينا نحن . هل نستطيع ان نفهم انفسنا . ويقول : « لقد فهمتُ سرّك أيها الكون . انك لا تحب الهندسة . لأنها المحدودية وذاك عجزٌ تنزهت عنهُ اما اردت ان تكون ولا شكل لك ، لكيما يكون لك من الاشكال ما لا يجد » هذه بعض نماذج من عبير هذه الروضة التي انتظمت بمجموعاته السبع «مناجاة» و«وحيد» و«سهير» و«الزنبقة» و«الببل» و«الاغنية» ثم انتهت الى هذا «العبير». وانها لأثر جميل لهذا النفس الجميل
الصيرفي

تاريخ الطب في العراق

هذا كتاب نفيس نشرته الكلية الطبية الملكية العراقية أجملت فيه أهم أدوار الطب في العراق من عهد العباسيين الى عصرنا هذا. وقد عني بتأليفه وترتيبه الدكتور هاشم الوزري عميد الكلية سابقاً وأستاذ الطب السريري فيها والدكتور معمر خالد الشاندر أحد خريجيها وقد أجمل المؤلفان الفضلان الغرض من الكتاب في توطئة نفيسة قالوا فيها

« بدأت في بغداد على عهد الخلافة العباسية مدنية رائعة قوية الاسباب ، أخذت من علوم الأولين أرقى ما وصلوا اليه فصبته في قالب الجذاب المنتج الذي يميز الحضارة العربية وقدمته الى الاجيال التالية أرضاً خصيبة للزراع والانتاج ، فكانت علاوة على أهميتها كوحدة تاريخية ذات شخصية ثابتة متميزة ، حلقة الوصل بين العقل البشري في سحيق الأجيال المعنة في القدم وبينه في هذه المدنية الحديثة التي حملتها أوربا ، بعد ان حملها أجدادنا ردهاً طويلاً من الزمن كانوا فيها سادة الارض وحملوا الثقافة وسدنة العلم والعرفان

» ومع أهمية تلك الفترة الرائعة من فترات الحضارة العالمية ، لم نجد من البحوث المتصلة ما يكشف عن نواحي النشاط العلمي المختلف الذي كوّن تلك الحضارة ، إلا فيما يتصل بالادب وفروعه . ورغم ان هناك تنقلاً متفرقة هنا وهناك في بطون الكتب وغياهب الأسفار عن نواحي الحضارة الأخرى كالطب والهندسة والصيدلة والطبيعة ، إلا أنها ليست في متناول الأكثرية من أهل الثقافة لتفرقها في عدد عديد من الكتب من جهة ، ولقلتها وبعد مصادرها عن المتناول من جهة أخرى ، ولا نصرف المؤرخين والكتّاب عن تدوينها وتتبع تطوراتها والاهتمام بترتيبها من جهة ثالثة

ولذلك أصبح من الضروري ، والامر كذلك ، ان يلتفت الباحثون والمؤرخون الى تذليل تلك الصعوبات ، وتدوين ذلك التاريخ الباهر المشرق ، وتتبعه في مظانه الأكيدة ، البعيدة عن الزيف والشكوك ، إيفاء بحق الاجداد ، وتسهيلاً للأبناء على الاطلاع الكامل على آثارهم الخالدة ومدنيّتهم الرائعة ، وشجراً للعزائم ، وتقوية للشعور ، واذكاء للهمة ، وخدمة للقومية العربية المجيدة. ولقد تلمّسنا حولنا ، وهذه الحقائق تحفزنا ، فلم نجد تاريخاً سهل المتناول متصل المناحي عن سير الثقافة الطبية الرائعة في هذه الربوع التي كانت رأس البلاد العربية وسيدتها وقائدها الى المجد ، فبدأنا بكتابته خدمة للجماعة العزيزة من شبابنا المنقف الذين نخرجهم كايتنا الطبية ، ليحملوا لواء الطب ، وليصلوا ماضي نبوغهم بحاضره . فشرحنا الادوار التي مشّت فيها الثقافة الطبية منذ قيام المدرسة الطبية العباسية في بغداد على غرار مدرسة جندي سابور بعد ان انتقل أساتذتها وعلمائها الى بغداد بعناية الخلفاء ، ثم ترجمنا لأشهر الأطباء والمترجمين العرب من الذين

أقاموا أساس الطب في العراق ، ونوهنا بحرص الخلفاء على اكتساب العلماء ، وتشجيع العلم وبت الحضارة . وذكرنا أهم البيمارستانات التي أسست في زمن العباسيين بحسب الترتيب التاريخي الذي تقسم اليه الخلافة العباسية في ربوع الرافدين كبيمارستان هرون الرشيد والبيمارستان العضيدي . ثم أتينا الى نكبة الحضارة العربية على يد المغول ، والحمول الذي حل بها في العصر المظلم ، ثم استطرقنا الى الثقافة الطبية في العهد التركي الأخير يوم كانت البلاد العربية ايلات تابعة لمقر الخلافة في الاستانة ، فذكرنا المدارس العثمانية التي تخرج منها أكثر الاطباء العراقيين الذين رجعوا الى بلادهم فأسسوا هذا الكيان الصحي الموجود اليوم ، ونشرنا صوراً تاريخية فريدة لهم ولبعض ما يتصل بالموضوع ، ثم أتينا على الحالة الصحية في العراق قبل الحرب العامة ، ثم على عهد الاحتلال ، ومن ثم على عهد الحكم الوطني ، ثم بحثنا بأسهاب في نشوء المستشفيات والمعاهد الصحية العراقية وتوحيدها ، ثم في تأسيس الكلية الطبية الملكية وتقديمها وتدرجها في الرقي سنة بعد أخرى وتبناها حتى اليوم . وبهذا انتهينا بذكر الكلية الطبية كما بدأنا بذكر مدرسة بغداد الطبية التي قامت في العهد العباسي « آه

وسنلخص في عدد تال نشأة الكلية الطبية الملكية العراقية وارتقاءها وما يتصل بها من هيئات

كمدرسة الأمراض والجمعية الطبية والمستشفى الملكي

سمو المعنى في سمو الذات

او اشعة من حياة الحسين — لعبدالله العلابي — مطبعة عيسى الحلبي

هذا الكتاب يعتبر تحلية لشخصية الحسين بن علي بن أبي طالب وفيه فصول كثيرة لا بد منها لدراسة هذه الشخصية الجليلة كالصراع بين الخلافة والملك ، وعلى في الخلافة ، والحوارج ونظرية الخروج والانقلاب الاموي . وفي الكتاب تصوير لنواحي العظمة في الحسين ما بين عظمة المبدأ وعظمة المضاء وعظمة الاباء وعظمة الاستهانة وغيرها . والكتاب حلقة اولى لسلسلة بهم المؤلف باخراجها في تاريخ الحسين ، وحياة الحسين فرجو رواج مظهر والتوفيق فيما لم يظهر ... م

مكتوب على الجبين وقصص اخرى

لمحمود تيمور — صفحاته ٢٣٢ من القطع الوسط — طبع بمطبعة المعارف بالقجالة

أخرج الاستاذ محمود تيمور كتابه الجديد « مكتوب على الجبين وقصص اخرى » وهو يحوي ١٤ قصة من القصص التي اشتهر بها الاستاذ تيمور في تصوير العواطف والميول النفسية نذكر منها قصة « كان في غابر الزمان » وهي من التاريخ المصري القديم وقصة « تاج من الورق » وهي دراسة نفسية وقصة « في خيلة الحب » وهي من القصص العاطفي الراقي وسننشر في مقتطف الشهر القادم فصلاً دراسياً عن فن تيمور القصصي

كتاب المكافأة

لاحمد بن يوسف — مطبعة الاستقامة بالقاهرة — صفحاته ١٦٠ من القطع الوسط
عني الاستاذ محمود محمد شاكر بتحقيق هذا الكتاب وشرحه وتصحيحه فأحسن بذلك
الى الأدب العربي كل الاحسان . فأولى طبعات الكتاب التي أشرف عليها أحد الناشرين لم تخل
من وقوع أخطاء كثيرة . على أن الناشر الأول لهذا الكتاب له فضل سبق وثواب التقدم
وللاستاذ شاكر فضل التحقيق والتدقيق بما عرف عنه في مسالك بحثه ، ومناهج درسه .
وبالكتاب مقدمة طيبة في تاريخ أحمد بن يوسف وبتحقيق نسبه ونسب أبيه ، وفيها وصف
ليسان ابن يوسف وأسلوبه في كتابته . وفي ذيل الكتاب فهرسان أحدهما للاعلام التي وردت ،
والآخر لأسماء الأماكن التي جاءت في خلال القصص
ولقد كان القارئ للطبعة الأولى من هذا الكتاب يصادف كثيراً من الاضطراب في
التعبير فجاء صاحبنا شاكر ففهم الكتاب وأخرجه مخرجاً يقرب الى الصدق ويميل الى الاستقامة ،
ويبعد عن الالتواء فله الشكر على عمله الجميل

صحة الفم والاسنان وعلاقة الامراض بها

تأليف الدكتور مصباح اديب المالح — مطبعة ابن زيدون (بدمشق) — ١٠٦ صفحات
هذا كتاب صغير الحجم كبير الفائدة . وفائدته ليست عقلية وحسب بل هي فائدة عملية
كذلك ، « وقد ظل الكثيرون من الأطباء ينكرون علاقة الصحة العامة بصحة الفم والاسنان
ولا يولونها شيئاً من اهتمامهم الى ان أثبتت التجارب التي لا تحصى والاحصاءات الكثيرة مبلغ
تأثر الصحة العامة باهمال الفم والاسنان وعدم الاعتناء بها ، فلم يبق مكار ينكر هذه الصلة
القديمة ، وأصبح الطبيب لا يقبل على مداواة مريضه بصورة جدية الا بعد ان يبرز له مصدقة
تشعر بسلامة فيه واسنانه من كل آفة يمكن ان تكون لها اختلاطاتها في الأعضاء الداخلية
والأجهزة الأخرى . وقد ادركت الأمم الراقية مبلغ تأثر الصحة الاجتماعية العامة باهمال
الفرد امر الاعتناء بفيه واسنانه فأنشأت المؤسسات الخاصة لتداوي فيها بعض آفات الفم والاسنان
بالحجان وأسندت الى هيئات خاصة من الأطباء امر التفتيش والتعليم الصحي الخاص بالاسنان في
المدارس وفي جميع طبقات الشعب والمؤسسات الرسمية » عن مقدمة المؤلف

ان حفظ صحة الفم والاسنان علم وعادة . ولذلك نشير على ربات البيوت والأمهات بوجه
خاص اقتناء هذا الكتاب لما فيه من علم عملي ولأن تعلم الصغار منذ نعومة الأظفار العناية بنظافة
الاسنان وغيرها من مسائل صحة الفم من العادات الصحية الرئيسية التي يجب تنشئتهم عليها
فيوفر عليهم في مستقبل حياتهم كثير من الألم والنقعة وتهية الجسم لعلل شتى بعض بواعثها على
الأقل يستقر في الفم والاسنان

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثامن والتسعين

- ٤٤٥ الفضاء بين النجوم
- ٤٥١ مساهمة العلماء البريطانيين في تقدم العلوم : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
- ٤٦١ الرنوك المملوكية : لجمال محمد محرز
- ٤٦٩ دقيق مشع بالفيتامين — انقلاب في عالم التغذية
- ٤٧٣ فلسفة النشوء الخالق : لحنا خباز
- ٤٧٩ العبقريّة والتربية : لعلي أدهم
- ٤٨٤ المعرفة ونصف المعرفة : لجبران خليل جبران
- ٤٨٥ المذاهب المتباينة في علم النفس الحديث : للاستاذ موكسلي : نقلها الى العربية حسن السلمان
- ٤٩٣ أصغر اعداء الانسان «الفيروس وخصائصه»
- ٤٩٦ اغنية البلبل (قصيدة) : لمحمود السيد شعبان
- ٥٠٠ جامعة ليدن ووليم الصامت
- ٥٠١ رأي في الغزالي : لحسن انيس
- ٥١٠ رحلة ابن بطوطة : لمحمود مصطفى الديماطي
- ٥١٧ سير الزمان * الولايات المتحدة والحرب ١ — روزفلت تنصيبه الثالث ومغزاه
- ٢ — موقف الأمة بعد قانون الاعارة والتأجير . مصر وطر بق الهند : لجمال الدين الشيال
- ٥٣١ باب المراسلة والمناظرة * أقال كنائسي أم كنسي : لرزق الله فتح الله عرمان . على هامش مقال الكوفية والمقال : لروكس بن زائد العزبي
- ٥٣٨ باب الاخبار العلمية * خطبة وزير المعارف في حفلة افتتاح مستشفى فؤاد الاول . الأول في الاساطير والآداب القديمة . بوارج طبقة « جورج الخامس » . مؤتمر الجمع المصري للثقافة العلمية . التطوع للصحافة في لندن . البارجة الاميركية نورث كارولينا . سلاح الخبراء . المراقب العاكس الجديد . عدد الصور المتحركة . حرارة لفافة التبغ . حقائق عن البحر الاحمر . حبوب النشاط . فعل فيتامين (ا) في منع الكساح وشفائه . الاراب أقدم الثدييات المائشة الآن . هل تعلم . الرجل الايمن والرجل الايسر : للدكتور عبيد رزق
- ٥٤٩ مكتبة المقتطف * الفصول الاربعة في تاريخ الاخلاق . العبير . تاريخ الطب في العراق . سمو المعنى في سمو الذات . مكتوب على الجبين وقصص اخرى . كتاب المكافاة . صحة الفم والاسنان وعلاقة الامراض بها